بسم الله الرحمن الرحيم

سوره الانفال

هذه السوره مدنيه بالاجماع وترتيبها في المصحف الثامن وهي من السبع الطول وقد ذهب البعض للقول ان

الايات من (30الي 36)

مكيه وهذا القول غير صائب حيث وان الرويات التي استند اليها من زعم ان الايات المذكوره مكيه النزول الي مزاعم مفادها ان ابوطالب جاء الي النبي صلي الله عليه وسلم وقال له فيما ياتمر القوم فقال له الرسول صلي الله عليه وسلم ليخرجوني او ينفوني او يقتلوني فقال له ابوطالب من اخبرك هذا فقال له اخبرني ربي فقال ابو طالب نعم الرب ربك فاستوصي به خيرا فقال الرسول صلي الله عليه وسلم انا استوصي به خيرا بل هو يستوصي بي خيرا فانزل الله (واذ يمكر بك الذين كفروا ...الخ

وهذا القول تم مواجهته واعتراضه من قبل المفسرون لان اهل مكه ماكانوا يجرون علي التامر ضد الرسول صلي الله عليه وسلم في حياه ابوطالب الذي كان يتولي العنايه بالرسول والذود عنه. ثم ان اجتماع قريش انما كان بعد وفاه ابوطالب حيث كان اجتماعهم للتشاور والتامر وذلك قبل الهجره وبالتالي فهذا ما يوكد حقيقه ان السوره مدنيه النزول ولايوثر في هذا ان تتناول الايات الحديث عن بعض احوال المسلمين في مكه وماجري فيها بل ان هذا الحديث له ارتباط بموضوع الانتقال الذي انتقل فيه المسلمون من عصابه وجماعه مستضعفه مضطهده الي جماعه له دوله وقوه وعزه ومنعه حيث ان دراسه الماضي ومعرفه التاريخ للامه في ماضيها اكبر عون لها في اصلاح حالها واستعدادها لمستقبلها فهذا يخدم اهداف ومقاصد السوره ومتناسب مع مقاصد سوره الاعراف التي تزامنت مع مرحله الجهر بالدعوه ولهذا فان الانتقال والعبور من الماضي الي المستقبل يتطلب معرفه الماضي لتبني مستقبلك البناء الصحيح ومن جهه اخري في ذلك امتنان من الله علي رسوله و عباده المومنين بتايده ونصره لهم في معرض الحديث عن الذكر العملي التطبيقي بعد ان اختتمت سوره الاعراف بالحث علي الذكر باللسان. بالقلب او بموطاتهما معا تاتي الايات هنا للحث علي الذكر العملي التطبيقي الذي يغفل عنه الكثيرون نتيجه الفصل بين الاعتقاد والعمل هذه البدعه المحدثه بعد عصر النبوه والخلفاء الراشدين

فهذا الذكر العملي التطبيقي هو ارقي انواع الذكر واخطرها واقصد بذلك الذكر العملي الذي يتمثل باقامه الدوله الاسلاميه ونشر الدعوه والجهاد في سبيل الله ونصره الحق ورفع الظلم عن المظلومين فالذكر العملي هو المعبر عن حقيقه الذكر باللسان وبالقلب فالذكر ليس مجرد معرفه يتم اكتنازها في العقول ولا هي اعتقاد مخبي في القلوب فلابد ان يخرج الي الحياه ويحكم واقعها فالاصل ان ذكر الله ينتشر اثره في الحياه وان يعم فضله علي الناس ولايقع هذا التاثير الامن خلال الذكر العملي الذي يقوم فيه المسلم بدوره كحارس لقيم الخير وكمسئول عن قتال الالم والشرور في الارض

اما الذكر في القلب واللسان فلا يمتد اثره لغير صاحبه ويكون اثره علي مستوي شخص الذاكر الذي يرفعه الله لدرجه الشرف التي اخبر الله عنها في الحديث القدسي بقوله (انا جليس من ذكرني)

اما الذكر العملي فهو الذي يودي الي الفلاح والنصر كما قال تعالي (يايها الذين امنوا اذا نودي للصلاه من يوم الجمعه فاسعوا الي ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاه فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)

فالذكر الاول المامور به عند سماع النداء لصلاه الجمعه المقصود به الصلاه نفسها وهذا هو ذكر القلب واللسان

اما الذكر الثاني بعد قضاء الصلاه والانتشار في الارض والابتغاء من فضل الله اي العوده للحياه اليوميه والعمل فالمقصود منه الذكر العملي بالمساهمه في اقامه الدوله الاسلاميه كلا من مجاله ينطلق لاجل المساهمه في النهضه والبناء والعمران فهذه عباده وذكر عملي فهذا الذكر هو الذي يودي الي الفلاح فقال تعالي (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)

ولهذا نجد ان السوره مع سوره براءه التي هي بمنزله متممه لها تتناولان العلاقات الدبلوماسيه مع الدول الاخري وتنظم المعاهدات الدوليه وحقوق الموطنين باختلاف ديانتهم داخل الدوله وتناقش اماكن الحصانه في الحروب وافرادها وكذلك الحصانه المتعلقه في الزمان وكذلك تناقش العلاقات الدوليه واحكامها في السلم والحرب بعد ان تناولت سوره الاعراف ذكر القلب واللسان فكان مناسبا مجي الانفال بعدها لانها اول مراحل المواجهه بين الحق والباطل واتبعها بسوره براءه التي هي اخر مراحل المواجهه بين الاسلام والكفر في زمن الرسول صلي الله عليه وسلم فكان مناسبا هذا الترتيب حيث وضع الاعراف والانعام قبلها هي للحاجه الي قوه شحن ايمانيه وشحذ الهمم التي امتازت بها السور المكيه لان الذكر العملي يحتاج الي قوه ايمانيه وهمه عاليه لتطبيق التشريعات اي منهج الخلافه والقيم والمبادي التي ينبغي ان تحكم الدوله وتقام عليها الخلافه ويجب ان تحكم العالم

ولهذا نجد ان السوره استهلت بذكر الانفال واحكامها لتفهم ان الله عندما شرع الجهاد انما هو لاعلاء كلمه الله حراسه الدين وقيم الاسلام التي هي قيم البشريه كلها هذه القيم يجب ان تحكم العالم كله يجب ان يكون النظام العالمي كله قائما علي قيم الشوري والحريه والعدل والمساواه ...الخ القيم التي جاء بها الاسلام لانقاذ البشريه من الظلم والعدوان والفساد والتخلف وامر المسلمين ان يحاربوا كل من ينتهك هذه القيم فاذا التزم العالم بهذه القيم فلا يجوز الاعتداء علي اي دوله تحترم القيم التي جاء بها الاسلام وتقوم بتطبيق هذه القيم في حياتها ولهذا فقد اخطي الكثيرون في فهم مدلولات النصوص المتعلقه بالجهاد من جهه ومدلولات معاني الدين الورادة في القران من جهه اخري فنتج عن ذلك الخلط التباس المفاهيم لدي الكثيرون فالدين مثلا في قوله تعالي (وقاتلوهم حتي لاتكون فتنه ويكون الدين لله. فان انتهوا فلا عدوان الا علي الظالمين) في سوره البقره تعني رفع الظلم عن المظلومين حتي وان لم يكونوا مسلمين تعني ان يلتزم العالم بقيم الاسلام في اقامه انظمته هذا هو مفهوم الدين هنا فلا يقصد به ارغام الناس علي اعتناق الاسلام ..وانما تحرير الانسان من الوثنيه السياسيه والاضطهاد بكافه اشكاله ثم يترك للعبد حريه اختيار المعتقد الذي يراه مناسبا فالله يقول(لااكراه في الدين)

فالمسلم يعتبر نفسه في ارض الله فهو مستخلف من الله في ارضه ولهذا فهو مسئول بوصفه خليفه في الارض ان يجاهد في سبيل الله لرفع الظلم عن المستضعفين ونصرتهم فهو مسئول عن ازاله الشر من الارض وان يقاومه ويحارب كل صور الطغيان والفساد والخطايا دافعه في ذلك اعلا ء كلمه الله فلا بد ان يرفع سلاحه ضد الملوك والجبابره والطغاه الذين يمنعون عن الناس ضوء الحقيقه ويمنعون عن الناس حقهم في الاتصال بالله ويقفون ضد رقي العقل البشري الذي اكرم الله به الانسان ولهذا فان المسلم يحزنه البؤس الانساني ويضحي بنفسه وماله من اجل التقليل من حزن العالم الذي يعني تحرير الانسان فالمسلم مسئول عن النوع البشري كله اذا كان يملك القوه لتغيير الحياه

ولهذا جاء ت السوره مبينه للمومنين ان الله شرع الجهاد لاجل اعلاء كلمه الله وحمايه قيم الاسلام ونشر الدين وان الغنائم هي زياده من الله وليست شئيا مطلوبا لذاته وبالتالي لاتجعلوها سببا للفرقه والتنازع والانقسام فالمقصود اعلاء كلمه الله والاخلاص وطاعه الله ورسوله بغايه الاذعان والتسليم والرضي ولهذا استهلت الايه بذكر حكم الانفال لتذكيرهم بمنته وحثهم علي التبري من الحول والقوه والتزهيد عن الانفال والمطامع الزائله ويعلم المسلمون اسباب النصر والهزيمه الربانيه والماديه يقول لهم ان الذي يصنع النصر هو الله تعالي فهو الذي يصنعه ويدبره بقدرته هو سبحانه وتعالي فما عليكم الا التسليم لامر الله بغايه التسليم والاذعان مع صدق النيه

لوجه الله فلا تجعلوا من الغنائم هدفا للقتال انتبهوا فليس هذا المقصود من الامر بالجهاد ولهذا فان من اسماء السوره الجهاد لانها تتحدث عن الجهاد وقوانينه وقواعده واغراضه

فالسوره تهدف الي تربيه المومنين واعدادهم بما يتناسب مع طبيعه المرحله التي انتقلت اليها الامه بعدما صار لهم دوله وصار هنالك اعتراف دولي بهذه الدوله فالسوره نزلت عقب انتصار المسلمون علي المشركون في بدر ولهذا من اسماءها سوره بدرفقد روي السيوطي في الاتقان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله سوره الانفال سوره بدر سميت بذلك لانها نزلت اعقاب معركه بدر ولانها تتحدث عما وقع في بدر وكشفت تفاصيل الاحداث فيها وسميت ايضا بسوره الفرقان لانها تناولت احداث بدر التي كانت فيه اول لقاء مع الكفار ولانه تم التفريق بين الحق والباطل ومثلت فيه هذه الواقعه منعطف فاصل بين عهدين عهد الضعف الذي كان عليه المسلمين وعهد الدوله القويه التي تحمي حقوق ابناءها وتحمي قيم العدل والحريه والمساواه ولهذا كان لابد من تعريف المسلمون بطبيعه المرحله الجديده التي انتقلوا اليها وارشادهم الي قوانين هذه المرحله ليفهموا الواقع الجديد وقواعده فقياده التحرير تختلف عن قياده التطور ذلك ان العربي كان لايعرف الانظمه ولا القوانين وهو لايخضع الا لشيخ القبيله فالعربي يغلب عليه طبيعه التمرد علي الانظمه لايعرف الانضباط مجتمع يعاني التشرذم والانقسام يفرق بين القبيله والقبيله بل بين الافخاذ داخل القبيله الواحده مجتمع لايعرف الدول ولا الانظمه ولا يقبل الانضباط مجتمع نشاء علي حب الغنائم والاموال وان توزيعها يخضع لمساله القوه في القتال ومراتبها فالقوي ياخذ اكبر قدر فمعيار ومقياس التوزيع لها يخضع لمعيار القوه والقدره علي القتال لم يكن المجتمع العربي يعرف الجيوش ولا الخطط العسكريه في القتال بل كان يحارب باسلوب العصابات مجتمع غرس فيه فكره ان القتال والنصر مقرون بالغنيمه فهي هدف اصيل فاسره وقبيله المحارب تنتظر ما سيعود به من غنائم لتتباهي بما يعود به فكلما عاد بغنيمه كبيره كان في نظرهم انه مقاتل عظيم ولهذا كله نجد ان السوره تتحدث عن عده مواضيع

الموضوع الاول

تهدف الي تربيه المومنين علي تعظيم المبدا واحترامه والتمسك به والتزهيد عن العرض الزائل الذي ينحرف بالمبدا ويفرغه عن مضمونه

ولهذا فان اسم السوره (الانفال) فيه بيان المقصود من شريعه الجهاد بانها تهدف الي اعلاء كلمه الله وحمايه وحراسه القيم والمبادي التي جاء بها الاسلام من ان تنتهك فالمسلم مسئول عن حراسه هذه المبادي وحمل السلاح في وجه كل من يهدد قيم العدل والحريه والمساواه والشوري ....الخ التي جاء الاسلام بها لاسعاد البشريه كلها والتي يجب ان تحكم العالم كله وتصبح هي النظام الذي يخضع له العالم في حكم الناس فلا يسمح بانتهاك حريه المتعقد من قبل اي دوله ولا انتهاك حقوق الانسان فاللازم علي المسلم ان ينهض ويحمل سلاحه لمنع اي ظلم او استبداد حتي ولو كان المنتهك حقوقه غير مسلم

ولهذا فاننا نجد اسم السوره ينسجم مع محاورها. وموضوعيها فالدلالات اللفظيه تتطابق مع مقصود السوره واغراضها فافتتاح السوره بالتزهيد من الانفال فيه تحذير من التحول عن الهدف من الجهاد الذي يهدف الي اعلاء كلمه الله ورفع الظلم عن المظلومين وحمايه القيم الدينيه الي طلب الغنائم والاموال الرخيصه فالغنائم امر زائد سمح للمسلمين ولم يكن مسموحا من قبل به فكلمه الانفال تعني الغنائم واحدها نفل والنفل الزياده فالانفال ممازاد الله به هذه الامه فقد كانت محرمه علي من قبلهم واصل نفل يدل علي العطاولهذا يفهم من الايه اهميه الحفاظ علي المبدا والاهتمام به وان يجعلوه نصب اعينهم يحذرهم من ترك الاصوال بالانشغال بالفروع و الاسلام يهدف من هذا الي تربيتهم علي الاهتمام بالاصوال والمبدا والحفاظ عليها وان يجعلوه نصب اعينهم لان الاهتمام بالاصوال حتما سيودي الي تحصيل الفروع ولهذا افتتحت السوره بقوله تعالي (يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مومنين)

فيها بيان الاتي

الامر الاول

دعوه للمومنين باحترام الشرعيه الدستوريه وعدم الخروج عن امر الله ورسوله ولهذا يبين لهم ان مساله الانفال التي ادت الي اساءه الاداب

من قبل الصحابه بشانها يعود لمالكها الله تعالي والي الرسول بتقسيمها

فالايه نزلت كما ذكر عباده ابن الصامت في حديثه ان نزول الايه كانت بسبب ماحدث منهم بشان غنائم بدر ....فانزل الله الايه

فلم ياتي الجواب بتفصيل كيف يتم تقسيم الغنائم الذي هو محل السؤال منهم بل جاء جوابا مجملا تضمن نزع امر الانفال كله منهم ورده الي الله ورسوله حتي انزل الله حكمه في قسمه الغنائم لاحقا بعد ذلك

فاراد بهذا تربيتهم علي احترام سياده الشرع واحترام الشرعيه الدستوريه فلا يجوز مناقشه امر الرسول حيث ذكر سعيد بن ابي وقاص قال نزلت الايه في فذكر انه كان معه سيف من غنائم بدر فقال له الرسول صلي الله عليه وسلم ضعه فقال نفلته يارسول الله فقال له الرسول صلي الله عليه وسلم ضعه ....الخ

وغيرها من الاحاديث التي وردت بهذا الشان حيث كثرت الاسئله عن الحكم الشرعي عن الغنائم وما يوكد هذا مجي الايه بالفعل المضارع (يسئلونك)

مما يدل علي تكرر السوال او طرحه من عده اشخاص او لكثره السائلين عن ذلك حين المحاوره في موقف واحد فهذه الصيغه تفسر لنا معني قول الصحابي عباده بن الصامت عندما سال عن سبب نزول سوره الانفال فقال (عندما اختلفنا ساءت اخلاقنا بشان غنائم بدر)

وهنا لابد لنا اخي المسلم ان نقف عند معني سوء الخلق الذي يتحدث عنه الصحابي الجليل عباده بن الصامت هل كان سوء الخلق هنا مثلا الافتراء بالباطل .او الكذب ...او تلفيق التهم علي الاخرين ...او اللف والدرون الذي نراه اليوم في ملفات دولايب المحاكم بين ابناء الاسلام مكتظ او ماشابه ذلك

ليس ايان من ذلك اخي المسلم هو المقصودای ليس سوء الخلق الذي نعرفه اليوم بل سواء الخلق الذي يقصده الصحابي حصرا هو سؤالهم عن الغنائم

ولهذا عليك اخي المسلم ان تنظر الي سوء الخلق بنظر الصحابه انه مجرد السوال عن امر الغنائم وهو مايجعلنا نتسال لماذا اعتبر مجرد السؤال سوء خلق بنظرهم رضوان الله عليهم :

لان السوال بنظرهم نقص بحق من باع نفسه وماله لله مقابل الجنه التي وعدهم الله بها فكيف لمن جعل هدفه ارضاء الله ورسوله ان يتسال عن حكم الغنائم الذي هو من مطامع اهل الدنيا فقد نظروا لسوالهم كيف نقسم الغنائم وكيف نوزعها نقص وقله ادب لماذا؟

لانهم تسالوا عن امور ماديه كان يجب عليهم ان يتركوا امر الاموال لحكم الله ورسوله

فما الذي جعل الصحابه ينظرون الي ان تلك الاسئله فيها اساءه اداب ؟

انه الجواب الذي امر الله نبيه ان يخاطب به قومه اجابه عن اسئلتهم عن الغنائم كيف يتم قسمتها فقال تعالي (قل الانفال لله والرسول)

فكانه يقول لهم من الذي يملك المال والغنائم ؟ اليس الله تعالي هو مالكها فذكر اسم الله (قل الانفال لله) للدلاله علي انها ليست حقا للغزاه وانما هي ملك الله فاذا كان ذلك كذلك فان المالك للشي هو الذي يقرر كيف يتم التصرف فيها ولهذا جاء عطف (الرسول) علي اسم الجلاله

لبيان ان امر الغنائم الي الله الذي يملكها والي من يعينه الله بوحيه في تقسيمها وهو الرسول .....فالرسول انما يتصرف في الانفال باذن الله توقيفا وهذا فيه اشتمال تصرف امراء الجيوش بعد وفاه الرسول صلي الله عليه وسلم فيها باعتبارهم خلفاء لله والرسول في ذلك

ولهذا فهم الصحابي ان مجرد السوال اساءه اداب لايليق بالمومن ان يسال الرسول في شان الغنائم فاعتبر ذلك سوء خلق ولهذا فان هذا الفهم من المسلمين ليدل علي كمال الصحابه ومدي تاثرهم بالايه القرانيه وكيف انهم كانوا يتلقون الايات بهذه المشاعر الحيه فهذا هو السر الذي جعلهم قاده العالم فاذا اردنا اليوم ان تستعيد الامه فاعليتها ودورها فعليها ان تدرس تاريخها وتستفيد من الماضي وتصطحب ماضيها وكتابها وسنه رسوله وسنه الخلفاء دليلا مرشدا لها

الامر الثاني

يامر الحق بالتخلص من عوائد الجاهليه ولهذا لما ذكر حكم ان امر الانفال الي ا لله الذي يملكها وان امر قسمتها موكول الي الرسول صلي الله عليه وسلم ولم يبين هنا كيف يكون توزيعها وانما بينته النصوص في الايه ()من هذه السوره فان هذا الابهام لمصارفها روبما اوقع ذلك في بعض النفوس كراهه نظرا لعوائد الجاهليه فقاعده توزيع الغنائم في الجاهليه كان التفاوت بحسب تفاوت المساهمه في القتال ولهذا جاء التفريع بالفاء (فاتقوا الله) علي جمله (قل الانفال لله والرسول)

فاراد بهذا تذكيرهم بان عليهم الرضاء بمايقسمه الرسول لهم فعليكم الامتثال لامر الله ومراقبه الله في كل ذلك والتفريع بالفاء علي تلك الجمله التي جعلت للرسول حق توزيع الغنائم مع ابهام مصارف الغنائم هنا لها هدف وهو:

اخراج عوائد الجاهليه من نفوسهم و بناء الشخصيه الايمانيه المتقيه التي تراقب الله في كل افعالها فتكسر شهوات النفس وتقمعها فالتقوي اصل الطاعات كلها وهي اداه الحفاظ علي القيم والمبادي

وذكر بعدها(واصلحوا ذات بينكم) لان ذلك من نتائج التقوي التي توجب علي كل مسلم ان يكون له موقف من كل مشكله بين المسلمين افرادا وجماعات فانت مكلف بازاله كل مظاهر التنازع والاختلاف والانقسام فلا يمكن ان تقف مشاهدا لما يحدث او تقف محايدا فالازم عليك اصلاح الحال التي بينكم او الاحوال التي تجمعكم من القرابه والموده والوصله الاخوه وهذا الامر من المبادي التي جاء بها الاسلام ومن القيم التي اقام دولته علي اساسها فالموخاه بين افراد المجتمع المسلم من اهم المبادي والقيم التي اعتني بها الاسلام اشد الاعتناء فاصل (بين) تستخدم للخلاله بين شئين ووسطهما وذكرها بعد التقوي لان الاسلام اقام ميزان التفاضل بين افراد المسلمين هو التقوي والغي جميع موزان الجاهليه ولذلك كان الموخاه بين المهاجرين والانصار فقضي علي كل مظاهر التفرقه التي صنعتها الجاهليه ولهذا يدعوهم الي الاخاء واصلاح ذات البين وتقويه الصلات بينهم ويحذر من التخاصم والتنازع والاختلاف و فيه دعوه الي افشاء السلام والحب والاخاء والتمدن والتواصل والتودد لان معني اصلاح ذات البين لايتم الابذلك وهذه دعوه لكل مسلم الي حسن الخلق وازاله كل مظاهر تفريق الكلمه وبهذا اقام الاسلام دوله الايمان التي جمعت فيها الوان مختلفه من الناس فرس وعرب وروم واحباش اقامت اول عصبه للامم اجتمعوا علي اخوه الدين بغض النظر عن الوطن والعرق والدم والنسب والقبيله

لقد جمعهم هدف عباده الله والعيش لاجل طاعه الله فكان من السهل عليهم التخلص من عوائد الجاهليه التي كانت تفرق بين الجهات وبين القبيله والقبيله بل بين الافخاذ داخل القبيله الواحده فقد جمعهم الاسلام حول نسب الايمان

وفي هذا الاطار تنتقل النصوص الي الامر بالانضباط والالتزام بما في منهج الله فقال تعالي (واطيعوا الله ورسوله)

يدعوهم الي طاعه الله ورسوله واحترام النظام والشرعيه الدستوريه فالتشريع حق لله خاص لايجوز لاي كان الخروج عنه فهي مما امر الله به من التقوي واصلاح ذات البين وغير ذلك وربط ذلك بالايمان فقال تعالي (ان كنتم مومنين) فالعقائد في الاسلام توقيفيه لايجوز اضافه شي اليها او حذف شي منها فاللازم القبول بامر الله ورسوله فالله يقول في موضع. اخر (وما كان لمومن ولا مومنه اذا قضي الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيره من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)

وبالتالي فان المفهوم المخالف لهذا يعني ان الذي يخالف المنهج الرباني ليس بمومن والمخالفه هنا انما تكون برفض القبول بها او حجود مافيها اعتقادا اما الذي ينقص من طاعه الله فهذا ناقص ايمان فالمراد بهذا

تحصين الاحكام بقوه الايمان الدافعه لقبول حكم الله ورسوله بالرضا والتسليم كما قال الله (فلا وربك لايومنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدون في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

الموضوع الثاني

تضع السوره فلسفه المستقبل الاسلامي الذي انتقلت فيه الامه الي مرحله جديده في حياه الامه ولهذا سميت السوره بسوره الفرقان لانها اول مواجهه بين الحق والباطل فمثلت مرحله فاصله في تاريخ الامه فجعلها مفترق الطرق بين الخير والشر في الدنيا والاخره

فمجي السوره اعقاب غزوه بدر فكان مناسبا ان يخبر الله عباده ان النصر الذي تحقق لايتوقف عند مجرد هزيمه الكفار والمشركين ودحرهم عن ارض الاسلام فان ذلك النصر هو منه من الله تعالي تمهيدا للنصر الاكبر الذي ينبغي ان يخوضوه المسلم ولهذا نجد ان السوره ابتدات بهذه الاستهلاله (يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله ....الخ

تحدثنا عن ميادين المعركه التي يجب الانتصار عليها فذكرت

الامر الاول

ان اول معركه بعد النصر في معركه الفرقان هي معركه التخلص من حب متاع الدنيا وملذاتها فيجب ان تخوض هذه المعركه فاحذر ان توثر الدنيا علي الاخره لان ذلك يودي الي الغفله وضياع الاهداف الاساسيه من وجودك علي الارض والذي من اجله شرع امر الجهاد فقال تعالي (يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله ..الخ

انتبه ان تتغلب علي تفكيرك حب المال والغنائم فتصير هدفا وغرضا لخروجك للقتال فان هذا انحراف عن الغايه والهدف من القتال ...

الذي يهدف الي اعلاء كلمه لا اله الا الله ...ولهذا فعليك بايثار الاخره علي الدنياوهذا يتطلب منك تحديد الحاضر والمستقبل تحدد الحاضر الذي تريد ان تتخطاه والمستقبل الذي تريد ان تحياه وهذا يتوقف علي الايمان باليقين بالله وعده ووعيده وثوابه وعقابه وجنته وناره ولهذا قال تعالي في نهايه الاولي (ان كنتم مومنين)

لان الايمان يجعلك تحدد المستقبل الذي تريد ان تحياه وهو جنه النعيم التي جعلها الله ثمن من قدم نفسه وماله في سبيل الله فقال تعالي في موضع اخر (ان الله اشتري من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنه) ولهذا فان تحديد الصله بين الحاضر الذي تعيشه والمستقبل الذي ترجوا الوصول اليه يجعلك تختار ما عند الله من النعيم فهذا هو النصر والفوز الذي هو هدفك الذي تشتاق اليه اي الشوق لما عند الله وهو يولد التزهيد عن الدنيا ومافيها وكذلك عليك ان تراقب الله في اعمالك واعلم ان الدنيا ومافيها زائله وانك مسافر الي الله والدار الاخره وهي الحقيقه الابديه اما سعاده واما شقاء فقال تعالي (فاتقوا الله)

عليك ان تنظر الي النار ومافيها من عقاب حتي تشكل لك الاشفاق علي نفسك من العذاب قوه صبر تدفعك الي ترك ماحرم الله عليك وحتي يكون ايثار الاخره علي الدنيا انظر الي عمرك في الدنيا فهو قصير فلا يغرنك طول الامل فان ذلك من اسباب الغفله ولهذا فعليك ان تراقب الموت ليكون دافعا الي طاعه امر الله واجتناب نواهيه

الامر الثاني

المعركه الثانيه هي المعركه بين الجاهليه التي غرست عوائد في النفوس ولذلك فهو تصارع نور الايمان الذي حمله القران وتحاول العوده بهم الي الماضي الجاهلي ولهذا فان الايمان يقتضي ايثار العلم علي الجهل ولهذا فان المومنون اعتبروا مجرد التفكير في متاع الدنيا اساءه اداب لانهم فهموا معني الايمان بانه يتطلب فك الا رتباط بالماضي الجاهلي وبدايه ميلادهم الجديد وهذا التفكير من ثمار ايثارهم العلم علي الجهل فماذا نقول نجن اليوم وقد انشغلنا بملذات الدنيا والتفاخر بها فاصبحت همومنا كلها تنصب حول الدنيا التي اصبحت مبلغ علمنا حتي وصلنا الي نسيان الاخره

الامر الثالث

تبين الايه ان النصر الذي تحقق في بدر ينبغي ان تظهر معه الارداه الايمانيه المتماسكه التي تخلق سلوك جماعي يجتمع حول هدف اعلاء كلمه الله وحمايه الحق وحراسته تلتحم فيه ارادت المسلمون كلهم حول حمايه مكاسب الثوره والانتصار من ان تضمحل فهذه هي النتيحه الحتميه للنصر علي الاعداء فهذا هو الانتصار الاكبر الذي تمتد اثاره من الدنيا الي الاخره فهذا الانتصار عظيم لانه يودي الي انهيار حسابات الاعداء واستراتجيتهم التي تلجا. بعد الهزيمه في ميدان المعركه الي هندسه خطط بديله تعتمد علي التفريق بين الارادت وتمزيقها الي كيانات ضعيفه وهذا هو حال المسلمون اليوم فنجد ان العدو الصهيوني يعبث بمقدسات الامه. ينهب ويقتل ويسفك الدماء مستغلا التمزق والتشرذم في الامه الاسلاميه للاسف الشديد نتيجه تمزيق الاردات

ولهذا تبين الايه ان النصر الاكبر ليس الانتصار علي الباطل وانما النصر الاكبر هو الذي يمتد اثاره من الدنيا الي الاخره وهذا لايتحقق الا بتحويل العقيده الي واقع حياه تذوب فيها الانانيه والذوات وان تعيش لله تعالي و التنافس علي طاعه الله واعاده خلق المجتمع المسلم وفقا للصوره التي يريدها الله ولهذا فلن نبلغ مرتبه التطور الاجتماعي الا بعد ان نخلق السلوك الجماعي بحيث يجتمع جميع افراد المجتمع المسلم حول هدف الجهاد وهو اعلاء كلمه الله ينظرون لذلك انه المصلحه التي يجتمعون حولها و هو الذي يخلق ارداه ايمانيه ينشا عنها سلوك جماعي يبرز في الساحه للاسهام في تخليص الامه من اعداءها اتحاد الاردات الذي يجعلهم يرفضون بالواقع السطحي الذي يعيشونه ويرفضون اهدار طاقات المجتمع في الخلافات لانه من السهل ادعاء فك الارتباط بالماضي لكن وصل الارتباط بالمستقبل هو الصعب لانه يتوقف علي وضع حياتك كلهاضمن ذلك الهدف وهو ان تعيش لله تعالي حياتك كلها ولهذا جاء التفريع بالفاء فاتقوا الله ...وقال بعدها (واصلحوا ذات بينكم)

يقول لهم ان تحقيق النصر الاكبر الذي يظهر الارداه الوحده للامه انما هو ثمره من ثمرات التقوي التي تربط بها مستقبلك ويسهل عليك التخلص من عوائد الجاهليه فما ورثناها من عصبيات ونعرات ليست كالصفات الوراثيه صعب التخلص منها بل هو امر سهل وفي وسعنا محو اثارها السئيه واستبدالها بصفات افضل منها ولها فاعليه

من خلال الموعظه الحسنه (فاتقوا الله) فانها مراقبه كل واحد منا لنفسه وتزكيتها سوف يودي حتما الي نبذ العصبيه وكذلك فان اطلاع الناس بقواعد حسابيه علي النتائج الجيده التي ستعود عليهم من خلال اتحاد الارادت وتفاعيل الطاقات المعطله ومافي الاخوه من قوه وكسر الاعداء وتحقيق الغايات والاهداف في الدنيا و الاخره عندئذ سوف تظهر الاراده الواحده لامه الاسلام متجهه صوب هدف واحد وهو اقامه الحق وحمايته و الحفاظ عليه وهذا لايتحقق الا بتضميد الجراح وانهاء الخصومات واطفاء نار الصراعات فالهدف من الجهاد ليس الغنائم ولا الزعامه وانما اعلاء كلمه الله وكرامه المسلم ولهذا فالنصر بنظرهم هو البدايه وان اعلاء كلمه الله هو الغايه حتي يكون الدين كله لله ولهذا ينبغي ان يتسابق جميع المسلمين كلهم الي الاسهام في تحقيق النصر بجديه واخلاص فالكل يقاتل في سبيل الله كلا من موقعه من يقدر علي حمل السلاح قاتل بالسلاح ومن يملك المال وغير قادر علي القتال فانه يجاهد بالمال ومن لديه خبره قاتل بها وهكذا يتم تفعيل جميع الطاقات

فالجميع يتسابق في طاعه الله ورسوله في اتباع منهج الله تعالي

الموضوع الثالث

اهميه وجود التنظيم الايماني ولهذا قال تعالي (ان كنتم مومنين)

تعقيبا علي حكم الانفال والامر بالتقوي واصلاح ذات البين وسياده الشرع (كتاب الله وسنه رسوله)

فليس بالاتيان في الشرط ب(ان) تعريضا بضعف ايمانهم ولا انه هنالك شك فيه من ان صدورهم فيها شك بناءا علي ذلك فليس هذا وارد في هذا الشرط وانما المراد به للتحريض علي اظهار الخصال التي يتطلبها الايمان والمراد بهذا تحويل النظريات الي واقع عملي والشعور ان الانتساب الي جماعه الايمان يستوجب ان تنجح في الاختبار العملي بدليل قوله بعدها (انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلي ربهم يتوكلون

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

فاراد بهذا ان يعلم المومنين كيف يكونوا اقوياء وكيف يكونون قاده التغيير فهم الطليعه التي تحمل امال الامه وهم مكلفون بالقضاء علي الظلم والفساد والتخلف فاي ثوره لابد لها من اهداف وغايات تقاتل من اجلها ولهذا يحدد القران الهدف من الجهاد بانه لاجل اعلاء كلمه الله وليس لاجل الغنائم فهذه هي مهمه الطليعه ان تلتزم بالمنهج الرباني الذي فيه تحديد اهداف الثوره فلا تخرج في صياغه اهداف الثوره عن النصوص الورداه في الكتاب والسنه ولهذا كان السياق متناسقا مع مناسبتها لما قبلها التي قال الله فيها (واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مومنين) حيث اقتضي هذا كون الايمان مستلزم للطاعه ولهذا شرح في هذه الايه مزيدا من التفاصيل لان الطليعه بحاجه الي استعياب الطريق الذي يودي الي تحقيق الاهداف والسعي الي جعل الهدف سلوكا عاما يلتزم به الحكام والمحكومين ولهذا فان افتتاح السوره بذكر حكم الانفال بعد ان ساء خلق الصحابه بشان تسالهم عن كيفيه تقسيم الغنائم اظهر اهميه وجود التنظيم الايماني الثوري الذي يتوسط بين النظريه و الممارسه اي بين هدف الثوره وتحقيقه فكان مجي هذه التوجيهات والارشادت بعد واقعه بدر التي مثلت انتقال عظيم وهائل في تاريخ الامه ولهذا سميت بالفرقان اي ماقبل بدر ليس كما بعدها فحصول هذا النصر يتطلب اعاده صياغه ا لتنظيم الايماني الذي عبر عنه الرسول صلي الله عليه وسلم فقال (المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا) فهذا البينان هو التنظيم السياسي الذي يراه الاسلام بعد ان امنوا لايعير الاسلام ماضيهم لان ولاتهم بالايمان بدايه لصفحه جديده في حياه كل واحد فهو يقيمه بحسب ولائه للدين الجديد وقدرته علي الانضباط بتعاليمه الجديده واستعداده للدفاع عنه ولهذا يقول لهم الحق (ان كنتم مومنين)

عليكم بالالتزام بهذه التوجيهات

وقال بعدها (انما المومنون ....الخ

ولهذا نجد تكرار النداء(يايها الذين امنوا) في سته مواضع في هذه السوره وهذا يهدف الي شد الانتباه ان الاهداف والقيم والمبادي معرضه للخطر يتوجب عليك حمايه الثوره واهدافها من مخاطر الثوره المضاده التي تنشا عقب كل ثوره في كل زمان و تسعي االي اسقاط اهداف الثوره وافشال المشروع فتبدا باستهداف المبادي والقيم فان استطاعت ان تصيبها سهل عليها بعد ذلك اسقاط دوله الثوره ونظامها ولهذا فان تكرر النداء يهدف الي غرس قوه طاعه الله ورسوله في النفوس و احترام المبادي والتوجيهات الربانيه والعمل بما في القرن لان ذلك فيه سبب القوه والنصر ـ فهذا التكرر حافز للطليعه المومنه التي تعبير التنظيم الذي يحمل الاهداف و المبادي ويومن بهاويقوم بحراستها من اي متربص سواء كان عدو او افكار تمس هذه المبادي او عادات او تقاليد جاهليه يقول لهم انتم حراس الثوره وافكارها واهدافها ومبادئها وقيمها انهضوا لمحاربه من يعتدي عليها فحمايه المبادي تحتاج الي ثبات وصمود وصبر في المعركه وعدم الهروب من مواجهه الاعداء سواء في حاله الحرب بالسلاح او خوض معركه المواجهه والجهاد بالكلمه فاراد بهذا الانتقال من مرحله التنظيم الثوري الي مرحله تنظيم الثوره نفسها حتي لاتنتقل مفاسد عادات النظام الجاهلي الي اجهزتها وبنيانها ولهذا نجد ان مضمون الندا الاول هو الصبر والثبات يحذرهم من الفرار في مواطن القتال واما النداء الثاني يدعوهم فيه الي السمع والطاعه لله وللرسول واما النداء الثالث يدعوهم فيه الي الاستجابه لله وللرسول لما يدعوهم فيه واما النداء الرابع يدعوهم فيه الي عدم افشاء اسرار الدوله. ويعد ذلك خيانه لله وللرسول واما النداء الخامس فيه التنبيه الي ثمرات التقوي واما النداء السادس فيه بيان طريق العزه والنصر بالصبر واستحضار عظمه الله والاعتصام بحبل الله وذكر الله كثيرا

الامر الثاني

ان مجي الايات باسلوب القصر (انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلي ربهم يتوكلون)

اسلوب مدح وثناء لبيان اهميه انشا التنظيم الثوري الذي يحافظ علي اهداف الثوره ويمنع اضمحلال النصر العسكري بالتحول من قياده ثوره الي زعامات فساد تفرط بالامانه فتصبح اهداف الثوره مجرد شعارات فارغه من مضمونها وقد شاهدنا في العصر الحديث كيف ان الحكام تحولوا الي قاده نهب ثروات الامه وفرطوا في القيم والمبادي وانسلخوا عن شعوبهم وعن اوطانهم واصبحوا تابعين لاعدا ء الدين

فصارالمسلم غريبا في وطنه يعيش وسط مجتمع ينظر الي الاسلام انه الصلاه والصيام والحج ...لم تعد النخبه تحمل امال الشعوب وطموحاتها ولا تقوم بواجبها في حمايه الدين بل انها صارت محاربه للدين

ولهذا نجد مجي النصوص باسلوب المدح والثناء للترغيب في الايمان الكامل الذي يترتب عليه المدح الثناء والفوز التام حيث نفهم من هذا ان الايمان نوعان ايمان كامل يترتب عليه المدح والثناء والفوز التام وايمان دون ذلك فذكر الايمان الكامل فقال تعالي (انما المومنون)

فمجي ال التعريف في قوله (انما المومنون) لافاده الاستغراق لشرائع الايمان يقول ليس المطلوب قاده مغرورن او متكبرون او ظالمون فليس المشاركه في قيام الثوره تصاريح مرور الي الظلم والاستبداد والغاء سياده الشرع فليس هذا الغرض من التنظيم الايماني الذي يقود عمليه التغيير ولكن المومنون الكمل هم الذين يحولون النظريات الي واقع الممارسه الفعليه فالانسان عندما ينتسب الي دين فانه يتلقي نظريات ولهذا فاننا نجد انفسنا امام العديد من التساولات هل الايمان باللّٰه مجرد معرفه فقط وماحقيقه الايمان وهل

الايمان يزيد وينقص او يظل ثابتا لايتاثر وماهو الشرك وانواعه والعقيده الاسلام تعطينا الاجابات عن هذه الاسئله بحكم ان مهمه الدين تتطلب تعريف اتباعه المومنين بالخصائص والتفاصيل ولهذا فان القران يعيطنا الاجابه الواضحه عن ذلك فقال تعالي (انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلي ربهم يتوكلون

يقول احمد بهجت في كتابه الله في العقيده الاسلاميه

لوتاملنا الايه الكريمه فسوف نلاحظ انها تحدد المومن بثلاث علامات

العلامه الاولي

ا(ان مجرد ذكر الله يملا قلبه بالمهابه والوجل ...والوجل احساس ناتج عن التجرد والاكبار والدهشه التي يحسها العقل امام الله)

فذكر الله بذكر اسمه وذكر عظمته وثوابه وعقابه ورحمته وجنته وناره يحصل معها الوجل في قلوب كمل المومنين لماذا لانه يحصل لهم استحضار جلال الله وشده باسه وسعه ثوابه فيبعث ذلك الاستحضار توقع حلول باسه فيودي الي الاشفاق وهو ما يدفع الي ترك المحرمات ويبعث المومن علي الاستكثار من الخير توقي عذاب الله

العلامه الثانيه

هي اقامه الصلاه

العلامه الثالثه:- الانفاق مما رزقه الله تعالي

اي ان الايمان امر يتصل بالفكر والمشاعر والعباده والاقتصاد

حيث وان الوجل القلبي شعور مصدره العقل ولهذا جاء تقديم اعمال القلوب لانها اصل اعمال الجوراح ولا منافاه بين الايه وقوله تعالي في موضع اخر (الا بذكر الله تطمئن القلوب) ولا قوله (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) لان الوجل هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من اليقين وانشراح الصدر بمعرفه التوحيد وهذا هو مقام الخوف والرجاا ء كما قال في موضع اخر (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله) اي عند حصول الرجاء

فالمومن اذا ذكر الله خاف من الذنب الذي يستوجب العقاب ولهذا فانه يكون في حاله يقظه وكذلك فان المعرفه بالله توجب زياده الايمان ولهذا جاء اسناد فعل الزياده الي الايات فقال تعالي (واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا) اشاره الي اعتبارها سببا في زياده الايمان الناتج عن التفكر والتدبر فزياده المعرفه تودي الي زياده الايمان كما قال تعالي (واذا ما انزلت سوره فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يسبشرون) وزياده الايمان يودي الي زياده العمل فالايمان يصفه الله انه يتركب من عوامل كثيره وقد اخبرنا الرسول صلي الله عليه وسلم انه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ولهذا فان علي العبد الاستعانه بالله والتوكل عليه باعتبار التوكل حامل علي الاعمال الصالحه ولهذا جاء الفعل يتوكلون بصيغه المضارع لافاده التكرر والتجديد

فالوجل القلبي شعور مصدره العقل .....والصلاه رمز للعباده وهي عمل مادي وحركات ركوع وقيام وسجود ... والانفاق كنايه عن الاقتصاد وهو سلوك

فهذا هو الايمان الذي يحدثنا عنه القران كما عرفه احمد بهجت في كتابه الله في العقيده الاسلاميه بانه اعتقاد عقلي يوثر في احاسيس القلب وهو عمل تقوم به الجوراح في العبادات وهو سلوك اقتصادي يطبع تصرفات المومن

ولهذا فيجب ان لاننكر دور الفكر في الايمان ولكن الفكر وحده لاينفع بدون العمل فالايمان بوصفه يزيد وينقص يعني انه يظل مترددا في هذا الاطار فاذا اذنب ولم يعد للايمان فان ايمانه ينقص شئيا فشئيا حتي اذا اصبح رصيده صفرا فانه بعدها يدخل النار لقوله تعالي(بلي من كسب سيئه واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) فالسئيه نوع من الظلم فاذا زاد نسبته فانه يصير اسير الخطيئه ويدخل منطقه الفسوق يقول ابوحنيفه(فاذا زاد فسقه وصار طبعه هو المعصيه لله والرسول وتعدي حدوده استحق النارهو والكافر سوا لقوله تعالي (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها)

الموضوع. الثالث

يجب ان يكون التنافس بين عناصر التنظيم السياسي هو القيام بنقل النظريات الي الواقع الملموس باعتباره المسئول عن قياده الجماعه في مرحله التغيير واثناء بناء الدوله وتطويرهاو حمايه القيم والمبادي والقضاء علي الظالم وهدم نظامه واقامه مكانه نظاما سياسيا واجتماعيا جديدا يحقق العدل والحريه والمساواه بين افراد المجتمع فيجب الانتباه من تحول القيادات عن دورها الي. الصراع بين العناصر المتزاحمه علي المراكز القياديه ولهذا نجدان الايات ترسم لنا احوال الجماعه الاسلاميه وواقعها الذي كانت تعيشه بعد قيام الدوله فابتدات السوره بقوله تعالي

(يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله

حيث ان من اهم دواعي نزولها هو التسال الذي حدث من الصحابه عن كيفيه توزيع الغنائم والارجح ان هذا التسال الذي اعتبر اساءه اداب منهم استلزم نزول الايه لتربيتهم لم يكن دافعه حب المال والتعلق به لاننا نعرف ان اهل بدر هم خيره اهل الارض ونعلم انهم لم يكونوا يطمعون بالاموال فالمهاجرون تركوا اموالهم في مكه هربا بدينهم وكذلك فان الانصار استقبلوا المهاجرين وتقاسموا معهم اللقمه الواحده

وبالتالي فلابد ان هنالك سببا اخر دفعهم الي التنافس. الذي احدث بينهم تزاحم حول ذلك وبالوقوف علي واقعهم نجد ان الغنائم ارتبط بها شهاده للتفاوت في البلاء الذي بذله كل واحد ولم يكن التنافس بدافع الحرص علي المال فلايمكن ان يحدث التنازع بينهم علي المال والغنائم حرصا علي الغنائم بذاتها وانما كان حرصهم علي شهاده الله ورسوله لهذا كانوا يتسابقون علي هذا الكمال خاصه وانهم في اول معركه بعد قيام الدوله الاسلاميه ولهذا حدث هذا التنافس علي الغنائم

ولهذا نزلت الايات للاتي

الامر الاول

لتربيه المومنين علي الانتباه من تحول التنافس علي الخير الي اداه هدم اخوه المومنين فاللازم التنافس علي الاشتراك في تاسيس دوله العدل وتكافوا الفرص والتلاحم فالدوله تحتاج الي جهود بناءه متناسقه ومتكامله ومتعاونه ومنسجمه وفتح الباب للمتفوقين والمجتهدين للمشاركه الايجابيه في بناء الدوله فالاسلام لم يضع الناس كلهم في قوالب واحده وانما ترك للمجتهدين والمثابرين ان يحصلوا علي نتائج اجتهادهم ومثابرتهم في اطار التراحم والتاخي بين افراد المجتمع

فالله يقول في موضع اخر (ولاتبخسوا الناس اشياءهم) وقال (ولكل درجات مما عملوا .)

فالتنافس بين الكفاءت واصحاب المواهب والمبدعون بالمثابره والاجتهاد امر مرغوب به في الاسلام لكن لاينبغي ان يصبح مجرد صراع بين افراد المجتمع المسلم يمزق وحده الكيان

الامر الثاني

ان التنافس الحقيقي هو علي اعمال الخير للوصول الي القرب من الله ورضاءه تنافس درجات الجنه ونعيمها وليس تنافس علي المناصب في الدنيا ومافيها وهذا يتطلب الزهد عن الدنيا ولهذا فان الانسان بحاجه الي سلاح التقوي الذي يخلص القلب من التعلق باعراض الدنيا والتنازع عليها فقال تعالي (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ..الخ

فامرهم بالخوف والخشيه والاخلاق الفاضله والوفاء بعهد الله الذي قطعوه بالسمع والطاعه والامر بتقوي الله هنا يحذرهم من الانشغال بالدنيا عن الاخره ولهذا فان الامر بالتقوي امر لهم ان يتفرغوا من هموم الدنيا كما ورد في الحديث (تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فانه من كانت الدنيا اكبر همه افشي الله عليه ضيعته وجعل فقره بين عينه ومن كانت الاخره اكبر همه جمع الله له امره وجعل غناه في قلبه وما اقبل عبد بقلبه الي الله عزوجل الاجعل الله قلوب المومنين تنقاد اليه بالموده والرحمه)

ولهذا فانه بالوقوف علي الحديث نجد ان الرسول صلي الله عليه وسلم يبين لمن يجعل الدنيا اكبر همه انه تعالي يكثر عليه معايشه ليشغله عن الاخره ويجعله يشهد نفسه دائما فقيرا محروم ولهذا فان مجي الايه بالامر بالتقوي هنا مناسبا لهذا المدلول والتنازع الحاصل بشان الغنائم

فالحق سبحانه وتعالي هنا يامرهم بان يتعاهدوا قلوبهم باسباب الاخره

وعرضه لذلك يامرنا بصيانه قلوبنا عن اسباب الدنيا ومن ذكر كل ما يجر الي الحرص والرغبه في الدنيا يقول لك عليك ان تتعاهد باصلاح نفسك عندما تجد همه والزمه الفكره في امر المعاد فلا يفارق قلبك ذلك

عليك ان تراقب الله في معرفه انعامه واداء حقها بالشعور انك سوف تسال عن الانعام التي انعم بها عليك ..فيجب ان تشعر نفسك بالخوف من هذا المقام الذي سوف تقفه امام الله سوف تسال عن مالك كيف جمعته وفيما انفقته وسوف تموت وتترك المال وكل شي ومن جهه اخري. فان الشعور بواجب القيام بشكر الله تعالي علي ما انعم به عليك من امر الدنيا يتطلب ان تنظر اليه نظره استكثار حتي تشغل نفسك بما في شكر الله بمل في يديك من امر الدنيا عن امر الدنيا ومحبه الزياده واذا جمعت هذامع خوف العاقبه بما في يدك اذا قصرت بحق الله فان هذا يودي الي القناعه والرضا بما انعم الله عليك

ولهذا فان دور التقوي هنا هو التاليف بين القلب وبين محمود العاقبه حينها تزهد النفس عن الدنيا وتتحول قوه الرغبه والحرص من طلب الدنيا الي طلب الاخره

فقال تعالي تعقيبا علي ذلك (ان كنتم مومنين)

يستجش فيهم صفه الايمان يقول لهم المومن الحقيقي لاتشغله الدنيا عن الاخره والتصديق الحامل علي طاعه الله ورسوله ولزوم منهاج الحق

فالمومن لايسمح لقلبه في استصحاب ما يعسر طلبه ولهذا فان الانشغال

بالغنائم والتعلق بحبها لايكون الا من غير المومن لان المومن انما يحرص علي الاخره ويرغب بها فهو يطلب الزياده في اعمال الاخره لاالزياده في محبه الدنيا فقال تعالي (انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلي ربهم يتوكلون

وهذا فيه

المفهوم الاول

يقول العارفين بالله

ان زهد كل زاهد علي قدر معرفته ومعرفته علي قدر عقله وعقله علي قدر قوه ايمانه.

ولهذا يصف الله لنا المومنين في هذه الايه بالخوف والوجل عند ذكر الله وذلك لقوه ايمانهم ومراعاتهم لربهم وكانهم بين يديه (تفسير القرطبي)

ونظير هذه الايه (وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وقال (وتطمئن قلوبهم بذكر الله)

فهذا يرجع الي كمال المعرفه وثقه القلب والوجل الفزع من عذاب الله

فهذه هي حاله العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقابه لاكما يفعل اهل البدع وبعض العوام اليوم من النهيق والزئير والنعيق ويزعمون انهم ان تعاطوا ذلك وجدوا خشوع

فالرسول صلي الله عليه وسلم والصحابه الذين لم يصل احد الي ماوصلوا اليه من المعرفه والايمان واليقين و الخوف من الله والتعظيم لجلاله ومع ذلك كانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفا من الله ولذلك وصف الله احوال اهل المعرفه عند سماع ذكره وتلاوه كتابه فقال (واذا سمعوا ماانزل الي الرسول تري اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين)

فهذا هو كمال المعرفه وكمال الايمان الذي كان عليه حال الرسول صلي الله عليه وسلم وصحابته الكرام وبالتالي فان من يخالف وصف حالهم فانه لايكون علي طريقهم الذي اهتدوا به

المفهوم الثاني

تبين الايات حق الله علي العباد وهو التقوي اي الخضوع والاذعان والاستسلام لامره وتلقي امره بالتعظيم والاجلال وحق الناس علي الناس وهو الاحسان اليهم والرحمه وجماع هذان الامران الذي يقوم عليه حياه المسلم في الصلاه والزكاه فقال تعالي (الذين يقيمون الصلاه ومما رزقناهم ينفقون)

لان الصلاه فيها بيان حق الله علي العباد بتلقي امره بالخضوع والتعظيم والاذعان والاستسلام فحقيقه العبوديه ان لاتري لنفسك ملكا وتعلم انك لاتملك لنفسك ضرا ولانفعا واما الزكاه فان فيها حق الناس علي الناس بالتراحم والاحسان اليهم ولهذا نجد ان السوره ابتدات بنفي اي ملك للناس في الغنائم واخبرهم الله انه تعالي الذي يملك ذلك ثم ذكر ان الواجب علي الناس تقوي الله في ذلك بالاخلاص في الجهاد وعدم الانصراف عن الهدف من الجهاد وهو ارضاء الله الي طلب الزياده الغنائم فالاخلاص كما يقول المحاسبي يعني ان تخرج الخلق من معامله الله والنفس اول الخلق ولهذا لاتاذن لقلبك باستطحاب مايعسر طلبك فعليك ان تنظر انك سوف تقف بين يدي الله وامرهم بعدها بالتسامح والعمل علي اصلاح ذات البين وطاعه الله ورسوله مبينا ان ذلك من موجبات الايمان ولهذا قرن بين الصلاه والزكاه في الايه فقال بعدها (اولئك هم المومنون حقا) حقق لهم الايمان بعدما ذكر ما

المفهوم الثالث

عليك ان تفهم ان الايمان ليس بالتمني وانما بالعمل بالحرص والرغبه علي طاعه الله واجتناب نواهيه فقال تعالي (اولئك هم المومنون حقا)

بعد ذكر ان المومنون الكمل هم الذين يتسابقون علي طاعه الله عن معرفه وتذوق حلاوه الايمان فتاثرهم عند ذكر الله تدل علي استقرار الايمان في اعماق نفوسهم فصارت انفسهم حريصه كل الحرص وراغبه فيما عند الله تعالي ولهذا فانهم يستعملون اداه الطمع التي بينت عليها الانفس في طلب الزياده في اعمال الاخره بالحرص عليها والرغبه بها

فما لديهم من الشره والحرص وهيجان الرغبه استعملوها في طلب الاخره ولهذا جدوا في طلبها وجمعوا الات ذلك التقوي والاحسان الي الناس بطلب اسباب الاخره فهولاء الذين اشار اليهم الله هم المومنون حقا لان من استعمل الطمع في طلب زياده الدنيا فانه يفقد قوه ايمانه شئيا فشئيا حتي اذا قهرته هذه الافه استعبدته علي موافقه هواها فاذهلته واذلته فيصير احمقا جاهلا فمال بعلمه وعقله وفهمه ولهذا استخدم اسم الاشاره (اولئك هم المومنون حقا)

عقب ذكر صفات المومنون للدلاله علي انهم احرياء بالحكم المسند الي اسم الاشاره من اجل تلك الصفات فكان المخبر عنهم قد تميزوا للسامع بتلك الصفات فصاروا معرفين بحيث يشار اليهم في هذه الجمله التي قصر الايمان عليهم وذكر الثواب بعده (لهم درجات عند ربهم ومغفره ورزق كريم)

اي مراتب ومنازل عاليات يرتقون بها عند الله. في جنات النعيم كما قال تعالي (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون)

وكما قال تعالي (وللاخره اكبر درجات واكبر تفضيلا)

فهذا هو مجال التنافس بين المومنين والتسابق هو الاعمال الصالحه بالتفاني في خدمه الاخرين لاجل ارضاء الله تعالي

القسم الثاني من المقطع الاول

ان من اهم المواضيع التي تناقشها السوره هي موضوع قوانين النصر والهزيمه حيث انه بالوقوف علي النصوص نجد انها تذكر نوعين من الاسباب للنصر او الهزيمه

السبب الاول

تبين النصوص ان امر النصر بيد الله تعالي فهو القادر علي كل شي وان الناس ماهم الا اداه ستار قدرته فقال تعالي (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم

واما السبب الثاني

فهو التخطيط والاعداد للمعركه بالاخذ بالاسباب مع التوكل علي الله فقال تعالي (واعدوا لهم ما استطعتم من قوه ومن رباط الخيل ترهبون الخ وهذا هو مفهوم التوكل الحقيقي الذي جاءت به السوره فقال تعالي (وعلي ربهم يتوكلون)

اي الاخذ باسباب التوكل علي الله واليقين بان النصر من عند الله فتنطلق من هذا الاساس بعد ان تاخذ بالاسباب ليأت النصر

فالسوره تطرح هذا الموضوع في مرحله حساسه من تاريخ الامه لتعالج امراض لايخلو اي مجتمع منها حيث ان البعض يعتقد ان النصر معجزه ربانيه فقط وان لم تبذل الجهود من قبله وان لم يقوم بالاخذ بالاسباب

ولهذا يتذمرون قائلين لماذا لاننتصر علي العدو ونحن مسلمون وهم كفار لماذا تاخر النصر لماذا تقدم العالم في

اننا متاخرون عن الامم

يقولون لماذا نري الغرب يتحكمون في عالمنا الاسلامي وينتصرون علينا رغم كثره الدعاء في المساجد بطلب اهلاك الكفار ونصره المسلمون

فهذه النظره الضيقه تجهل حقيقه ان الدعاء وحده لايكفي دون بذل الجهد والاخذ بالاسباب فلابد من التخطيط والاستعداد بقدر المستطاع

وكذلك فان هنالك من يقدس الاسباب ويعتبر ان الاسباب وحدها هي التي تجلب النصر وهذا فيه تجاهل ان الله هو الفعال لمايريد والاسباب بيده فالاسباب الماديه تحتاج الي الثقه بان النصر من عند والي الاخذ باسباب النصر باصلاح علاقتك بالله فهذه من الاسباب التي تصل العبد برحمه الله فالله يقول (ومن يتق الله يجعل له مخرجا)

ولهذا نجد ان المولي سبحانه وتعالي يخبر عباده عقب غزوه بدر عن اسباب النصر والهزيمه وقوانينهما فابتدات الايات بالحديث عن السبب الله مبينه ان النصر من عند الله . فالايات تدعوهم الي الثقه بالله والتوكل عليه والاعتماد عليه لان صانع النصر هو الله تعالي ودليل ذلك الترتيب لمعركه بدر فالمسلمون لم يكونوا مستعدين للمعركه فقال تعالي (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المومنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كانما يساقون الي الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدي الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكه تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون)

اولا

يدعوهم المولي سبحانه الي الثقه بالله والتوكل عليه.والاعتماد عليه لانه صانع النصر سبحانه وتعالي ويخبرهم ان ذلك هو الترتيب لمعركه بدر فالمسلمون لم لم يكونوا مستعدين للمعركه ولهذا يخبرهم الله ان عليهم ان يتاملوا الي واقعه بدر فقد خرج المسلمون في هذه الغزوه لاخذ قافله وعير المشركين القادمه بقياده ابو سفيان من الشام تعويضا لهم عما نهبه المشركون من المسلمين في مكه

لم يكونوا مستعدين للقتال وانما خرجوا لملاقاه الفئه الضعيفه التي تحرس العير فلما ان علموا ان قريشا قد نفرت بخيلها وركبها وشجعانها كرهوا اللقاء كراهيه شديده ليس جبنا بل لانهم لم يستعدوا للحرب

فمن الذي رتب للمعركه هذا الترتيب انه الله تعالي ...فالمسلمون لم يكونوا يريدون القتال ولم يخططوا له ولهذا يقول لهم ان النصر بيد الله وانكم ستار لقدره الله ومشئيته .والمراد بهذا الاستناد الي دليل الترتيب الالهي للمعركه هو الاتي

الدرس الاول

ان علي المومن. ان لا يجعل المعيار لما ينفعه وما يضره ميله وحبه ونفرته وبغضه بل المعيار هو ما اختاره الله له بامره ونهيه فانفع الاشياء للمومن هو الرضي بامر الله وامتثال امره ظاهرا وباطنا واضر الاشياء له علي الاطلاق معصيته لربه ظاهرا او باطنا فاذا قام بعباده الله مخلصا فكل مايجري عليه مما يكرهه يكون خيرا له واذا تخلي عن طاعته وعبوديته فكل ما يجري عليه مما يري انه محبوب انما هو شر عليه ولهذا جاءت النصوص تبين فساد معيار ميل النفس وحبها وبغضها للاشياء بعد حصول الاختلاف بسبب الغنائم حيث ان البعض كان كارها تقسيم الغنائم بالتسويه بينهم دون مراعاه التفاوت في ما بذله كل واحد من جهد في ميدان المعركه فابتدات الايه بقوله تعالي (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المومنين لكارهون

يجادلونك في الحق بعدما تبين ...الخ

انكم كما اختلفتم في الغنائم وامر تقسيمها كذلك كان اختلافكم بشان معركه بدر كراهيه ملاقاه الاعداء وقتال الفئه القويه لقد كنتم ترغبون بقتال قافله العير الضعيفه لان نفوسكم تكره المواجهه خوفا علي النفس بسبب فارق القوي ولهذا نجد ان الايه ترسم ما انتاب النفوس من ذبذات الخوف من مواجهه الخطر برغم طمانينه العقيده فاخبرنا انهم كانوا يتحركون مثل الذي يساق للموت (كانما يساقون االي الموت وهم ينظرون)

فهذا الامر هو حال كل نفس بشريه امام الخطر المباشر لان الغريزه التي خلقت عليها النفس. عند المواجهه و الشعور بالخطر المباشر لابد ان يتجلي فيها اثر المواجهه الواقعيه علي الرغم من الاعتقاد القلبي فالتطبيق العملي لابد ان يحدث فيه مثل هذه العوارض لكن المهم هو ان تثبت بعد ذلك وتمضي في الطريق وتواجهه الخطر معتمده علي الله واثقه بنصر الله فهذه الهزه التي تحدث للنفس اول مره سرعان ماتزوال بقوه الايمان

فاراد بهذا ان تفهم ان النفس تكره مواجهه العدو بقوتها الغضبيه بسبب الخشيه علي النفس من العدو وهو لا يدرك ان هذا المكروه فيه خير له في دنياه ومعاشه

الدرس الثاني

عليك ان تدرك ان الخير فيما اختاره الله لك وليس ميل النفس وحيها وبغضها فالخير الحقيقي بطاعه الله وامتثال امره فمصالحك كلها فيما اختاره الله لك فالناس لو مكنوا من الاختيار مصالحهم لانفسهم لعجزوا عن القيام بمصالحهم علما وعملا فانت لاتعلم العواقب التي تنتهي اليها الامور لكنه سبحانه وتعالي يتولي تدبير امور عباده بعلمه وحكمته ورحمته واحسانه فعليكم امتثال امره ولهذا ابتدات الايه بقوله (كما اخرجك ربك من بيتك) اضاف الخروج الي نفسه جل جلاله لبيان ان ذلك من تدبير الله تعالي والايه امتداد لرد الانفال لله و الرسول وقسمتها بينهم علي السواء بغض النظر عن التفاوت في البلاء بالقتال بينهم حيث ان البعض كان كارها التقسيم بالتسويه ولهذا استخدم (كما) للتشبيه المراد منه ان تفهم ان الله يعلم بعواقب الامور فقد يكون ماتراه مضره ياتي منه الخير الكثير وكذلك قد ياتي مما تراه منفعه شرا كبير ولهذا فلا انفع لك من الامتثال لامر الله وان شق عليك في البدايه لان عواقبه خير وفرح وسرور ولذه دائمه وان كرهته نفسك واترك مانهي الله عنه وان هويته نفسك ومالت اليه فان عواقبه وخيمه فعلي العبد التفويض الي من يعلم عواقب الامور وان يرضي بما يختار سبحانه وتعالي فالعبد لايملك ان يسال الله واويقترح عليه امورا يقول لنا الله ان صفه العبوديه ان لاتري لتفسك ملكا وتعلم انك لاتملك لنفسك نفعا ولاضرا وانما انت تتحرك وفقا لاراده الله وخير مثال لهذا معركه بدر فانتم كنتم تريدون عير قريش والله اراد ان تكسروا قريش في هذه المعركه فقال تعالي (اذ يعدكم الله احدي الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكه تكون لكم)

فهذا ما اردته الجماعه المسلمه الاستيلاء علي قافله قريش لم يكونوا يريدون قتال قريش لكن الله اراد ان يتفضل عليهم بمنه النصر علي قريش وهزيمتها اراد ان تكون هذه المعركه فاصله في تاريخ البشريه اردها معركه بين الحق والباطل يكون النصر فيها للحق اراد ان يقتل من الكفار من قتل ويوسر منهم من اسر ليكون ذلك قمع لكبرياهم امام القبائل العربيه ولتكون المعركه بدايه مجد الاسلام الذي ارداه الله فجعل المسلمون القله بمقايس البشر اداه تحقيق قدرته بتسيطر هذا المجد الذي حطم الطاغوت وكان مقدمه التمكين للمسلمين وبدايه عصر الدوله الاسلاميه فقد اراد الله ان تصبح للمسلمين قوه ودوله وسلطان اراد ان يمدها بالنصر الذي يصل اثاره الي القلوب المومنه لتومن باليقين ان النصر من عند الله لتصبح هذه الغزوه حقيقه مستقره في نفوس الاجيال وقلوبهم تصلهم بالله الي قيام القيامه تصبح هذه المعركه حاضره في اذهان المسلمون الي قيام الساعه كلما خاضوا معركه مع اهل الباطل في كل زمان ومكان يشعرون فيه ان الاتصال بالله هو القوه الحقيقه التي يتحقق به النصر فقال تعالي (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون)

فاذا انتصرت القلوب باخراج الباطل بكافه صورها من داخله. باخراج كل تعلق بالمخلوقات من النفس بالاخلاص الخالص لله لايشوبه شائبه عندها يكون قد انتصر علي الد الاعداء وهو نفسه فالاخلاص يعني اخراج الخلق من معامله الله فانت تتعامل مع الله ولهذا فان الوصول الي مرحله الاتصال الروحاني بالله لابد ان تخوض معركه مع الضعف النفسي ولهذا فالنفس اول الخلق التي يجب اخراجها من المعامله مع الله فلا تطلب الشهره ولا حب المال ولاغيره لابد ان تقبل بامر الله فتحارب مافي نفسك من كراهيه القتال الذي وصفه الله انه فرض وهو كره علي النفس ولهذا فان الايمان باليقين هو السبيل الوحيد للوصول الي الانتصار في معركه النفس قبل بدء المواجهه والقتال عندها يسهل الانتصار علي الباطل واهله هذه اهم القواعد التي يجب علينا اعاده انشاء الامه المسلمه اليوم اذا اردت استعاده فاعليتها وقوتها علي اساسها علينا ان نستفيد من غزوه بدر واسباب النصر فيها لنعد انفسنا كي نصبح. امه ذات فاعليه وقوه وسلطان فالقوه ليست بالقوه الماديه وحدها بل تكون بالاتصال بالله وهذه القوه هي التي ترجح في حسم المعركه فبقدر اتصال القلوب بالله يكون النصر لان الله اذا راي ذلك من العباد فانه يحرك الاسباب التي تحقق انتصار الحق علي الباطل لانه تعالي يريد ان يحق الحق بتحقيق كلماته التي وعد بها عباده بالعز والتمكين ان هم عبدوه ولم يشركوا به شئيا فعلي العباد القبول باختيار الله فهو فيه الخير فهذه التجربه هي لتزود امه الاسلام بهذه التجربه الواقعيه لتوقن ان النصر من عند الله ولتوقن انها تملك اسباب النصر علي الباطل في كل زمان ومكان تملك ان تهزم الاعداء مهما تكن قله فالنصر من عند الله فقد كان عدد المسلمون في هذه المعركه 314في حين كان اعداد المشركون ما يقارب الالف ويزيد وكان مع المسلمون فرس واحد في حين كان مع المشركون ثللاثمائه فرس وهكذا حقق الله لهم النصر علي اعداءهم برغم ضعف العده فاراد الحق بهذه التجربه ان. تستقر حقيقه ان النصر من عند الله في النفوس الي قيام الساعه. وبالتالي فان المومن لايضعف امام التحديات والكفا ر طالما انك علي الحق فلا تخشي الباطل واهله وعتاده فما يريده الله سوف يكون في نهايه المطاف والله يريد ان يحق الحق بكلماته. يريد ان يقطع قوه الكفر واركانه ويبطل باطلهم ليحق الحق ويثبته ويزهق الياطل فتعلوا رايه الاسلام ويغيظ المجرمون بمشاهده رايه الحق ترفرف عاليا فكن واثقا بنصر الله اخي المسلم

الدرس الثالث

ان علي المسلم امتثال امر الله وان وجد في. ذلك مشقه والم فان مايعقبه من لذه عظيمه وخير كثير وان يبتعد عما نهاه الله لان نهايته عذاب واحزان ومصائب فهذه هي نظره المومن الحقيقي والتي تجعله يستسلم لامر الله لانه ينظر الي عواقب الاشياء فينظر الي غاياتها من وراء ستور مبادئها فيري ما وراء تلك الستور من الغايات المحموده والمذمومه ولهذا يري المناهي مثل العسل المخلوط بسم قاتل فكلما دعته لذته فر منه هاربا لخوفه مما بداخله من سم وينظر الي مافي االمامور به

من كريهه مذاق كانه علاج طعمه مر لكن بعده الشفاء ولهذا يقبل عليه

ولهذا فان هذا يعود الي قوه الايمان باليقين بان هنالك حساب وعقاب وجنه ونار وان الاعمال هي الغراس والبناء الذي تبني به مستقبلك

ولهذا فان ذلك يولد قوه الصبر فالمومن يوطن نفسه علي تحمل المشاق في الطريق لما يومل عند الغايه فالقوه تكمن بالصبر ودعائمه الشوق لما عند الله والاشفاق من النار والاشتياق للجنه وترقب الموت فاذا فقد اليقين و الصبر فقد قوته واذا قوي اليقين والصبر هان عليه كل مشقه يتحملها في طلب الخير الدائم واللذه الدائمه (عن ابن القيم بتصريف)

ولهذا نري ان الايه تتناول ذم الجدل بعد وضوح الحق فقال تعالي (يجادلونك بعدما تبين لهم الحق)

وهذا الجدل كان من فريق من المومنين كما اخبرنا الله تعالي (وان فريقا منهم لكارهون)

وكراهيه الفريق هذا وجدالهم ليست كراهيه القتال وانما كانوا ينظرون الي تفاوت القوه بينهم وبين المشركين في هذه المعركه ولهذا تاتي الايات مبينه ان النصر ليس بالقله والكثيره كما قال تعالي (كم من فئه قليله غلبت فئه كثيره باذن الله)

ولهذا قال تعالي (كانما يساقون الي الموت وهم ينظرون)

مبني الفعل للمجهول لان المكروه اليهم السوق لاكونه من معين اي يسوقهم سائق لاقدره لهم علي ممانعته وكلمه يساقون متعلقه بقياده الجيوش فهي احيانا تكون في المقدمه تقود الجيش الي النصر واحيانا تكون في الموخره تسوق الجيش الي النصر فعندما تكون في المقدمه فهي تقودهم الي النصر وعندما تكون في الموخره فهي تدفعهم الي االنصر ولهذا يقول بعدها المولي

(واذ يعدكم الله احدي الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكه تكون لكم)

خطاب للمومنين لاستحضار هذه الصوره علي الدوام ولهذا استعمل المضارع في الحديث عما حدث ماضيا (يعدكم)

فاراد بهذا الاتي

المفهوم الاول

لاجل ان تكون معركه بدر حاضره في كل الصراعات بين الحق والباطل فلا نضعف عند مواجهه الازمات فالازمات لم تاتي لتهلك وانما جاءت لتمتحن صبرك وايمانك يقول عبد القادر الكيلاني (ان في الله عزاء من كل مصيبه وخلفا من كل هالك ودركا من كل مافات فباالله فثقوا يابني المصيبه ما جاءت لتهلك وانما جاءت لتمتحن صبرك وايمانك واعلم لولا المصيبه لبطر العبد وبغي وطغي فيحميه بها من ذلك ويطهره مما فيه فسبحان من يرحم ببلاءه ويبتلي بنعماته وكما قيل :

قد ينعم الله بالبلوي وان عظمت....ويبتلي الله بعض القوم بالنعم)

ولهذا يقول الله (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل....الخ

يقول لنا لاتخافوا من قوه الاعداء مهما كانت فقد كان اهل بدر يتمنون ان تكون المواجهه مع عير القافله الضعيف فعددهم اربعين فقط ولم يكونوا يرغبون ملاقاه صناديد قريش وفرسانها ولهذا لما علموا ان القافله بقياده ابو سفيان نجت وان قريش خرجت اليهم بكل قواها وصناديدها بدوا بالجدل لانهم نظروا الي ان موزيان القوي غير متكافئه

نظروا ان الهزيمه سوف تلحق بهم نظرا لتفوق قريش من حيث العتاد والعده والفرسان والاستعداد

فقريش كانت بمثابه دوله عظمي بمنطق البشر هي مثل امريكا اليوم او روسيا او غيرها من الدول العظمي فان الفئه القليله العتاد والعده ماذا تفعل امام السلاح النووي والكيماوي والجيش المدرب والعتاد والقوه

فمن الطبيعي ان يشعر الانسان العادي بالخوف من مواجهه دوله عظمي من الطبيعي ان ينظر لنفسه كانه بساق الي الموت الموكد

لكن المومن الحقيقي لايخاف لماذا لان الله معه ويقف في صفه فماذا تفعل قوه الاعداء اذا كان الله في صفك فالمومن يستسلم لامر الله ويفوض امره الي الله ويرضي بما يختاره له امده فيما يحتاره له بالقوه والعزيمه و الصبر وصرف عنه الافات التي هي عرضه اختيار العبد لنفسه واراه من حسن عواقب اختياره له مالم يكن

ليصل الي بعضه بما يختاره هو لنفسه (عن ابن القيم في الفوائد)

المفهوم الثاني

ان اللازم عليك ايه المومن ان تثق بتحقيق الله وعده لرسله لعباده المومنون ولهذا فان هذه التجربه التي مرت بها الجماعه المومنه فيها درس عظيم للمسلمين يقول لهم الله ان مجي قريش بكل قوتها وجيشها وابطالها وعتادها فمجي هذا الطائفه ذات الشوكه والقوه والغلبه والمسلحه كان لان الله يريد ان يظهر اياته وان يظهر دينه وينصركم عليها بكل قوتها واسلحتها تحقيقا للوعد الالهي لرسوله والمومنون بالنصر المطلق فقال تعالي (يريد الله ان يحق الحق بكلماته

يريد ان يثق المومنون بتحقيق وعد الله الذي وعده رسله والمومنون فقال تعالي (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون)

فجمع كلماته اشاره الي الوعد الذي وعد الله به الرسل والمومنون في كل زمان

كقوله تعالي (ولقد سبقت كلماتنا لعبادنا المرسلين) وكقوله تعالي (انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياه الدنيا ويوم يقوم الاشهاد)

فكما هو معلوم بالوقوف علي مدلولات النصوص المتعلقه بوعد الله رسله والمومنين نجد انه وعد بنصر مطلق غير مقيد لابزمان ولامكان. ولاسنته ولاصفته فاراد بهذا ابطال المعتقدات الفاسده في صفات الموعود به فاراد الله ان يبين للمومنين انه اعلم بما فيه الخير لهم وان البشر معرضون للخطا في فهم موعد حلول وقته او غيره من الصفات كما حدث لبعض المسلمون عام الحديبيه عندما خرج النبي معتمرا ورجا دخول مكه ذلك العام ويطوف ويسعي فلما صدهم المشركون ووقع الصلح علي الدخول العام المقبل حيث قال عمر للنبي صلي الله عليه وسلم الم تخبرنا انا ندخل البيت ونطوف قال بلي فاخبرتك انك تدخله هذا العام قال لا قال فانك داخله ومطوف) وكذلك قال له ابوبكر فتبين لابي بكر ان وعد الله مطلق غير مقيد بوقت وكونه قد سعي هذا العام وقصده لايوجب ان يعني ذلك فانه قد يقصد الشي ولايكون بل يكون غيره اذ ليس من شرط النبي صلي الله عليه وسلم ان يكون كما قصده بل من تمام نعمه ربه عليه ان يقيده عما يقصده الي امر اخر هو انفع مما قصده كما كان افلات عير قريش من المسلمون الذين قصدوا مواجتهها ومجي قريش بصناديدها وقوتها انفع للمومنين من مواجهه عير القافله

فالله يعلم والانسان لايعلم فقد يقع من النصر الموعود به ما لايظن انه من الموعود به فالناس يقعون في الخطاء والغلط في فهم ذلك وهذا امر عام لجميع الادميين اما الانبياء فهم معصومون لانهم يتبين لهم وغير الانبياء قد لايتبين لهم ولهذا ذم الله الجدل منهم مع وضوح الحق

الدرس الثالث

بينت الايات السابقه اهميه مواجهه التحديات والازمات بما جاء فيها من ايضاح تفصح فيها الايات الحكايه عن هذه التجربه ان الازمات لم تاتي لتهلك اهل الحق وانما لامتحان العبد ومعرفه قيام كمال الايمان المستحق للنصر وتحقيق وعد الله بنصره الحق القائل وانا جندنا هم الغالبون ذلك ان الكثيرون يعتقدون انهم من اهل الوعد ويتصور انه متصف بما يدخل في الوعد واعتقاده غير صادق في ذلك وكذلك قد يخطي البعض بالاصابه بالياس فينكسر امام الاعداء في مفترق الطرق فذكر الله هذه القصه لتكون لنا عبره نستلهم منها الدروس ولهذا نجد ان الايات تستمر بالتعبير عن الحكايه بصيغه المضارع فقال تعالي

(اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكه مردفين وما جعله الله الا بشري ولتطمئن

قلوبكم به وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم)

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

تنقل لنا الايه ان سلاح المومن عند حلول الازمات هو ان يلجا الي الله طالبا الغوث والعون والنصره ولهذا كان التعبير بالمضارع

(اذ تستغيثون ربكم) مناسبه لما قبلها من الايات ويحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون. مناسب لمواجهه التحديات وعند القتال فلا تضعف امام قوه الاعداء فعليك ان تلجاء الي الله تعالي انتبه من الاصابه بالياس فان اصناف الكروب التي تسبق النصر هي ابتلي من الله فلا تظن ان الله اخلف وعده حاشا الله ولهذا جاء التعبير بالمضارع عن الاستغاثه مع انها وقعت قبل نزول الايه فيه امر باستحضار دواعي استمرار شكر الله تعالي وايضا الامر باللجو الي الله عند حلول الكروبات وطلب الغوث من ربك فلا تضعف عند مواجهه الازمات

يقول لنا ربنا لاتياسوا عند الابتلاء فقد ابتلي بذلك من هو خير منكم وكانت العاقبه الي خير فليتقن المرتاب ويتوب المذنب ويقوي ايمان المومنين بالاقتداء بالرسول والصحابه رضوان الله عليهم فانظروا كيف تصرفوا عند مواجهه الازمات لتقتدوا بهم فالله يقول في موضع اخر (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنه لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر)

فوقعه بدر فيها تسليه للمضطهدين من اهل الحق في كل زمان وتثبيت لهم ليتاسي المومنون بالرسول صلي الله عليه وسلم وبالصحابه بالصبر والثبات ولهذا تنقل الايات لنا جوانب المعركه بالثقه بوعد الله فلا تقول انا لست من جنسهم بحيث يحصل الاستياس من المتابعه والاقتداء ثم ينتقل الي الياس ولهذا تنقل الايات لنا موقف الرسول صلي الله عليه وسلم والصحابه عندما شاهدوا قوه قريش وجيشها وعتادها وعدتها بانهم طلبوا الغوث من الله والعون والعاقبه بتحقيق نصر الله تعالي

ولهذا فالمومن مطالب باخذ وعد الله بالتصديق والايمان باليقين ان الله سوف يحقق وعده ونصره الموعود وبذل ما يحتاج اليه هذا الايمان به من الصبر الي ان يجي الوقت ومن الاستغفار لزوال الذنوب التي بها تحقيق اتصافه بصفه الوعد الذي يتطلب كمال الايمان المستحق للنصر

فهذا هو سلاح المومن في مواجهه الاعداء مهما كانت قوتهم وعتادهم انتبه ان تخاف قوه الاعداء اليوم من قنابل نوويه وانشطاريه وقنابل ذكيه وصورايخ دقيقه فانت تمتلك سلاح اقوي واعظم لابطال مفعول هذه الاسلحه انه قوه الايمان باليقين والصبر فاذا حصل ذلك بطل مفعول سلاح الاعداء ولنا في تجربه اهلنا بغزه خير مثال انهم لايملكون اي سلاح سواء اسلحه بداءيه الصنع لاتساوي شيئا امام اسلحه اليهود وحلفاءهم من الدول العظمي التي اجتمعت قاطبه لتحارب اهلنا في غزه لكنهم انهزموا بكل تلك الاسلحه امام قوه قليله مومنه برغم قله العتاد والعده لكن ايمانهم وصبرهم واستقامتهم ابطل مفعول اسلحه الكفار قاطبه

وهذا بقوه الايمان. باليقين والصبر واللجو الي الله بالدعاء

فالدعاء سلاح فعال ومفعوله سريع ولهذا قال تعالي (فاستجاب لكم)

فقد كانت الاستغاثه سببا للاجابه وازاله المكروه عنكم فاستعمل الفاء للدلاله علي سرعه الاستجابه والسين والتاء في كلمه (فاستجاب)

للمبالغه في تحقيق المقصود

المفهوم الثاني

ان الايه تبين لنا ان ازمه بدر شكلت تحديات مصيريه وضعت القياده والموسسه كلها امام مفرق طرق ولهذا جاء جمع الاستغاثه

فقال تعالي (اذ تستغثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكه مردفين وماجعله الله الا بشري ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم)

حيث ذهب بعض المفسرون للقول ان الذي قام بالاستغاثه هو الرسول صلي الله عليه وسلم فذكر ذلك الرسول صلي الله علي سبيل الجمع ويجوز ايضا ان الصحابه شاركوا في. الدعاء كلهم ويجوز ان الرسول صلي الله عليه وسلم كان يدعوا والصحابه تردد بعده بالتامين لان قول امين يجعلك داع كما قال تعالي لموسي وهاورن (قد اجيبت دعوتكما) مع الداع هو موسي وهارون كان يقول امين المهم من هذا الايه تنقل لنا بذلك حجم الخطر الذي تحمله الازمه فقد ذكر ان الرسول صلي الله عليه وسلم كان يدعوا الله ويقول (اللهم ان تهلك هذه العصابه من اهل الاسلام لاتعبد في الارض)ومازال يهتف بربه مادا بيديه مستقبل القبله حتي سقط رداؤه عن منكبه لماذا لان الازمه كانت عظيمه فهم كانوا امام خيارين اما الانطلاق بحيث لاتتوقف حركه الفتح حتي تصل الي مكه ثم تنطلق خارج الجزيره الي ماشاء الله واما الانكسار حتي لايعبد الله تعالي في الارض ومن هنا نفهم ان من اسباب اجابه الدعاء الالحاح علي الله بالمساله وطلب الغوث والنصر منه تعالي واستشعار عظيم الخسران ان لم يستجيب الله لدعاءك فالشعور بالخطر الذي يهدد الدعوه لدي الرسول صلي الله عليه وسلم والصحابه رضوان الله عليهم كان منبعه الخوف من الانكسار الذي لايحقق الغايه من الجهاد وهو اعلاء كلمه الله تعالي لم يكن الرسول يخاف علي فوات مصالح او سلطه او مال او غنائم

فالدعاء هنا بتلك الصيغه يفصح عن طلب التعجيل بالنصر وليس فيهاظن الرسول بعدم تحقيق ربه لوعده فقد ورد عن عائشه بشان قوله تعالي (حتي اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ....الخ

انها قراءت ذلك بالتثقيل وتنكر التخفيف اي جمله(وظنوا انهم قد كذبوا) وعندما سئلت عن قوله تعالي (حتي يقول الرسول والذين امنوا معه متي نصر الله الا ان نصر الله قريب)

قالت معاذ الله ان يظن الانبياء بربهم. ذلك والله ماوعد الله رسوله من شي قط الا علم انه كائن قبل ان يكون ولكن لم يزال البلاء بالرسل حتي ظنوا ان يكون من معهم يكذبهم ولهذا كانت تقرا تلك الايه مثقله

ولهذا نجد ان الرسول صلي الله عليه وسلم استمر يدعوا علي المشركين حتي جاء المقداد بن الاسود وقال كلمته الشهيره. لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسي (فاذهب انت وربك فقاتلا) ولكننا نخوض القتال معك عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك يقول الروي (فرايت النبي صلي الله عليه وسلم اشرق وجهه وسره يعني قول المقداد بن الاسود وروي عن ابن عباس ان الرسول صلي الله عليه وسلم قال يوم بدر اللهم انشدك عهدك ووعدك ....فاخذ ابو بكر بيده فقال حسبك فخرج الرسول صلي الله عليه وسلم وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر) رواه النسائي

فرغم اخطار الازمه فان بداخلها ايجابيات انها تعطي فرصه للتغيير وتهي الاجواء لظهور قاده جددكما حصل مع المقداد وتحفز اجهزه الانذار المبكره وتمكن من مواجهه التحديات الكامنه وتعطي الادراه قدره تنافسيه جديده بتحويل المحنه الي منحه تحويل الموقف السلبي الي موقف ايجابي بقوه الايمان والعزم والتوكل الي الله والاستفاده من الخبرات

الدرس الرابع

الايات تبين اهميه بنا ء النموذج الاداري الذي يحافظ علي عناصر قوه المومن في الحرب المعنويه والماديه فالاسباب الماديه تتمثل بالثقه بالقدرات وتكوين فريق عمل مشترك وان تكون القياده مصدر الهام

ولهذا لما سمع الرسول صلي الله عليه وسلم مايشير الي تحقق تلك المعطيات من المقداد بن الاسود ومن ابوبكر ومن تامين الصحابه كلهم بعده بالدعاء قال سيهزم الجمع ويولي الدبر وكذلك فان اخباره من ربه بعدها بامداده بالف من الملائكه متتابعين في النزول فقال تعالي (اني ممدكم بالف من الملائكه مردفين)

فهذا لان النفس بحاجه الي الشعور بمدد خالقها لتتمكن من مواجهه التحديات التي فوق قدرتها فمرض القلوب اخطر من الازمه نفسها ولهذا قال تعالي هنا (اني ممدكم بالف من الملائكه مردفين وما جعله الله الا بشري ....الخ

ومعاني مردف متعدده فهي اضافه لمعني متتابعين فانها مّنَ مّرَدِفَ بّالكسِرْه ومردف بالفتحه فعندما يكون بكسر الدال دل هذا انه ياتي في المقدمه اما بالفتحه فانه بمعني وراءٍ ظهوركم انه اتي ثانيا

فجعل الله الملائكه في المقدمه هنا اي ممدكم بالف من الملائكه اردفوكم وراء ظهورهم وهم في المواجهه اي هم بالمقدمه وانتم خلفهم

وهذا فيه وعد بالامداد بالف وعد مطلق ولهذا اخبر انه تعالي جعل هذا الامداد بالالف بشري ولم يقيده كما في احد عندما قال تعالي (اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثه الاف من الملائكه منزلين بلي ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسه الاف من الملائكه مسومين)

فهذا لان في احد الوعد كان مقيد كما ذكر بعدها (ليقطع طرفا من الذين كفروا) فهو وعد مقيد بشروط ولهذا قال في احد (وما جعله الله الابشري لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم)

يقتضي خصوص البشري بهم ولهذا جاء (لكم) ولم ياتي به في بدر لان قصه بدر فيها البشري بها عامه وهذا لان هذا المداد بالالف في بدر باقيه في الامه ولهذا اطلق الامداد والبشري وقدم (به) في قوله(لتطمئن به قلوبكم) علي لكم عنايه بالالف اما في احد كانت العنايه بهم لو صبروا فلم يوجد الشرط ولذلك اخر (به) علي القلوب واضاف لكم وحذف (ان) وجا

بال في الصفتين العزه والحكمه

فاراد بهذا ان تكون بدر نموذج بشاره للمومنين بالنصر في كل زمان ولهذا جاء بكلام مستناف سيق لبيان ان الغرض من الاعلام بامداد الله بالملائكه هو بشري للنفوس التي هي بحاجه الي مدد خالقها في كل زمان ومكان ولحاجه القلوب للاطمئنان فقال تعالي (وما جعله الله الابشري ولتطمئن به قلوبكم) وعليك ان تفهم ان حاجه المسلم الي الاطمئان لايعني ان صاحبه غير مومن عندما يطلب طمائننه قلبه

لان النفوس قد تبني الاعتقاد المرجوح الذي فيه الظن اي لايصل الي اليقين والظن غير مقبول في العقيده لقول الرسول صلي الله عليه وسلم (اياكم والظن فانه اكذب الحديث) والله يقول (ان الظن لايغني عن الحق شيئا) ولان ذلك قد يكون من حديث النفس المعفو عنه لقول الرسول صلي عليه وسلم (ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به نفسها مالم تكلم او تعمل)

لان النفوس تعرض عليها بعض الوسوس الذي فيه شك كما ورد في الحديث عن الصحابه قالوا يارسول الله (ان احدنا ليجد في نفسه ما لان يحرق حتي يصير حممه او يخر من السماء الي الارض احب اليه من ان يتكلم به قال او جدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان) وفي حديث اخر قال (الحمد لله الذي رد كيده الي الوسوسه)

يقول شيخ الاسلام فهذه الامور التي تعرض علي النفس ثلاثه اقسام منها مايضعف به الايمان وان كان لايزيله و اليقين القلب له مراتب ومنه ماهو عفو يعفي عن صاحبه ومنه ما يكون يقترن به صريح الايمان

كما ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم عن ابراهيم فقال نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال له ابراهيم (او لم تومن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي)

فمعلوم ان ابراهيم كان مومنا عندما طلب مشاهده احياء الموتي كما اخبر الله عنه (اولم تومن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي)

فقد طلب طمانينه قلبه كما قال (ولكن ليطمئن قلبي) فالتفاوت بين الايمان والاطمئنان سماه النبي صلي الله عليه وسلم شكا لذلك باحياء الموتي كذلك الوعد بالنصر في الدنيا يكون الشخص مومنا بذلك ولكن قد يضطرب قلبه فلا يطمئن فيكون فوات الاطمئنان ظنا انه قد كذب فالشك مظنه انه يكون من باب واحد من هذه الامور لا تقدح في الايمان الواجب

ولهذا يعيطنا الله هذا المثال في قصه بدر لتكون نموذجا نري فيه نهايه وعاقبه امتثال امر الله تعالي لتكون لنا نموذجا ناخذ منها العبر والدروس فلا نييأس عند الابتلاء مهما كانت قوه الاعداء فليتقن المرتاب ويتوب المذنب ويقوي ايمانه ويثق بنصر الله وتحقيق وعده فهذا الوعد المطلق بامداد المومنين بالف من الملائكه والاعلام عنه لاجل ان توقن بنصر الله وتسبشر بذلك فلا تبالي بالاعداء مهما كانت قوتهم فهذا المداد لازاله التفاوت بين الايمان والاطمئنان لتصلوا الي الايمان باليقين وتثقوا بوعد الله وان وقع في القلب ظن من الظنون وطلب مزيدا من الايات لطمانينه القلوب ولهذا قص الله علينا ذلك واعلمنا بالمداد فجعل المداد للبشري والا فهو تعالي قادر علي نصركم علي اعدءكم بدون ذلك ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولاجل ان تاخذوا بالاسباب والسنن ف‌الله يقول (ولو يشا الله لانتصر منهم ولكن ليبلو ا بعضكم ببعض)

فالبشري التي يحصل بها الاطمئنان تظهر اثارها علي وجهه المبشر بها وتمده بالقوه والطاقه والعزيمه ومعرفه الخلل واصلاحه والتعامل مع الازمات ومعالجتها باصطحاب معرفه الوحي والاخذ بالاسباب لكن اللازم عليك ان لاتنظر الي الاسباب الظاهره بمعزل عن التاثير الحقيقي والفعال الذي بيده الاسباب والنصر ولهذا قال تعالي (وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم)

فعليكم ان تطمنوا وتثقوا بنصر الله لكم عند فقدان الاسباب فاصل اعلامكم بمشاركه الملائكه معكم في المعركه بشري لتطمئن قلوبكم فلا تظنوا ان النصر بيد الملائكه بل هو بيد الله تعالي ولهذا جاء التعبير باسلوب الحصر ا لاسباب انها بيده (وما النصر الا من عند الله) لتفهم ان ماعنده تعالي ليس منحصرا في الامداد بالملائكه ف النصر ليس من عند الملائكه بل من عند الله فلا تضعفوا ولاتهنوا فقد يقع النصر الموعود به ما لايظن انه من الموعود به فالاسباب بيد الله تعالي فقال تعالي (ان الله عزيز حكيم)

فهو تعالي غالب لايقهره شي بل يقهر كل شي فلا تخاف من الاعداء مهما كانت قوتهم وعتادهم وعددهم ف‌الله ينصر من يشاء ويخذل من اراد ولارد لذلك وهو تعالي حكيم بتقدير الامور واسبابها يضع كل شي في موضعه فالنصر الواقع علي الوجه المذكور من مقتضي حكمته سبحانه وتعالي

ثانيا

لقد اراد الحق من خلال تقديم هذا النموذج ان تحس وتشعر ان الفعل هو فعل الله والقوه قوته والتوفيق توفيقه والنصره نصره فتثق به وتحقيق وعده وتتوكل عليه وتستفغره فلا تعلق قلبك بالاسباب فالنصر بيد الله وهو الموثر الوحيد الفعال لما يريد فالملائكه وغيرها من الوسائل مهما عظمت لاتحقق النصر ولاتودي الي النتيجه المطلوبه اذا تحظي بتاييد الله وعنايته ف‌الله يقول في موضع اخر (ان ينصركم الله فلا غالب لكم

وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلي الله فليتوكل المومنون)

فهو صانع النصر وهذا كله لتعريف الناس بربهم لان مرض القلوب كان اخطر اختراق في مواجهه الازمات و القلوب لاتطمئن الابذكر الله ولاتقر الا بذكر الله ولهذا نجد ان الايات سيقت للتذكير بنعمه الانتصار في معركه الفرقان واعتباره نموذجا يتوجب استحضاره صورته في كل اوقات الازمات نستلهم منه الدروس ونذكر عنايه الله ولطفه وكذلك اهميه الاهتمام بالبناء الايماني والقيمي للجماعه المسلمه وادراتها لمواجهه الازمات بثقه وطمانينه ولهذا نجد ان الايات تتناول الاتي

الموضوع الاول

تنقل الايات جانبا من عنايه الله ورعايته لاولياءه في المعركه ومن ذلك لاعداد النفسي للمعركه فقال تعالي (اذ يغشيكم النعاس امنه منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط علي قلوبكم ويثبت به الاقدام)

تذكر الايه المومنون بنعمتان انعم الله بهما عليهم في معركه بدر النعمه الاولي مرتبطه بقصه غشيان النعاس هذه الحاله النفسيه العجيبه التي حدثت للمومنين كلهم في بدر تدل علي ان ذلك من تدبير الله تعالي وهي نعمه عظيمه للاتي

الامر الاول

ان في ذلك رعايه من الله لاولياءه في وقت كانوا احوج مايكونون الي تلك الرعايه لانهم قد اصابهم الفزع عندما شاهدوا كثره جيش المشركين وقوتهم وهم قله في مواجهه خطر لم يضعوا في حساباتهم مثل تلك القوه فالمفاجاه اذهلتهم وشتت الانتباه لديهم فاصابهم القلق وهذا يوحي ان الازمه كانت قويه عليهم فعنصر المفاجاه الناتج عن عدم توقع الخطر الذي يداهم اي موسسه تكون اثاره وخيمه عليها لانه تهديد خطير يمكن ان يعصف بالجيش واهدافه وقيم ومعتقدات وممتلكات الافراد والجماعات وحتي الدول (اكتاب الامه تعريف الازمه ص 37) حيث ان اخطر اثاره هي انتشار الهرج والمرج (2 محسن الخضيري اداره الازمات مجموعه النيل العربيه 2003م ص113)اي اختلال النظام في المجتمع او الجماعه او الجيش وبهذا تزول قدرته علي الضبط و السيطره بسبب فتنه تتسم بالفجائيه والتعصب وتفقد القياده قدرتها علي الضبط(3مجله العربي مقال اسود الزبد هاله فواد العدد اغسطس 2008م ص62)

كما توصف الازمه بانها لحظه حرجه لما قد يترتب عليها من تحول مصيري في حياه الافراد والموسسات او الدول او الجيوش وغالبا ماتتزامن مع عنصر المفاجاه مما يتطلب مهاره عاليه لادراتها والتصدي لها بشكل شرعي وقانوني وليس بقرارت عنيفه او ارتجاليه (مجله الامه الازمه ص39)

وتعرف الازمه ايضا باعتبار الوصف الغالب بانها امر غير متوقع الحدوث يشوش الذهن ينبي بحدوث تغيير حاسم ووشيك

ولهذا فان المومنين كانوا بحاجه لرعايه الله لاستعاده القدره الذهنيه علي التفكير والتعامل مع الخطر والصمود والصبر والثبات لتتمكن من الخروج من الازمه واحتواء الضرر والسيطره علي اثارها واستعاده النشاط والفاعليه ولهذا تولت العنايه الالهيه التهئيه النفسيه والذهنيه للمومنين من خلال سبب يسير كان له اثر عظيم في مواجهه الازمه والتعامل معها لقد انعم الله عليهم بنعمه (النعاس) الذي غطاهم كلهم مع الامن والنعاس من اسماء النوم ويطلق علي النوم الخفيف وفي القران ورد ذكره باسم سنه فقال تعالي عن نفسه المقدسه (لاتاخذه سنه ولانوم)

فاالله حي قيوم لاياخذه عن تدبير امور وشوون الخلق سنه اي نوم خفيف ولا نوم ثقيل

اما الانسان فانه يحتاج الي النوم خاصه في الاوقات العصيبه فوصفه انه نعاس اي سنه خفيف بما يكفي لاستعاده المومنين نشاطهم وقدرتهم علي التفكير الهادي بالاطمئنان الي الله الذي يغذيه الدعاء بحيث يصل الانسان الي الامل والرجاء وتحقيق الصمود والقدره علي المواجهه المستنده الي باري الكون صاحب القدره المطلقه علي الهدايه الي الحل فهو الذي يوهل للنظر الهادي ويحول دون السقوط والانكسار ويودي الي التجاوز بل الارتقاء والمناعه المستقبليه

ولهذا فقد كان غشيان النعاس الذي غطهم كلهم كما يفهم من سياق النصوص لقوله تعالي (اذ يغشيكم النعاس) اشاره الي ان الغفوه اصابتهم كلهم اعظم نعمه في هذا التوقيت بالذات وعاملا مهما لاحتواء اضرار الازمه النفسيه والذهنيه والسيطره علي اثارها واستعاده الفاعليه لان استرخاء الجسم في حاله النوم يساعد علي تنظيم الدوره الدمويه ويمدها بالنشاط الجديد ليساعد علي طرد ما علق في انحاء الجسم من مواد ضاره فالنوم راحه للاجساد والاذهان يقول صاحب كتاب (الاعجاز القراني) نقلا عن الشيخ الشعرواي ان النوم ردع ذاتي في الاله الانسانيه فالاله التي تعمل حتي تعيا وتتعب فان عقله يقول له تحمل قليلا ويجهد نفسه فيه في وقت فيه الاله تكون قد انتهت طاقتها في العمل فهي تريد منك ان ترتاح عندها تجد ان النوم يغلبك وهذا يهدف الي استعاده الطاقه والنشاط ثانيا)

فالانسان عندما تحل عليه المشاكل والازمات فان النوم يضيع من عيونه يصاب بالقلق والضيق وتكثر الهواجس فيمر الليل عليه حتي يظهر الضوء وهو بلا نوم واذا نام فانه يصحب معه كل تلك الهواجس والافكار والتي تتحول الي كابويس مزعجه تمنع عنه الراحه ويفقد الامان معها يصحي وهو منزعج اشد الانزعاج ولهذا تحدثنا النصوص ان النعاس غلبهم كلهم جميعا اي المومنون ثم قاموا في منتهي النشاط. فقال تعالي (اذ يغشيكم النعاس امنه منه) تزامن مع الامن غير نوم الكفار فهذا كله يدل ان قوه الله ويده الخفيه عملت عملها في رعايتهم بذلك النوم القليل فزال عنهم الخوف والقلق كلهم فاطمنت قلوبهم فقوله تعالي (النعاس امنه منه)

تفيد ان كل اهل بدر ناموا وقاموا مطمئنين بعكس ماورد في ال عمران حيث قال تعالي (امنه نعاسا) فليس كل الذين ناموا كانوا مطمئنين فقد كان البعض مطمئن والبعض قام منزعجا من كابويس راها في احلامه مزعجه

المهم هنا ان تدرك ان الله يمتن علي عباده بغشيان النوم الخفيف بانه استجابه لدعاءهم وتضرعهم لله تعالي فهذه النعمه العظيمه اكتشف العلم الحديث ان لها اهميه عظيمه في حياه الانسان لان عدم النوم يودي الي الهلوسه والقلق الحاد وانعدام النشاط والجنون والغيبوبه وينتج عنه في بعض الاحيان الموت

فالنوم يتم فيه تعطيل واسترخاء لجميع الحواس وتجديد الخلايا تاخذ الاجهزه كلها لدي النوم راحه واستجمام ومعاوده النشاط بعد ذلك فالنوم من اقوي الاسباب المعنيه علي تخليص الدماغ منزالارتباك والارهاق والاجهاد بل ومدعاه لعافيته من بعض الظواهر المرضيه التي تعتريه من التوتر والكسل والارتباك والتشتت الذهني حيث يمثل سكون الجوراح وراحتها مما تعرضت له من تعب فالاستراجه من نصب اليقظه تودي الي زوال الاعياء (دكتور شبيب الحاضري ص9بحث عن فوائد النوم)

ويستمر في بحثه عن ذكر فوائد النوم فذكر انه يعين علي الهضم وانه يخلص الجسم من السموم المتراكمه كما يعيد الحيويه والنشاط الي جميع اجزاء الجسم ويساعد في بناء انسجه الجسم التالفه ويعتبر علاجا للقلق و التوتر والاضطرابات العصبيه ويعين علي راحه اجهزه واعضاء مثل القلب والتنفس والهضم فتنام جميع الاعضاء عدا الاذن فحاسه السمع تعمل لكنها لاتتاثر الابالصوت القوي ولهذا قال تعالي عن اصحاب الكهف (فضربنا علي اذانهم في الكهف سنين عددا)

فلو كانت اذانهم تعمل عملها الطبيعي لما ناموا كل هذه السنوات

فدل هذا الاستعراض لفوائد النوم وتعطيل الاجهزه عن العمل عدا الاذن وهو ما اكتشفه العلم الحديث واتضح للعلماء المتخصصين بهذا الجانب الي معرفه مستقره بان الحرمان من النوم مدعاه للهلاك وان الاذان تستمر بسماع الاصوات وهذه الحقيقه تتطابق مع ماورد في القران الكريم تماما فهذا يدل ان القران كلام الله تعالي ويوكد صدق القران وما بلغنا ايه الرسول صلي الله عليه وسلم

ويدل ان النوم نعمه عظيمه من الله تعالي للانسان وعليك ان تعلم ان صفات الخالق ليست كالمخلوق فهو تعالي لاتاخذه سنه ولانوم

وان النوم لايحدث عند الخوف الشديد فاذا حصل دل هذا علي زوال الخوف وحصول الامن وحاصل ذلك ان يصحو من نومه مطمئنا ولهذا نجد الالفاظ يغشكم النعاس امنه منه كلها ترسم لنا اجواء الاطمئنان تتجلي فيه قيمه هذه اللحظه لنفسيه المومن في هذه الحاله التي كانوا فيها في اشد ما يكون حاجه الانسان للامان فقد غطاهم الله بغشيان النعاس الذي حمل الامن والاطمئنان لهم كلهم دفعه واحده

الامر الثاني

النعمه الثانيه التي انعم الله بها علي المومنين في بدر متعلقه بقصه انزال الله المطر فقال تعالي (وينزل عليكم من السماء ماءليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط علي قلوبكم ويثبت به الاقدام)

التهئيه النفسيه والذهنيه مهمه في الحرب ولذلك نجد انه يوجد في الجيوش قسم التوجيه المعنوي يهدف الي رفع معنويات الجنود في الحروب نظرا لخطوره الانهزام الداخلي للانسان وسد الثغرات التي قد يتسلل اليها الاعداء لاحداث الارباك والهزيمه النفسيه في الجندي بسلاح الاعلام واثاره الشبهات فضلا عن وسوس الشيطان الذي يحاول استغلال نقاط الضعف لدي العبد لينفذ منها واخطر هذه الثغور التي يتسلل منها هو انه يدخل من مداخل ابواب الايمان ومداخل القلوب والنفوس التي تعد من اهم المعارك التي يحتاج فيها الجندي الي المعنويات القويه التي تقف امام تلك الوسوس وبالوقوف علي حال المسلمون في هذه المعركه نجد انهم كانوا يعانون من الشعور بالضعف والوهن والشيطان اتخذ من ذلك مدخلا لاجل ان يهزم النفوس فقال كيف تزعمون انكم علي الحق وانكم اولياء الله وفيكم رسوله وهاانتم معرضون للهلاك والقتل والاسر والسبي وانتم تقاتلون والماء معدوم في هذه الصحراء ومعلوم ان الجندي يضعف اذا لم يجد الماء خاصه في الصحراا ء لانه يري انه هالك لامحاله وهذا الامر كان قبل تنفيذ المشاوراه التي اشار بها الحباب بن المنذر بان يعسكر المسلمون في اماكن الماء ويقوموا بتغوير المياه علي قريش فيشرب المسلمون ولايشرب الكفار

وقصه نزول الغيث كانت قبل تنفيذ خطه الحباب وكذلك كان المسلمون بعد تلك الغفوه التي حصلت لهم قد احتلموا فاصبحوا جنبا فادي هذا الي القلق لديهم ولم يكن قد شرع التيمم انذاك كونه نزل حكم التيمم في السنه الخامسه للهجره في غزوه بني المصطلق فاراد الشيطان ان يستغل كل تلك المداخل لزعزعه النفوس من الداخل وهنا يجي المدد الالهي بنزول المطر الذي فيه الماء الذي يحتاجه الانسان للشرب وايضا لتطهير المسلم من الاوساخ ومن الجنابه فدل هذا علي اهميه النظافه وان المسلم يجب عليه ان يكون نظيفا في كل الاوقات فالمسلمون كانوا حريصون علي النظافه وهم يقاتلون في المعركه وكذلك كانوا حريصون علي النظافه من الجنابه التي حدثت نتيجه الاحتلام فاللازم عليك اخي المسلم ان تكون نظيفا فهذه هي سمات المسلم في كل وقت نظيفا علي الدوام وانت مدعو الي الصلاه في كل وقت حتي في الحرب فقال تعالي (ليطهركم به)

وكذلك كان نزول الماء اغلاق المداخل وسد الثغور امام الشيطان فازال الله بهذا المدد وسوسه وقضي عليها فقد كان نزول المطر ايه عظيمه علي رعايه الله لالياءه بعد ان كان منهم الدعاء لله والاستغاثه وطلب العون و المداد فقال تعالي (وليربط علي قلوبكم)

فاراد بهذا ان تدرك ان الدعاء هو سلاح المومن وان عليك الاستعلاء بالحق لا بالمظاهر الخادعه من المال والقوه والجاه فالاستعلاء بالحق تمنح العبد قوه تجعله يصمد امام العواصف ولهذا كان التعبير بكلمه (علي) التي تفيد الاستعلاء فالمعني ان قلوبهم امتلات من ذلك الربط حتي كانه علا عليها وارتفع فوقها واعاده اللام (وليربط) اشاره الي المقصد الاعظم وماقبله كان وسيله فالدعاء سلاح المومن لانه يستعلي بالحق ولهذا يلجاء الي العلي الكبير القهار ذو القوه المتين

فالدعاء فعل وفاعليه فهو يشحذ الفاعليه ويبني الهمه ويجلي الحقيقه ويوصلك بمصدر القوه فالاستعانه بالله اقوي سلاح لانه تعالي معقد الرجاء وسبيل الصمود والثبات علي القيم وعدم الانكسار امام الازمات فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (بادروا بالاعمال) اي بالسرعه في المواجهه ابتدا من تنميه الجوانب الايجابيه واصلاح الخلل) فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا او يمسي مومنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا)

فالشخصيه المهزوزه هي التي تبيع دينها بعرض من الدنيا قليل لانها لاتومن بالغيب وتنخدع بالمظاهر الخادعه فهي تستعلي بها. لذلك لاتصمد امام الازمات والتحديات وتنهار من الداخل وهذا الامر من اخطر انواع السلاح علي الانسان لانه ينهار من الداخل فينهزم نفسيا وفكريا قبل الهزيمه العسكريه وهذا هو حال المسلمون اليوم صحيح ان الاسلام موجود لكن المسلمون يعيشون بذهنيه العجز والتخلف غير قادرين علي تحويل العقيده الي واقع حياه فالمسلم يقاتل في سبيل الله وقصده اعلاء كلمه الله فعندما يشعر ان الله معه فانه لايضعف امام الاعداا ء مهما كانت قوته لان قلبه مطمئن بقوه الله ويستعلي بها ولهذا فان قوه هذا الايمان تشد علي قلبه وتثبت اقدامه فهذا المدد شمل مدد روحي ومدد مادي فاضافه الي المدد بالملائكه والنعاس والامن وانزال المطر الذي ثبت الاقدام بالاستعلاء بالحق فلم تتزحلق امام العواصف كذلك كان تماسك الرمل في الصحراء وحصل الهجوم علي الكفار اضافه لذلك فقد اوحي الله للملائكه للمشاركه مع المومنين في المعركه وقتال الكفار والي الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفار وهم قاتلوا فعلا مع المومنين فقال

الموضوع الثاني

اهميه الحشد للمعركه والتعبئه لهاوالمقصود بالحشد هنا بانواعه النفسي والروحي والمادي حيث يشمل المادي اختيار المكان المناسب وقد ورد في الحديث ان الرسول صلي الله عليه وسلم اجتمع بالصحابه واستشارهم في مواجهه الاعداء فاخذ بمشوراه خباب بن الارت بان يتم تغوير الابار من جهه قريش وسار الرسول حتي ينزل علي الماء ادني مياه بدر. لهذا نجد السوره تاتي في اياتها تصف اماكن كل طرف لبيان اهميه اختيار المكان والسيطره علي الاحداث وان الله قد رتب كل ذلك بحكمته تعالي وكذلك حشد الرسول صلي الله عليه وسلم العنصر البشري عندما بلغ خروج قريش فتكلم مع المهاجرين فاحسنوا وتكلم مع الانصار فقال سعد بن معاذ كانك تعرض بنا يارسول الله وكان انما يعينهم لانهم بايعوه علي ان يمنعوه في ديارهم وكانك تخشي ان تكون الانصار تري عليهم الا ينصروك الا في ديارهم واني لاقول عن الانصار واجيب عنهم فامض بنا حيث شئت وصل حبل من شئت واقطع حبل من شئت وخذ من اموالنا ماشئت واعطنا ماشئت وما اخذت منها كان احب الينا مما تركت فوالله لو سرت بنا حتي تبلغ البرك من غمدان لنسيران معك والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك وكذلك قال المقداد بن الاسود

وقد مشي الرسول صلي الله عليه وسلم في المعركه وهو يشير الي بيده ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان ان شاء فما تعدي احد منهم موضع اشارته وهذا فيه توظيف للبعد النفسي في المعركه وحشد كل الطاقات الممكنه ولما وصل الخبر للرسول صلي الله عليه وسلم ان قريش قد اقبلت بكل عتادها وقوتها قال الرسول صلي الله عليه وسلم (اللهم هذه قريش جاءت بخيلاها وفخرها جاء تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم احنهم الغداه وقام ورفع يديه واستنصره ربه وبالغ في التضرع ورفع يداه حتي سقط رداه وقال

الهم انجز لي ما وعدتني اللهم اني انشدك عهدك ووعدك اللهم ان تهلك هذه العصابه لن تعبد في الارض بعد والتزامه ابوبكر من وراءه وقال حسبك مناشدتك ربك يارسول الله ابشر فالذي نفسي بيده لينجزن الله لك ما وعدك)

فهذا حشد للبعد الروحي في المعركه واستنصر المسلمون الله واستغاثوه فاوحي الله الي الملائكه فقال تعالي (اذ يوحي ربك الي الملائكه اني معكم فاثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان)

فقد حشد الرسول صلي الله عليه وسلم كل اسباب النصر النفسيه والماديه فوحد الجماعه وربط القلوب بالله واخذ بالاسباب فجاء النصر بعد ان قدم ثمنه وحشد له ولهذا استجاب الله لهم وامدهم بالملائكه والنعاس وانزل الماء وربط علي قلوبهم وثبت الاقدام في المعركه وامر الملائكه بالقتال معهم وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

الامر الاول

ان المومن يستعلي بالحق وبالتالي فلا يجد مشكله في مواجهه الباطل واهله ولايضعف امام الباطل لانه يستعلي بالله لماذا يخاف والله يقول للملائكه اني معكم بالعون والنصر والتاييد في معركه الحق ضد الباطل فقووا عزم المومن يوم بدر وصححوا نياتهم في قتال الكفار وباشروا القتال معهم في هذه المعركه

فجاء باضافه اسم الرب الي ضمير النبي فقال تعالي (اذ يوحي ربك للملائكه اني معكم فاثبتوا الذين امنوا)

في ذلك لطف بالنبي ورفعا لشانه وعرف المثبتون بالموصول في قوله (فثبتوا الذين امنوا) لما توفي اليه الصله (امنوا)لبيان ان ايمانهم هو الباعث علي هذا العناء فالامر للملائكه بعنايه المومن لاجل وصف الايمان فالاستعلاء بالحق هو سبب هذا المدد والعنايه

الامر الثاني

ان تاييد الله المومنين بالملائكه نعمه ظاهره انعمها الله علي المومنين تستوجب اداء حق الشكر لله تعالي فمن لطف الله بعبده ان يسهل عليه طاعته ويسير له الاسباب فهو تعالي يقول (فاما من اعطي واتقي وصدق بالحسني فنيسره لليسري)

وقوله ((اذ يوحي ربك للملائكه اني معكم فثبتوا الذين امنوا)

من تيسير الاسباب للطاعه.والعبد لايستغني عن تثبيت الله له في الثبات علي طريق الخير فهو القائل (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم ...الخ

يقول النابلسي. ويداخل في هذا ما يحصل في القلب من العلم والقوه ونحو ذلك مما قد يحصله الله بواسطه فعل الملائكه .....

فعلي العبد ان يعرف نعم الله الظاهره والخفيه ويشكر ربه علي انعامه وهذه نعمه خفيه اظهرها الله لعباده وعرفهم اياها كي يحافظوا عليها بشكر الله عليها ورعايتها بان ينسبوا ذلك الي الله تعالي

الامر الثالث

(اشتراك الملائكه في المعركه)

ذهب البعض للقول ان الملائكه لم تشارك بالقتال الفعلي وانما دورهم معنوي بالتثبيت

لكن الراجح بالاداله القاطعه ان الملائكه اشتركت في القتال لجانب المومنين وقد وردت احاديث صحيحه في هذا الشان فهذا امر ثابت عند جمهور العلماء

اما كيف اشتركوا في القتال وتفاصيل ذلك فهذا امر ليس متعلق بمساله عقيده المسلم وطابعها الحركي ولا من لوزام فاعليه العقيده وتاثيرها الايجابي في حركه المسلم حيث يكفي ان يشعر المومن بان الله يمد اولياءه بالمدد من الملائكه تحارب معه في المعركه ضد الباطل وهذه العقيده التي اخذ بها الصحابه ولم يناقشوا تفاصيل الكيفيات التي ليست من طابع العقيده ولا من لوزام الحركه الايجابيه التي تنتج عن دور العقيده في الحركه وفاعليتها الناتجه عن الشعور بوجود قوه ماموره من الله معك في المعركه تجعل عزيمه المومن قويه وهمته عاليه وتمده بالصمود والثبات مع الايمان بحقيقه مشاركتهم القتال لجانب المومنين

وعليك ان تفهم ان الله قادر علي ان ينصر اولياءه دون الحاجه لانزال الملائكه لكن الله اراد من مشاركه الملائكه في القتال مع النبي والصحابه

ان يكون الفعل للنبي صلي الله واصحابه بان يدفعوا ثمن النصر ويحشدوا كل اسباب النصر الماديه والروحيه ويكون دور الملائكه مددا رعايه لصور الاسباب ولهذا نجد ان الخطاب انتقل من سياق الحديث مع الملائكه الي المومنين مباشره فقال (سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوامنهم كل بنان)

تضمن الاتي

1

وعدا من الله لعباده المومنين بالقاء الرعب:اي الهلع والخوف الشديد في قلوب الكفار وهذا الامر من عوامل النصر فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسافه شهر)

والرعب يدل علي الخوف الشديد والتعبير بالالقاء للرعب في القلب ابلغ من التعبير من ارعبته لان التعبير بالالقاء للرعب فيه اشعار بانه ينصب في القلب دفعه واحده

2

يامرهم ان ياخذوا بالاسباب ليحظوا بتحقيق الوعد وهذا يتطلب ان يتعلموا فنون القتال والتركيز في تصويب ضربات السيف بحيث تكون الضربات في مواضع الكنايه فاستخدم العنق باعتباره المكان القاتل فجاء التركيز عليها اولا وذكر قطع البنان اشاره الي اهميه تعطيل مقابض السلاح التي يمسك العدو فيها السيف علي الاقل فلا تتعاطف مع الاعداء في المعركه حتي ولو كانوا اقارب

الموضوع الثالث

تبين الايات ان النصر بيد الله تعالي وله سنه لتحقيقه فالنصر الذي تحقق للمومنين في بدر وتسلط المومنين علي الكفار لم يكن مصادفه فليس الامر كذلك بل هو سنه الله في نصره دينه وهزيمه الكفار الذين يتخذون لحياتهم اهدافا وغايات غير ما خلقوا لاجله والذين يسلكون طريقا ومنهجا في الحياه غير منهج الله فقال تعالي (ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب)

ولهذا فان اللازم عليك ان تحشد الاسباب الماديه والروحيه واما النصر فهو بيد الله ومتي دفعت ثمنه فان الله

سوف ينصر المومنين واول هذا الحشد هو الالتزام بمنهج الله تعالي فالقانون الالهي والسنه الالهيه انه متي التزمت الجماعه المومنه منهج الله وسعت لاعلاء كلمه الله ولاجل ان يحكم منهج الله الكون ثم قامت جماعه بالوقوف امامها محاربه لها ولمنهج الله فان الله ينصر اولياءه ويهزم اعداءه ولهذا جاء التصريح بسبب الانتقام من الكفار بانه عائدا لرفضهم القبول بمنهج الله ومحاربتهم له لاجل التنفير من الخروج عن منهج الله والانقسام والتمزق الذي يبدد الجهود ويهدر الطاقات فالحق يحذر ان المومنين من الانقسام الذي يمزقهم شيعا واحزابا لان ذلك محاربه لمنهج الله وهذا السلوك من افعال المشركين كما قال تعالي (ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا)

فرفض المشركين الايمان عائدا للعصبيه القبيحه وهذا السلوك المقيت سبب حال الضعف والهون لما يعيشه المسلمون نتيجه الصراعات الحزبيه والطائفيه والمذاهبيه حيث اصبح الدين سلاح فئوي وسياسي يستعمل في المعركه بين ابناء الدين للخروج عن ثوابت الدين كتاب الله وسنه رسوله فاساس مانحن فيه يعود الي طغيان التعصب لدي المسلمين في اخر الزمان عندما فرط من يمتلك تنفيذ القرار بامانه الخلافه وفرط العلماء بامانه العلم فبدلا من اعاده اللحمه بين طوائف وحركات العمل الاسلامي علي اساس مفاهيم القران والاقتداء بالنبي صلي الله عليه وسلم وسنته تسلل الي النفوس الانانيه وحصل الانقطاع عن مفاهيم القران وصار الدين سلاحا ضد بعضهم البعض فما الذي نتج عنه اصابه الامه بداء الامم الذي طالما حذر عنه الرسول صلي الله عليه وسلم والذي قيل له ومامداء الامم فقال الرسول صلي الله عليه وسلم. البغضاا والحسد ولا اقول حاقله الشعر ولكنها حالقه الدين الا ادلكم علي شي اذا فعلتموه تحابتم افشوا السلام بينكم)

ولهذا فان التمسك بمنهج الله هو اساس القوه وتقديم العون والمدد الالهي والخروج عن المنهج والانقسام والتمزق ادي الي استغلال العدو بؤر الخلاف لخدمه مشروعه الاستعماري فشاهدنا الامريكان يستغلون القوميات الكرديه والعربيه والفارسيه والشيعه والسنه لازكاء مشروعه في احتلال العراق وافغانستان فاتخذ من هذه الحرب الخلافيه بؤر وموسسات ودولا تاتمر بامره في شؤون وتنفذ سياسيات مبادئه في شعوب الاسلام فادي هذا الحال الي تحقيق ما حذر منه النبي صلي الله عليه وسلم امته بقوله (يوشك ان تداعي عليكم الامم كما تداعي الاكله الي قصعتها قالوا امن قله نحن يارسول الله قال لا انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل يلقي عليكم الوهن قالوا وما الوهن يارسول الله قال حب الدنيا وكراهه الموت وفي روايه (وتنزع المهابه من صدور عدوكم)

وهذا القول فيه توضيح متي يمنع تحقيق وعده في قوله (سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان)

عندما تتحول اهداف القتال عن غايتها ويكو ن الخروج عن منهج الله وعندما تتعلق قلوبكم بالدنيا وامالها واعمالها وما فيها من استقرار صوري وعندما يتوقف المسلم عن الدفاع عن دينهم ويقبل صداقه الكافر وتنفيذ برامجه وتبرير تلك المواقف تحت اي مسمي في حين يتامر ضد اخوانه المسلمين ويحارب المشروع الاسلامي عندها تنزع المهابه من صدور عدوكم فيتجرا العدو علي اختراق صفوف الامه واعاده ترتيبها لتدور في فلك التبعيه لاهل الكفر

فهذا يعود الي الخروج عن منهج الله ولهذا قال تعالي (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب)

جاء هذا التذييل ليعلم كل من يرفض الالتزام بمنهج الله ويقف محاربا له انه مهزوم لامحاله لان تلك هي سنه الله الماضيه في اهلاك الكفار فجاء التعبير بالمضارع اشاره الي تنفيذ الوعيد كلما وجد من يحارب منهج الله واستعمل الاظهار في موضع الاضمار فلم يقل ومن يشاقهما لتربيه المهابه ولاظهار كمال شناعه ما اجتروا عليه واشعارا بعله الحكم (ان الله شديد العقاب)

انتبه من التهاون في امور الدين بالركون علي رحمه الله وانت تقف ضد دينه وشريعته محاربا لها وتقول سوف يغفر لي الله والله غفور رحيم

فالله ايضا شديد العقاب لمن يحارب دينه ولهذا نجد الالتفات في الخطاب من الغيبه الي المباشر خطاب يتوجه الي الكفار بالتهديد والوعيد فقال تعالي (ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار)

لبيان ان العذاب في الدنيا كالذي حصل في بدر من تجرع الذل والهون والقتل والاسر للذين وقفوا محاربين لدين الله هو كالذوق القليل من العذاب فما ينتظرهم في الاخره اشد واقوي لان الذوق يعرف به طعم اليسير من الشي ولهذا يخبرهم ان ما غاب اشد واقوى

القسم الثاني

بعد ان اختتمت الايه السابقه بتذكير المومنين بعدواه الكفار وكراهيتهم للحق تاتي الايات بعده نداء للمومنين فقال تعالي (يايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الامتحرفا لقتال او متحيزا لفئه فقد باء بغضب من الله وماوئه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي وليبلي المومنين منه بلا ء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين

المبحث الاول

ان الخطاب فيه انتقال من ذكر بيان حال الكفار والمشركين واهل الكتاب بانهم مهزومون فقال تعالي(سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب ...الخ

عند اللقاء في الحرب وان ذلك يعود الي محاربتهم لدين الله وتوعدهم الله بالنار فقال تعالي (ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله) ثم ذكر سنته في اهلاك كل من يقف ضد دين الله (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب)

ففي هذا بيان تمكين الله للمومنين من قتل الكفار وبيان العنايه بهم من الله فهو تعالي يذكرهم بعدواه الكفار وكرههم للحق ومحاربتهم لمنهج الله فاراد بهذا ان يستمر المومنون في اليقظه والاستعداد حتي لاتنسيهم نشوه النصر في بدر ما يضمره لهم الاعداء فدل هذا ان اهداف الثوره لم تحقق بعد لان الثوره تعصف باراده الشعوب لتقضي علي الظلم والتخلف والفساد ومن الطبيعي انه بعد حصول النصر ان تهدا وتستقر الشعوب حتي لا تعيش في جو العاصفه ولهذا فان مجي النداء للمومنين بقوله تعالي (يايها الذين امنوا) يعني ان الثوره مستمره وهذا الاستمرار يعني ان الثوره لم تنجح بعد بتحقيق اهدافها او ان هنالك انحراف عن الاهداف والتنظيم الثوري في الاسلام لايصوغ اهداف القتال من عقله بل لها تاصيل في كتاب الله فالجهاد هو في سبيل الله ولاعلاء كلمه الله ولهذا فقد جاء النداء متضمن اوامر ونواه متعلقه بموضوع الجهاد الاسلامي وضوابطه بما يتناسب مع سوق القصه ولهذا ياتي الخطاب متوجها للمومنين فيه بيان اهميه صياغه الطريق الذي يودي الي تحقيق الهدف

يناديهم بهذه الصفه التي تربطهم به تعالي (يايها الذين امنوا)

وهذا فيه

الامر الاول

عليك ان تشعر انت ايه السامع انك معني بهذا الخطاب انتبه تهرب من ميادين الحرب مع الاعداء فانت مكلف

بالجهاد من موقعك حتي تحول الهدف الي سلوك جماعي فالطبيب عليه ان يدرك انه معني بالخطاب وعلي عاتقه مسووليه خوض معركه تحويل اهداف الثوره بالقضاء علي الظلم والتخلف والفساد الي سلوك فالمومن مكلف بالاصوال والفروع اما الناس فهم مخاطبون بالاصوال فقط ولهذا فعندما تشعر انك المخاطب فان هذا يقتضي منك ان تقف موقفا بثبات وصمود لاتهرب من المعركه لان مهتمك ان تحول النظريات الي واقع وسلوك في الحياه فحقيقه الايمان اذا استقرت في النفس لابد ان تغير ذاتها من خلال الحركه والفاعليه الايجابيه بالشعور بالمسئوليه التي توجبها عقيده الايمان

فالمسلم ملزم بنشر الخير والتفاني في خدمه والمسلم يحمل هموم الناس ويشاركهم احزانهم ولهذا يقول الحق لاهل بدر ان مقتضي الايمان يستوجب عليكم عدم التوقف عند هذا الحد فانتم مطلوبون بالاستمرار في القضاء علي الظلم والتخلف والفساد عن البشريه فمعركه بدر هي معركه الفرقان بين الحق والباطل فهي نقطه البدايه للقضاء علي الظلم وتحرير البشريه كلها من الظلم والفساد والتخلف ولهذا جاء ت الايات بعد النداء متضمنه حكم التوالي عند الزحف فقال تعالي (اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال)

الامر الثاني

الخطاب لك انت ايه المومن فيه تحذير لك من التوقف في منتصف الطريق او ان تفر من المعركه فالمسلم ملزم بالقيام بايصال الخير للناس كلهم ورفع الالم عن البشريه ولهذا فان اجتماع الكفار علي محاربه الاسلام يقتضي ان تتخذ موقفا تدافع فيه عن دين الله وتحمي معتقد فقال تعالي

(يايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار)

واللقاء هنا المقابله والمواجهه يعني ان اهل الكفر قد اجتمعوا لاجل محاربه الاسلام فهذه المعركه ازاليه ابديه ولهذا فالمطلوب منك ان تقوم بحمايه الحق وتنميه جوانب الخير ومحاصره الشر ولهذا انت ملزم باحباط اي مشروع ضد الحق او عمل يسعي للنيل من دين الله وقيم الاسلام كل واحد يساهم في حمايه الحق والذود عنه

فالمطلوب مواجهه زحف الكفار بزحف مثله سواء في الصناعات والاختراعات او الهندسه او الاسلحه او القتال في ساحه المعركه فانت مجاهد من موقعك فاهداف الثوره لابد ان تتسع لتسوعب الطريق المووديه اليه فمعاناه المسلمون اليوم يعود الي التخلي عن الزحف في صناعات الاسلحه حيث امتلك اعداء الاسلام اسلحه فتاكه اصبحت تهدد الامه وتذل الدول لغياب زحف المسلمين في هذا المجال بل اصبح الغرب يمنع علينا السعي لامتلاك ايان من تلك الاسلحه وقد شاهدنا ما حدث من احتلال العراق لمزاعم اسلحه الدمار

كل هذا الضعف يعود الي تخلي المسلمين في القرون السابقه عن دورها في الزحف لمواجهه الاعداء حتي صارنا بهذا الضعف للاسف الشديد

وكذلك الحال في الاقتصاد والسياسيه فاصبحت امه الاسلام في هذا التخلف والعجز والضعف لماذا لانها لم تطبق اهداف الجهاد ولم تلتزم بمنهج الله فالمسلم ملزم بنشر الحق ورفع الظلم والمعاناه عن البشريه كلها حتي من غير المسلمين والحق يريد رجال اقوياء وضعف اهل الحق يودي الي ظهور الباطل وتطاولهم في الارض ولهذا فعلي اهل الحق ان يحافظوا علي قوه الحق وان لايضعفوا امام الباطل واهله

المبحث الثاني

الخطاب فيه توجيه للمومن بانه ينبغي عليه ان يكون ثابتا راسخ لاتهز العواصف قلبه لانه موصول بقوه الله فلا يجوز لاي هزه مهما بلغت ان تزعزع كيانه وتجعله يهرب من ساحه القتال والمواجهه مع اهل الكفر

ولهذا جاءت النصوص فيها تحريم الفرار من القتال في المعركه وهو حكم عام وليس مخصوص ببدر ولا مخصوص بوقت دون غيره جاء تحريم توليه الاعداء الادبار والادبار تطلق علي القفا ويستعمل للتعبير عن الفرار واستقبال جهه الهزيمه وقد ورد في الحديث عن ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل ماهن يارسول الله فقال السحر وعقوق الوالدين ..وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتم والتوالي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات)

وهذا حكم عام وليس مخصوص ببدر حيث انها نزلت بعد واقعه بدر وبعد انقضاء القتال ومجي الايه بعد الغزوه لبيان الاتي

الامر الاول

لتربيه الطليعه (المومنون) وتعريفهم ماذا يعني الانتساب الي تنظيم الايمان وماهي مهمتهم. والغرض من العمل الثوري (الجهاد) وقواعد ه فابتدا بالنداء اليهم بصفه الايمان ليعلموا انهم هم التنظيم السياسي الذي كلف بنقل الاهداف الي واقع الحياه اعلاء كلمه الله ب (القضاء علي الظلم والتخلف والفساد) فالهدف الثوري ان يحكم التوحيد الحياه وان يحكم القران جميع شوون الحياه فهو المسوول عن نظام الحياه في الارض ومهمه التنظيم الايماني تقتضي السعي و الحرص علي تحقيق اهداف الدين والقيام بحمايه الدين واهدافه وتحويل المعتقد الي واقع حياه من خلال جعل هذا الهدف سلوكا عاما يلتزم به العالم كله ويتم القضاء علي الظلم ويكون الدين كله لله ولهذا جاء هذا النداء عقب معركه

بدر ليدرك المومنون ان المعركه بالجهاد للقضا علي الظلم والتخلف والفساد مستمر حتي يكون الدين كله لله بهذا الهتاف للمومنين يقول لكل مومن لا تظن ان هزيمه الكفار في هذه المعركه ان اهداف الجهاد قد تحققت وان ان المعركه قد انتهت وان اهداف الثوره قد تحققت فمعركه بدر بدايه الصراع بين الحق والباطل صحيح ان المعركه فرقت بين الحق والباطل لكن هذا لايعني انه تم القضاء علي الظلم والفساد والتخلف والطاغوت والباطل ولكن هذا الفرقان الذي حدث ببدر يعني ان الباطل واهله من المشركين واهل الكتاب والظالمين صاروا جماعه واحده في مقابله اهل الحق ولهذا فانت مكلف بمقاومه الظلم

الامر الثاني

يتوجه بالخطاب الي المومنين الي تحمل المسووليه بالسعي الي جعل دين الله العدل والمساواه والحق يحكم العالم كله فانت مكلف بالجهاد في سبيل الله ورفع المعاناه والالم عن المطلومين عليك ان تدرك ان المهمه مستمره فمقتضي الايمان والانتساب الي جماعه المومنين توجب عليك انت تشعر

انك مسئول عن رفع الظلم وازاله الفساد ورفع الالم عن الناس بمقتضي الايمان فانت مكلف بازاله العقبات التي تحول دون تحقيق واحداث التغيير في العالم نحو الافضل بحيث يصير منهج الله هو منهج حياه الناس ونظام يحكم احوالهم واوضاعهم انت مكلف برفع الظلم وازاله الالم عن النوع البشري وتحريرهم من الطاغوت

الامر الثالث

انت مكلف بالتصفيه الجذريه للعقبات التي يضعها الطغاه في طريق تحقيق. الاهداف العدل والحريه والقيم التي جاء بها الاسلام لرفع الظلم ومعاناه البشريه حيث ان الطغاه سوف يقفون امام الناس وحريتهم مانعين لهم من اتباع الحق ولهذا فان مهمه المومن تتطلب ان يحمل اث السلاح اذا كان في استطاعته لرفع الظلم حتي عن غير المسلمين ونشر الخير في الارض لتمهيد طريق الناس باختيار المعتقد وحتي يكون احداث التغيير المطلوب نحو الافضل وهدا يعتمد علي استشعار المسووليه وان اهداف الجهاد ليست مجرد نظريات فالتغيير يعتمد علي قدره من يحمل مبادي الثور ه علي التعبير عن تلك الارداه بتحويل النطريات الي واقع الحياه فلا

تكون النظريات مجرد شعارات ترفع ولهذا جاء الوعيد الشديد لمن يفر من الزخف بانه قد عرض نفسه لغضب الله وسخطه وصيرورته الي جهنم فقال تعالي (يايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم من يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الي فئه فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير)

وبالوقوف علي الايه نجد انها

المساله الاولي

ترسم صوره قبيحه للهزيمه بالتشنيع لحال المهزوم الذي يفر من ساحه المعركه بالتعريض له باعطاء الادبار للاعداء

والدبر يعني الموخره الخلف لان المنهزم يجعل دبره وموخرته جهه عدواه وذلك اعون علي قتله اذا ادراكه وجاء الوعيد لمن يفر بالفاظ المفرد(ومن يولهم يومئذ دبره) لان ازاله العقبات وتحقيق التغيير يحتاج الي مشاركه الجميع في المعركه بروح الفريق الواحد مع الشعور بالمسووليه عن تحويل النظريات الي واقع الحياه علي كل مسلم

المساله الثانيه

الوعيد في هذا المقام يهدف الي تهذيب النفوس ولهذا ترسم الايه ماوي الفار من المعركه بانه يعامل بنقيض عمله فهو لايجد الامن عندما يفر بل يصل الي الهلاك فقال تعالي (وماواه جهنم وبئس المصير)

فماهي العاقبه انها الهلاك والعذاب في نار جهنم وعبر عنها بالماوي لان كلمه الماوي غالبا تستعمل. للمكان الامن كما قال تعالي (ساوي الي جبل يعصمني من الماء) وكما قال تعالي (اذ اوي الفتيه الي الكهف)

ولهذا استعملت هنا في هذه الايه علي سبيل التهكم بان الذي يهرب من المعركه يطلب النجاه ولكنه يجد الهلاك في نار جهنم

المساله الثالثه

كما ان الوعيد في الايه يدعوا الي احكام وسائل الجهاد ايضا لان تحقيق التغيير المطلوب مرتبط ايضا بالوسائل الممكن اتخاذها وصولا بهذه النظريات الي ارض التطبيق والممارسه لمواجهه الازمات وفق خطوات مرتبه من الناحيه العلميه والعمليه ولهذا جاء الاستثناء هنا لامرين

*

(الا ان يكون متحرفا لقتال)

ان يكون ذلك مكيده يكيدها المقاتل لعدوه يوهمه انه هارب منه لاجل ان يغريه فيلحق به ثم يلتفت اليه ويقتله فهذا انسحاب تكتيكي لاعاده ترتيب الصفوف او لاجل النكال بالعدو فهو لايدخل ضمن مفهوم الفرار من الحرب وانما يندرج ضمن الوسائل والخطط المطلوبه لمواجهه الازمات التي تنشا في الميدان

*

ان ينحز الي جماعه المومنين الاقوياء ليساعدوه او لمعونه من يحتاج للمساعده

وهذا فيه

المفهوم الاول

ان الواجب علي المجاهد الثبات والصبر والصمود اذا التقوا مع الاعداء فلا يضعف المومن عند الازمات لانه يحمل الحق ولابد ان يسعي جاهدا لاجل نصره الحق

المفهوم الثاني

ان اللازم اعداد المسلم بحيث يكون مقاتل محترف قادر علي تقدير الموقف واتخاذ خطوات عمليه لمواجهه الازمات خبير بمواطن القتال ومتمكن منه علي قدر عال من التدريب

فاختيار المكان المناسب للقتال والسيطره علي الاحداث من اهم عوامل النصر الماديه وهذه مهاره تحتاج الي معرفه تفصيليه بتطورات الازمه ومتابعه مستمره واختراق امني للقوي الصانعه للازمه ولهذا فعلي المسلم حال القتال ان ينظر هل هذا الجانب اصلح ام هذا الجانب اصلح ينظر هل يتقدم من هنا او هنا فينظر ماهو الاصلح والمصلحه هل ياتي من الميمنه او الميسره فالتحرف في اللغه النزول من جهه الاستواء الي جهه الحرف وهو طرف الشي وهو ان ينحرف وينعطف المقاتل من جهه الي جهه اخري يتمكن فيها من عدوه ويجعله يقع في المكيده

وكذلك علي المقاتل التدخل العملي بالاستفاده من قوه المجموع وتهئيه الاجواء ولهذا كان السبب الثاني ان ينحز الي مكان اخر والفئه هي الجماعه. بان يتحري ان يقف اما ان يلحق بالفئه القويه لمساعدته او يلتحق بالفئه الضعيفه لمعونتها

المبحث الثالث

فقال تعالي

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي وليبلي المومنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم

اولا

الايه فيها توجيهات وارشادات للتنظيم الايماني بعد معركه بدر نظرا لظهور فساد جديد قد وقع في البناء التنظيمي يحتاج الي احتياط حتي. لا يتم احتضان مفرادته عناصر فاسده نظرا لان البعض بدا يتفاخر بانه قتل كذا وفعل كذا ونتج عن ذلك الاختلاف بسبب الغنائم وهذا انحراف عن المسار يهدد كيان التنظيم الايماني فجاءت الايه بهذه التوجيهات لتصحيح المسار وضبطه ليتحرك صوب اتجاه الهدف الذي لاجله شرع القتال

فقال تعالي (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي

الامر الاول

تهدف الايه الي ان تغرس في النفوس انه لاحول ولاقوه للانسان وان النصر والهزيمه كل شي بيد الله وان العباد ستار قدره الله في الارض ولهذا يرد الحق علي من تباهي وتفاخر بما حدث ببدر (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ...الخ

يخبرهم الله تعالي انه هو فعل بالكفار القتل فالانسان لايملك القيام بالفعل وانما الارداه من الانسان واما تحقيق النتيجه هي من الله تعالي

وهذا فيه

المفهوم الاول:

انك اذا نجحت في شي انما كان هذا النجاح من الله تعالي فلا تنسب هذا الفعل لنفسك انتبه فان هذا انحراف عن المسار وعليك ان تدراك ان ذلك بتوفيق الله تعالي وليس من فعلك انت وبالتالي فعليك ان تنسبه الي الله تعالي

المفهوم الثاني

عليك ان تعرف نفسك بضعفها وافتقارها لربها فاحذر ان تغتر بنفسك فانت لا تملك لاحول ولاقوه وانت غير قادر علي شي اذا لم يتولاك الله برعايته وعنايته وتوفيقه ومعونته وامداده فانت قد تاخذ بالاسباب التي تجعلك توقن ان النتيجه حتميه لكن الله لايكتب لها التوفيق والسداد فيخيب املك ولهذا فعليك تفويض امرك لله والتوكل عليه والاعتماد علي تدبيره فالقوه كلها لله تعالي

المفهوم الثالث

عليك الثقه بالله والاخذ بالاسباب ولاتخاف من الاعداء. فمن كان الله معه فلا غالب له ان شاا ء الله ولك ان تنظر الي غزوه بدر فالمومنين قله والكفار كثيرون فلم تغني عنهم كثرتهم من الله شئيا وقد نصر الله القله التي استعانت بالله تعالي

المفهوم الرابع

عليك ان تفهم انه مهما بلغت من المهاراه والدقه في التصويب والرمايه اذا لم يسدد الله رميتك فانها لن تبلغ الهدف فلا تغتر بنفسك (المصدر مجالس التدبير)

المفهوم الخامس

ان اللازم علي المومن في حياته العمليه ان ينظر لكل انجازاته التي انجزها ومن ثم فعليه ان يشكر الله علي التوفيق له والسداد ثم عليك ان تفتتش عن من ساعدك وشاركك في الوصول الي النتيجه وعندها فانه يتوجب عليك الاعتراف لمن شاركوك في الوصول الي الانجازات

الامر الثاني

عليك ان تشعر ان كل شي بفضل الله وتوفيقه فانسب الفضل لصاحب الفضل فمن تمام نعمه الله علي عبده ان يعرفه ماانعم عليه من نعمه حاضره واعطاه من شكره قيدا يقيدهاحتي لاتشرد ولهذا يقول الحق (وليبلي المومنين منه بلاء حسنا)

ان الله نصركم وايدكم بنعمه بدر ليعرف المومنين نعمه الله عليهم من اظهارهم علي عدوهم مع كثره اعدادهم وقله اعداد المومنين ليعرفوا بذلك حقه في شكره تعالي فعبر عنه بالبلاء الحسن لان البلاء يكون في الخير ويكون في الشر والحسن يوم بدر وذلك لانه حصل فيه النصر والتاييد والتوفيق والابتلاء قد يكون بالمرض ونحو ذلك والابتلاء يسبق التمكين كما ذكر عن الشافعي عندما سئل اندعوا الله بالابتلاء ام بالتمكين فقال لن نتمكن قبل ان نبتلي

ولهذا لما حشد الرسول صلي الله عليه وسلم كل اسباب النصر المعنويه والماديه وشكر الله ووفقه الله لعمل يستجلب به النعمه التي كان ينتظرها بتحقق وعد الله بالنصر علي الكفار وبصره الله بالطرق التي تسددها ولهذا اختتم الايه (ان الله سميع عليم)

يسمع الاقوال ويعلم الاعمال والنوايا وهذا فيه

المفهوم الاول

اهميه السرعه في التدخل لمعالجه الامراض التي قد تنتج داخل الصف المومن عقب اي تجربه ولهذا نجد انه بعد غزوه بدر التي اغدق الله علي عباده المومنون بنعمه النصر والتاييد تاتي الايات لتربيتهم. ليكونوا قادرين علي استشفاف مسار هذا التطور فاخبرهم الله ان هذا الانجاز العظيم ليس منهم وانما هو بقوه الله ومشئيته فاخبرهم ان النصر من عند الله وانهم لم يقتلوهم ولكن الله هو الذي قتلهم

المفهوم الثاني

ان التاييد الالهي بتسديد الرميه هي التي حققت النتيجه ولولا ذلك التوفيق لما وصلت السهام المرميه الي الهدف فعليك ان تدرك انه ليس بوسعك الا ان تحاول السداد وان تعتمد علي الله في التوفيق فالنيه من عندك والتنفيذ من عند الله

ولهذا جاء نفي الرميه عن النبي والصحابه وثبت بعدها الرمي لله تعالي لتفهم انه تعالي هو الذي اوصل مارماه الي الكفار فاصابهم بمقتل فنفي الفعل هنا باعتبار ان الفعل الموجود حقيقه هو فعل الله تعالي

الامر الثالث

ختم الايه بقوله (ان الله سميع عليم) وقد وردت في هذه السوره في اربعه مواضع هذه الايه وفي قوله تعالي (اذا انتم بالعدوه. الدنيا وهم ...وان الله لسميع عليم) الايه (42)وفي قوله تعالي (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمه انعمها .....وان الله سميع عليم) الايه (53)وفي قوله تعالي (وان جنحوا للسلم .....انه هو السميع العليم) الايه (61)

وهذامرتبط بقواعد الجهاد وعمليه بناء الدوله والحفاظ علي المكتسبات

وعده مفاهيم متعلقه بذلك نذكر منها الاتي

المفهوم الاول

للحث علي الدعاء والمناجاه. لطلب التاييد الالهي والانتباه من الاعجاب بالاعمال لانها تفسد قيمتها ولهذا كان ختم الايه بقوله (ان الله سميع عليم) مناسبا للتحذير من ذلك السلوك كي يحرصوا علي شكر الله والاخلاص في الاعمال لتكون لوجه الله تعالي

المفهوم الثاني

اهميه التزام من يلتحق بتنظيم جماعه الايمان بالقيم الروحيه التي تحملها عقيده الجهاد والتقيد بادبيات العمل الجهادي والدفاع عن الدين والدوله بارداه وجه الله بقصد خالص

المفهوم الثالث

اهميه قيام القياده بالرقابه لاداء التنظيم ومدي التزامه بقواعد الجهاد وادبياتها والتزامه بفلسفه وقواعد الجهاد فاذا انحراف عن قواعد الجهاد واخل بالالتزامات فيجب التدخل سريعا قبل ان تسلل العناصر الانتهازيه الي داخل الكيان ولهذا اختتمت الايه بقوله (ان الله سميع عليم)

للتاكيد علي ارتباط الفاعليه الايجابيه بالشعور بالرقابه الالهيه والاحساس بذلك فان العبد اذااحس بالرقابه فانه لن يخالف امر الله ولهذا لما تباهي البعض باعمالهم في احد فقال احدهم قتلت فلان وفعلت كذا نزلت الايه

تحذرهم من عواقب الاعجاب بالنفس ومن اخطار نشاه تنظيم يضم كودار غير قادره علي استشفاف مسار التطور فالجهاد شرع لنصره دين الله فلا للمسائل الشخصيه ان تدخل في اهداف الجهاد والتغيير فالحرص علي القيم والانضباط هي مما يتفرع عن الايمان من اخلاق كريمه تحترم العلاقات الانسانيه ولاتسمح للغدر والخيانه والخداع والتصفيات الجسديه بدوافع شخصيه تحت ذريعه الدين ان. تحل محل القيم والمبادي

ثانيا

(ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المومنين)

الايه وردت في مقام الحديث عن قواعد الجهاد والنصر يحدد فيه ـفلسفه الجهاد ودوره في عمليه التطوير وبالوقوف مع الايه نجد الاتي

الامر الاول

تتحدث الايه عن بشاره اخري لنصر الله المومنين فيقول لهم الحق ان التدبير الالهي لايتوقف عند تسديد الله لرميتكم وتوفيقه قتل الكفار وتمتد الي توهين كيد الكفار اي اضعافه وهزيمتهم وهذا هو الاصل في معركه الحق ضد الباطل

فالايه تهدف الي الاتي

المفهوم الاول

تقويه العزائم والهمم لبذل الجهد للمساهمه في صناعه الخلاص للامه فاذا علم العبد ان الله يخذل الكفار ويضعف تدبيرهم فما الذي يجعله يخاف من العد و وبالتالي فلا يمكن للعبد ان يولي الادبار عند لقاء الكفار

المفهوم الثاني

كما ان اعلام الله للمومنين بهذه البشاره باضعاف الكفار وكيدهم يدعوا كل واحد الي العوده لنفسه يقف معها ليشاهد نتيجه السلبيات التي يصنعها الكفار ضد الاسلام بانها تفسد ويزوال مفعولها فقدره الله تتولي ابطال كيد الكفار سواء الفكريه مثل اثاره الشبهات حول الدين او في القتال او غيرها من الدساس فالله يخبرنا انه متكفل بتفكيك وابطال مفعول هذا الكيد فانتبه ان تهرب من ميادين المعركه بين الحق والباطل

و قد شاهدنا تجارب واقعيه كيف ان كيد الاعداء الاسلام تحول الي قوه للاسلام واهله فمثلا اراد الاعداء بصناعه تنظيمات متطرفه محسوبه علي الاسلام تخالف تعاليم الاسلام وترتكب جرائم باسم الاسلام وتقديمها للغرب علي انها هي الاسلام فماذا كانت النتيجه لقد ساهم ذلك في اسلام العديد من الغرب لانهم قاموا بالبحث عن الاسلام وعقيدته فوجدوا انه دين الرحمه والانسانيه وفهموا ان تلك الصوره المشوهه لاتمت للاسلام بصله

وانها جماعات صنعها الغرب انفسهم وروجوا لها لاجل النيل من الاسلام فكانت النتيجه عكس ما خططوا له ولهذا فان هذا البشاره فيها تهئيه ظروف تدفع المسلم الي حتميه الاعتماد علي الله وتحويل الحماس الغريزي في النفس الذي يتولد عفويا عند الاحساس بالخطر ونشوه النصر من سلبي الي حماس ايجابي للدفاع عن النفس وحمايه الامل الذي يجسد الاهداف بدل الاتكاليه السلبيه بالاعتماد علي الاخرين لدفع الخطر عنه فبدل استهلاك الحماس بحلم النصر الذي يامل تحقيقه علي يد الاخرين يتحول الي واقع يشارك في صناعته فالاعلامي يصمد في معركه الحق والباطل فلا ينهزم امام الاعداء والمقاتل كذلك والطبيب والعالم كلا من موقعه يثبت في معركه الحق والباطل

الامر الثاني

تنتقل الايات الي هذا الخطاب (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح

ذهب البعض للقول ان الخطاب هنا متوجهه الي الكفار الذين استفتحوا في بدايه المعركه فقالوا ان ابوجهل ومن معه توجهوا بالدعاء الي الله ودعوه ان يجعل الدائره علي اضل الفريقين وان يفصل الله بينهم فدرات الدائره علي الكفار فقد اهلك الله الكفار ونصر المسلمين

وقيل ان الخطاب موجه للمومنين يقول لهم ان النصر الذي وعدكم الله قد جاءكم فاشكروا الله والزموا طاعته وذهب القاضي بان قوله (فقد جاءكم الفتح) لاتليق بالمومنين ماورد بعدها وان تنتهوا فهو خير لكم ...الخ

وبالوقوف علي الايه نجد

*

ان هذا الخطاب متصل بالايات السابقه فهو ينادي المومنين وفيه تعريض للمشركين بنفس الوقت وذلك لان الايات وردت في اطار ايضاح تفاصيل المستقبل وتنظيمه وابراز قسمات الجماهير بحيث ان كل واحد من المجتمع المسلم يقتنع عن طريق هذا الخطاب بان اليوم افضل من امس وان غدا سيكون افضل من اليوم وان المستقبل يحمل امالا ومجالات اوسع لتحقيق احلامه وافاقا اشمل لممارسه قدراته وابداعته ومواهبه وهذا مايودي الي التنافس المشروع لدفع عجله التقدم والتطور في اطار التنظيم الايماني فيحصل ارتباط الشعب بالتنظيم الايماني الذي انبثق عن هذه الفلسفه وتنشا عنها القناعه الفكريه في المجتمع وهذه القناعه تلد المناعه الفكريه التي تستطيع ان تقف في وجه المثبطين والمنافقين الذين يسعون للنيل من اهداف الامه وامالها

ولهذا فقد كان ذكر هذه التفاصيل في الخطاب الموجه للمومنين متناسبا مع التعريض للمشركين لاثبات عدم ملاءمه الشرك مع مزاعم الانتساب الي الاديان حيث ان واقعه الفيل التي توالت القدره الالهيه الدفاع عن الكعبه والمقدسات قد تركت انطباع لدي القبائل العربيه ان قريش تحظي برعايه الله وعنايته وانه لاتوجد قوه قادره علي الحاق الهزيمه باهل مكه وهذا ولد في اهل مكه غرورا جعلهم ينظرون لانفسهم انهم منصورون ولا يمكن ان يهزموا فكان الاستفتاح منهم بدعاء الله ان يهلك اضل الفريقين فقد ورد ان ابو جهل قال اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لايعرف فاحنه الغداه) وكذلك قوله لحكيم ابن حزام وقد جاءه رسولا من عتبه بن ربيعه ليرجع عن القتال (كلا والله لانرجع حتي يحكم الله بيننا وبين محمد) وحدوث الهلاك لهم في بدر باعثا لخلق مناخ نفسي للاقبال علي الاسلام وترك الوثنيه من قبل القبائل العربيه ولذلك سميت بالفرقان لانها فرقت بين الحق والباطل وظهر للناس تحطم اسطوره العنايه الالهيه لاهل مكه فقد مثلت هزيمه المشركين في بدر امام المسلمين سقوط اركان الصنميه التي صنعها المشركون في نفوس القبائل المحيطه بمكه بالذات بعد واقعه الفيل فكانت بدر فعلا معركه الفرقان التي حطمت اوكار الوثنيه وولدت القناعه لدي الجماهير بفساد العقافه التي صنعها المشركون في الجزيره العربيه وابراز ان افعالهم من سدانه الكعبه ووصل القرابه وغيرها من الاخلاق التي

كانوا يتباهون بها ويعتبرونها من اسباب النصر و ولهذا نجد التعريض في الخطاب للمشركين في السياق بالترغيب بترك الوثنيه والانتهاء عما هم فيه من الشرك والكفر والمشاقه لله ورسوله فقال تعالي (ان تنتهوا فهو خير لكم)

ان تنتهوا عن قتال الرسول وعدواته وتكذيبه فهذا خير لكم في الدنيا بالنجاه من الذل والهون وفي الاخره بالنجاه من العذاب

ومع الترغيب الترهيب (وان تعودوا نعد)

اي ان تعودوا لقتال الرسول والمومنون نعد الي سنه تسلطهم عليكم بالقتل. والاسر فقد شاهدتم في بدر وعرفتم تاييد نصره تعالي المومنين عليكم ولن تنفعكم كثره اعدادكم فقال تعالي (ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت)

لماذا لان الله يقف في صف المومنين فقال تعالي (وان الله مع المومنين)

فاراد بهذا ابطال قيمه الاعمال وان كانت صالحه بدون الايمان االراد ابراز فساد اعمالهم وان كانت صالحه في موضوعها مثل سدانه الكعبه وصله الرحم واكرم الضيف وغيرها من الاخلاق التي كان اهل مكه يعتقدون انها من اسباب الحمايه الالهيه كما نفهم من حديث خديجه مع الرسول صلي الله علبه وسلم في بدايه نزول الوحي حيث ورد في صحيح البخاري حديثا مطولا بهذا الشان عن عائشه في باب كتاب بدء الوحي ذكرت فيه انه بعد نزول جبريل للرسول فقال (اقرا باسم ربك الذي خلق ...الخ

فرجع بها الرسول صلي الله عليه وسلم يرجف فواده فدخل علي خديجه بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتي ذهب عنه. الروع فقال لخديجه واخبرها الخبر لقد خشيت علي نفسي فقال خديجه كلا والله ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين علي نوائب الحق ...الخ فهذه كانت ثقافه سائده في المجتمع الجاهلي ولهذا كان استفتاح ابوجهل باعمال صله الرحم وغيرها من اعمال الخير فابرازها معتقدا انها تجلب معونه الله لهم ولهذا يخبرهم الله هنا انه تعالي يقف مع المومنين فلا قيمه للاعمال التي فيها الخير دون وجود الايمان فالاعمال المذكور مجرده من اصلها الاعتقاد ي لانها منقطعه عن المنهج الذي يجعل امتثال الامر والتزامه تعظيما لله تعالي فمعيه الله انما تكون. لمن خضع لحاكميته تعالي وحده لاشريك له

وهذا ما ينبغي ان ينتبه له المسلمين اليوم الذين اصبح الكثيرون ينظرون ان الانتماء للاسلام وقولهم لا اله الا الله فقط يكون فيه النجاه وهم يرفضون القبول بالاحتكام لمنهج الله تعالي ويشركون ب الله في افعالهم برفض القبول بالحاكميه لله يتصورن انهم بالصلاه والصيام وغيرها من الشعائر هم اهل الحق وان الله ينصرهم بتلك العبادات ان هولاء مخدوعون شانهم شان كفار قريش الذين لم ينتفعوا باعمالهم الصالحه لانهم لم يعرفوا معني الواهيه الله وربوبيته وتوحيده وتصورا انهم علي دين ابراهيم وهم بعيدون عن ذلك فابو جهل كان يظن نفسه انه علي دين الحنفيه دين ابراهيم وخرج يقاتل في بدر معتقدا انه علي الدين الحق وان الله سوف ينصره ولهذا استفتح علي الله فقال (اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لايعرف وفي روايه واضل الفريقين واقطعهما فاحنه الغداه)

ولهذا فان الايه تبين اهميه الانسلاخ عن الجاهليه وافكارها والانتباه من الانخداع بالاخلاق واعتبارها انها هي العقيده والشريعه فهي مطلوبه لكن يجب ان تكون مبنيه علي اساس سليم من الايمان فاللازم الحرص علي ان تكون نقطه الانطلاق والبدء في العمل بالاسلام وعقيدته ناتجا عن بدايه صحيحه ومن منابعه الصافيه التي لا غوش فيه فكثير من اخطي الطريق سلك طريقا معوجا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

ثالثا

(يايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولاتولوا عنه وانتم تسمعون ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون)

المبحث الاول

ان اول مايشد الانتباه هو عوده السياق الي مناداه المومنين مره اخري

وهو ما دفع البعض للقول ان الخطاب موجه لليهود والنصاري لانهم امنوا بالله ولكنهم رفضوا الايمان بالرسول صلي الله عليه وسلم وهذا القول غير سديد بدليل ان الايه ورد فيها الامر بطاعه الله ورسوله ولقوله تعالي (ولا تولوا عنه) التوالي والاعراض يعني الانصراف وهم يسمعون الايات واليهود والانصاري لاينطبق علبهم ذلك

وكذلك من قال ان الخطاب موجه للمنافقين الذين امنوا باللسان دون الفعل وقد قال ابن عطيه ان هذا الاحتمال ضعيف معللا ذلك بان الايمان التصديق والمنافقون لايتصفون بشي من هذا

ولهذا فان الصواب ان النداء للمومنين واما مجي النداء مره اخري عقب ذكر ما تقدم من ارشادات وتوجيهات متعلقه بالقتال عند ملاقاه الكفار

وعقب تاكيد ان الله موهن كيد الكافرين وبيان ان عون الله وامداده لاولياءه بالقوه والنصر انما يكون للمومن فاعمال الخير التي كان يستفتح بها المشركون من صله الرحم واكرام الضيف ...لاقيمه لها بدون الايمان

فقال تعالي (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح .....وان الله مع المومنين) فاراد بهذا النداء الاتي

الامر الاول

التحذير للمومنين من ان تتحول العقيده لمجرد شعائر دينيه مجرده عن القيم والمبادي كان يعتقد ان الايمان هو الصلاه والصيام ...ولايقبل ان يحكم القران الحياه السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه وكل شوون الحياه فهذا التصور الفاسد يشبه حال المشركين الذين كانوا يستفتحون باعمال الخير الاجتماعيه من صله الرحم وسدانه الكعبه وهي منقطعه عن الايمان بالله وحده لاشريك ويرفضون ان تكون الحاكميه لله ويعتبرون ذلك هو الدين فاخبرنا الله ان ذلك المسار فاسد فقيمه الاعمال انما تكون بالايمان بالله وحده لاشريك له والاذعان والتسليم لامر الله فقال تعالي(وان الله مع المومنين) فقوه المومن تكمن بطاعه الله فجاء تكرر الندا البعيد للمومن من اجل ان يحس ويشعر باهميه مايدعوهم الله سبحانه من الطاعه لله والرسول والنهي عن التوالي بعد سماع الايات واعتبر التوالي امر مستقبحا لايقدم عليه انسان له قلب يفهم به فلابد ان يكون القران دستورا للحياه وهو المسؤول عن ضبط مافيها فلا تسمحوا تحت اي ظرف من الظروف بانتقال الفساد الذي رسمته الايات الي بينان التنظيم الايماني واجهزته انتبهوا ان تصبحوا مرايا للواقع الفاسد الذي ايديكم الله ونصركم عليهم انتبهوا ان تنتقل امراض ذلك الواقع الموروثه الي التنظيم الايماني ودولته فلابد من القضاء علي العوائد التي كانت سائده في الجاهليه ولهذا جاء تكرر النداء (يايها الذين امنوا اطيعوا الله والرسول ولاتولوا عنه وانتم تسمعون)

بعد اختتام النداء السابق للمومنين الذي جاء بعد استعراض احداث بدر وبعد تذكيرهم بتدبير الله وتقديره وعونه للمومنين ...وبعد كشف اخطاء البعض الذين كرهوا مساله تقسيم الغنائم فجاء النداء بالبعيد للمومن ليحس المومن باهميه ما يدعوهم الله اليه والذي يامرهم بطاعه الله ورسوله والنهي عن التوالي بعد سماع ايات الله واعتبر التوالي امر مستقبحا لايقدم عليه صاحب قلب حي يفهم ومن له عقل يفكر فيه ويتدبر به

الامر الثاني

تبين الايات ان الانفعال الحاصل بسبب معرفه تاييد الله ونصرته لاولياءه التي كشف عنها في بدر لابد ان يتم الانتقال بها لمرحله الشعور بوجود الله واستحضار افتقار العبد وحاجته الي الله تعالي وتحس برعايه الله وعنايته ولطفه وحسنه واحسانه ليصير انفعال منظم مستمر حتي يستمر اثره تشعر انك ستار القدره الالهيه فكل نصر من عند الله وان تثمر معرفه الانفعال الحاصل عن مشاهده حسن الله وجماله وجلاله واحسانه

محبه الله. الخضوع له والاستسلام والاذعان فهذا هو الانفعال المنظم

وهذا امر مهم لان الانفعال الوقتي او العشوائي يزول بزوال الموثر فهو كالبخار الغير منظم لايولد طاقه دفع ولا قدره تحريك وهو يتجلي مع المناسبات العابره ويتبخر مع البخار المنطلق فلا يدفع طاقه ولايحرك القدرات في اتجاه التطور لانه لايصل الي اعماق النفس الداخليه التي لابد للتوحيد ان يغزوها فيكون ثمره الانفعال الحاصل عند مشاهده احسان الله ولطفه وتدبيره هو محبه الله والخضوع له والاستسلام والاذعان له علي الدوام فهذا هو الانفعال المنظم الذي يشكل قوه دافعه الي امتثال امر الله برضا وقناعه واختيار وهذا الحب عندما يصل الي اعماق النفس الداخليه يخلص صاحبه من صنميه الانانيه وعندها يتبع الرسول صلي الله عليه وسلم لانه المصدر الذي ينقل لنا المطلب الرباني

فالله يقول (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

فهذه الايه تسمي ايه المحبه قال بعض السلف ادعي قوم محبه الله فانزل الله ايه المحبه. (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) اشاره الي دليل المحبه وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبه المرسل اليكم فما لم تحصل منكم المتابعه فمحبتكم له غير حاصله ومحبته لكم منتفيه

لهذا فان الانتقال بالانفعال من العابر الي المنظم مهم لان الانفعال العابر لايحدد ملامح القدوه المستمره التي تزوده بالطاقه وبالتالي ينحرف في المسار كما كان عليه اهل مكه الذين كانوا معجبين بديانه ابراهيم ولكنهم خرجوا عن الحنفيه وانحراف في اتجاه المسار وصنعوا قدوه من مخيله المشركين جعلتهم يرسمون صوره لابراهيم كانه مشرك جاء بمشروع الاصنام والعياذ بالله ولهذا يقول الله تعالي (يايها الذين امنوا اطيعوا الله والرسول ولاتولوا عنه وانتم تسمعون ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعنا)

فاعاده الضمير الي النبي صلي الله عليه وسلم حسبما ذكر الالوسي (يقصد بها اتباع الرسول وطاعته والاقتداء به وذكر طاعه الله توطئه لطاعته وهي مستلزمه لطاعه الله تبارك وتعالي لانه مبلغ عنه)

فاراد بهذا ان اتباع منهج الله القران وسنه النبي صلي الله عليه وسلم والاقتداء بالرسول فقد كان قرانا يمشي بين الناس فاذا حدث هذا كان التمكن من ضبط المسار وعندها تلتئم الجماهير فتحدث نبضات تدق شرائين المجتمع نتيجه نشاه هذا الارتباط المتجدد بينها وبين قيادتها وقدوتها التي استحقت الطاعه تبعا لطاعه الله والحب تبعا لحب الله

عندها يجد العبد حلاوه الايمان لان الانفعال العشوائي انتقل الي مرتبه الانفعال المنظم لان من احب شئيا اشتهاه اذا حصل له مراده فانه يجد اللذه والفرح والسرور بذلك وهو امر يحصل عقيب ادراك الملائم الذي هو المحبوب او المشتهي يقول ابن تيميه(فحلاوه الايمان المتضمنه للذه والفرح تتبع كمال محبه الله وذلك بثلاثه امور :تكميل المحبه وتفريعها ودفع ضدها فتكميلها ان يكون الله ورسوله احب الي العبد مما سواهما فلا يكتفي باصل الحب بل لابد ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومحبه الله تستلزم محبه طاعته فانه يحب من عبده ان يطيعه والمحب يحب ما يحبه محبوبه ومن لوزام محبه الله محبه اهل طاعته كمحبه انبياءه وعباده الصالحين فمحبه ما يحبه الله ومن يحبه الله من كمال الايمان وتفريغها ان يحب المرء لايحبه الا لله ودفع

ضدها ان يكره ضد الايمان كما يكره ان يقذف في النار) وهذا هو الايمان الراسخ الذي اخبرنا عنه الرسول صلي الله عليه وسلم (لايجد العبد حلاوه الايمان حتي يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما .وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار .....الخ

والحلاوه هنا هي التي يعبر عنها بالذوق لما يخصل به من لذه القلب ونعيمه وسروره وغذائه وهي شي محسوس يجده اهل الايمان في قلوبهم قال السيوطي في التوشيح (وجد حلاوه الايمان) فيه استعاره تخييليه شبه رغبه المومن في الايمان بشي حلو واثبت له لازم ذلك الشي واضافه اليه

وقال النووي معني حلاوه الايمان. استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق وايثار ذلك علي اغراض الدنيا ومحبه العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول صلي الله عليه وسلم

وقوله(ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما) يعني بالسوي مايحبه الانسان بالطبع كمحبه الولد والمال والازواج فتكون احب هنا علي بابها

يقول الخطابي المراد بالمحبه. هنا حب الاختيار لاحب الطبع

فمن علامات محبه الله ورسوله ا ن يحب ما يحب الله ويكره ما يكره الله ويوثر مرضاه الله علي ماسواها ويسعي في مرضاته ما استطاع ويبعد عما حرمه الله ويكرهه اشد الكراهه ويتابع الرسول ويمتثل امره ويترك نهيه كما قال تعالي (ومن يطيع الرسول فقد اطاع الله)

فمن اثر امر غيره علي امره وخالف مانهي عنه فذلك علم علي عدم محبته لله ورسوله فان محبه الرسول من لوزام محبه الله فمن احب الله اطاعه واحب الرسول واطاعه ومن لا فلا

ولهذا قال تعالي (ولاتولوا عنه وانتم تسمعون)

جمله مسوقه لتاكيد الانتهاء عن التوالي مطلقا ولايقصد بها النهي عنه بحال السماع اي اطيعوا الله ورسوله ايه المومنون ولاتولوا عنه بحال انكم تسمعون القران الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجره عن مخالفته فالتوالي في هذه الحاله قبيحه غايه القبح

الامر الثالث

تدعوا الايات المومنين الي تحويل النظريات الي سلوك جماعي يترجم العقيده ومبادئها فقال تعالي (يايها الذين امنوا اطيعوا الله والرسول ولاتولوا عنه وانتم تسمعون ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون)

فرفع الشعارات امر سهل والادعاء اسهل لكن التطبيق انما يكون بتحويل الشعارات والادعاءت الي واقع حياه ولهذا فقد اراد بالسماع هنا التطبيق

اي ان يودي سماع الايات الي التحرك لان ذلك يعني انه فهم الخطاب فالذي لايتحرك يعني انه لم يسمع السماع المطلوب فالاعجاب الناتج عن الانفعال يزوال بزوال الموثر كما اوضحنا سابقا ولهذا فالمطلوب سماع فهم وامتثال تعظيم ولهذا قال تعالي (ولاتولوا عنه) اي لاتعرضوا عنه واستخدم جمله (تولوا) للتعبير عن عدم السماع المطلوب بما يتناسب مع حال الذين يتساهلون ويتهاونون في الامر والذين يعرضون عن السماع فالناس انواع من حيث السماع 1/ سماع بدون فهم ولاقبول وهذا سماع المنافقين 2/اعراض عن السماع بالمره كما قال تعالي عن الكفار (وقالوا لاتسمعوا لهذا القران والغوا فيه) 3/سماع وفهم لكن بدون قبول كحال اليهود 4/سماع بدون فهم وهذا سماع المتساهلون 5/ سماع فهم وقبول وهذا سماع المومنون الذين يسمعون بوعي وعنايه واهتمام بالقول وبفهمه

ولهذا استعمل لاتولوا ...اي لاتديروا ظهوركم عن الدعوه ولا ترفضوا الاوامر فالطاعه مطلقه لا اقتراح ولاراي لكم مع حكم الله ورسوله

وعليكم التنفيذ والتطبيق لامر الله ورسوله وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

ان معيار ايمان المومن الصادق هو طاعه الله ورسوله فاذا اردت معرفه صدق من يدعي الايمان فانظر الي طاعته لله ولرسوله ولهذا قال الرسول صلي الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان)

المفهوم الثاني

المعيار علي صدق الشعارات هو السلوك المطابق للشعار فاذا سمعت شخصا يقول عقب انتهاء ايات القران التي تتحدث عن العدل صدق الله العظيم وهو ظالم فهذا الكلام الصادر منه مجرد شعار بالنسبه له فهو غير مومن به حقيقه

المفهوم الثالث

السمع عند الله هو الذي ينتج عنه حركه وموقف تعبر عن الانتفاع بالسمع

فاذا لم تحصل الاستجابه للحق فان هذا السمع لافائده منه لانه لم ينتج عنه اجابه للحق

المبحث الثاني

(ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون)

ينهي الحق المومنين من سلوك الامم السابقه الذين تلقوا الوحي الالهي بالهزل وعدم الفهم لما فيه فالسمع يتطلب الاستجابه بالطاعه وهولاء كانوا يستمعون الوحي وبعدها يرتكبون المعاصي ولذلك قال تعالي عنهم انه قالوا (سمعنا وعصينا) ولهذا فان مجي النهي في مقام الحديث عن الجهاد وعقب استعراض احداث بدر التي مثلت نقطه تحول في حياه الامه التي اختارها الله لحمل رايه الهدايه في هذه الفتره الزمنيه تحديدا

يهدف الي

الامر الاول

تعريف المومن بمهمه الخليفه في الارض بانه يكون بحمل امانه القيام بامر الله وحمل لامانه العلم بالاسماء والعلم بخالق الماده واي معرفه تفتقر الي الاخري تعني ان الخلافه ناقصه فالانسان بحاجه الي معرفه كيفيه التعامل مع من حوله من بني جنسه ليكون خليفه لله بقيام علاقاته معهم علي احكام ما انزل الله وكذلك في جميع جوانب الحياه ولهذا فان الانسان بحاجه الي معرفه المنهج الذي يضبط المسار لتكون وفقا لمراد الله ولهذا يخبرهم الله ان اهم شروط الخلافه هو طاعتهم الله فقال تعالي (يايها الذين امنوا اطيعوا الله والرسول ..الخ

فهذا هو العهد الماخوذ من ادم حينما اسكنه الله الارض كما قال تعالي(قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ...الخ

فقد قيدت الخلافه باتباع الهدي والخلافه لاتثبت للانسان بمجرد ولادته وانما تثبت له بطاعه الله والقيام بحق

الامانه التي كلفه الله بها ولهذا فان شرف الخلافه لايوصف بها الا من اختار الاسلام ابتدا من ادم الي موت اخر ابناءه لقوله تعالي (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) والمراد بهذا الاستسلام والخضوع لامر الله

ولهذا فان الخروج عن طاعه الله يعني الخروج عن شرف الخلافه فكل من خالف منهج الله من الامم السابقه اهلكه الله فذكر التحذير من سلوك الامم السابقه لان من خالف منهج الله فهو عرضه للهلاك

الامر الثاني

يحذر الله التنظيم الايماني من مغبه التهاون في سياده الشرع او التساهل في احكامها فيقول ان هذا الفساد مدمر يشبه حال من كان قلبكم من الامم والتي حل بها الدمار انتبهوا من تلك الامراض التي حطمت الامم السابقه وحضارتها حيث تحول الانتساب للرسل والكتب السماويه مجرد سلعه لطلب الامتيازات فقد تحول الايمان عندهم الي مجرد شعار يرفع دعوي خاليه من الدليل ولاحقيقه لها فقالوا نحن ابناء الله واحباوه ...فقال تعالي (ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون)

فهذه الحاله لايرضاها الله ولارسوله فليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكنه ماوقر في القلب وصدقه العمل

فليس الانتساب الي جماعه الومنين تصاريح مرور الي الظلم والغاء سياده الشرع بل الايمان هو الذي يقتضي الاذعان والخضوع للشرع والرضا والقبول باحكامه من اعماق الانسان المسلم بالرضا والتسليم يظهر اثارها بالامتثال بمجرد سماع حكم الله فالضمير الايماني والشعور بانه مكلف بحمايه وحراسه الشرع من ان تنتهك احكامه تولد قوه دافعه عند السماع لفهم مافي الايات من احكام ليباشر بتنفيذها بالاخلاص وابتغاءوجه الله بذلك فلا يحتاج الي رقابه الدوله له اثناء التطبيق فهذا هو السماع المطلوب سماع بحضور القلب والعقل والاذن وعاملين بما سمعوا سماع من جعل اردته خاضعه لاراده الله طواعيه

ولهذا فان المنفي في قوله تعالي (وهم لايسمعون) نفي السماع الخاص عنهم فهم لم يتدبروا مافيه ولم يرغبوا بالاستجابه والتطبيق لما فيه فجاء اطلاق نفي عنهم السماع علي سبيل الاطلاق اشعارا بانهم قد نزلوا منزله من لم يسمع اصلا بجعل اسماعهم بمنزله من لا اذن له حيث انهم سمعوا سماع لاوزن له ولافائده لهم من ورائه مع انهم لهم قلوب واذان وابصار ولهذا قال تعالي بعدها (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون)

الموضوع الاول

تدعوا الايه العبد الي تعهد الاوعيه الذهنيه والنفسيه والقلبيه والعقليه بالتزكيه وتنظيفها من الاوساخ وركام الفكر الجاهلي علي الدوام ليكون المحل صالحا لاستقبال انوار الله ولاجل ان يحافظ الانسان علي منزلته وكرامته وشرفه الذي ميزه الله به علي سائر المخلوقات فالخلافه شرف ولهذا فان الخروج عن طاعه الله يعني الخروج عن ذلك الشرف الذي اختص الله به الانسان واعطاه العقل والسمع والبصر وعلمه اسماء الاشياء ولغه التفاهم فقال تعالي (وهو الذي اخرجكم من بطون امهتكم لاتعلمون شئيا وجعل لكم السمع والابصار والا فئده ...الخ

اعطاك القلب لتفهم وتدرك وتعي واعطاك الاذان لتسمع وتعرف ما امر الله واعطاك البصر لتري ايات الله واعطاك اللسان لتتخاطب مع الاخرين ولتشكر الله

وكل هذه الملكات خلقها الله لوظيفه هي معرفته ومحبته وعبادته وتوحيده وطاعته ولايجد الانسان سعادته الا باستعمالها في طاعه الله تعالي

وبالتالي فان تعطيل الانسان لهذه الحواس والنعم التي انعم الله بها عليه او استعمالها في معصيه الله تودي الي

فقدان الانسان الكرامه التي اختصه الله بها وتودي الي انخلاع الانسان عن انسانيته لانه يصير عبدا للاهواء والشهوات ولايستعمل عقله فيما خلق له ولاقلبه ولاحواسه ولهذا فانه يكون اقل شانا من الوحوش والبهائم يعيش لياكل وينجب وينكح لاهدف ولاغايه ولاقيمه لحياته. كل ما يشغله هو بطنه وفرجه واهوائه

ولهذا يقول الحق (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون)

والدواب مادب علي الارض وهذا الوصف اطلقه المولي علي الكفار الذين عطلوا الاوعيه الذهنيه والعقليه والقلبيه والنفسيه عن القيام فيما خلقت لاجله فوصفهم بانهم اقل منزله من البهائم هم مثل الحشرات واقل منها لان الدواب لم تكلف بما كلف به الانسان ولانها لم تعطي مثل ما اعطي الله الانسان فالدواب تتحرك بغرائزها وطباعها لانها هكذا خلقت اما الانسان فقد اعطاه الله العقل الذي يميز به بين الخير والشر لكنه لم ينتفع به وسلك طريق البهائم بتحركه بناءا علي غرائزه ولهذا فقد سلم قياده نفسه للهوي والنفس الاماره بالسوء فصار شرا مستطير لا فائده منه

الموضوع الثاني

(اسباب التوفيق والخذلان)

قبل ان نخوض في تفاصيل هذا عليك اخي المسلم ان تدرك ان الله تعالي عدل في قضاءه وحكمه باضلال وخذلان من شاء وفي تصرفه بخلقه فهو تعالي قد ارسل الرسل وازاح العلل وانزل الكتب ومكن الناس من اسباب الهدايه والطاعه بالاسماع والابصار والعقول وهذا عدله في خلقه

ولهذا فان توفيقه سبحانه وتعالي من. شاء من عباده وزياده عنايته بهم وهدايتهم فهذا من فضله واحسانه وانعامه التي يختص بها من يشاء من عباده وانه تعالي يخذل من ليس باهل لتوفيقه وفضله حيث يخلي بينه وبين نفسه ولم يرد سبحانه نفسه ان يوفقه فقطع عنه فضله ولم يحرمه عدله فالهدايه والرحمه وتوابعها من انعام الله وفضله وهي من صفه العطاء والاضلال والشقاء والحرمان والخذلان من صفه المنع يقول ابن القيم فيدالفوائد (والله يصرف خلقه بين عطائه ومنعه وذلك كله صادر عن حكمه بالغه وملك تام وحمد تام لا اله الا الله)

واما اسباب الخذلان فانه بالوقوف علي مدلولات الايه (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون)

فالايه تبين ان اسباب الخذلان يعود للاتي

الاول

ان ذلك عقوبه وجزاء للعبد علي اعراضه عن اتباع منهج الله وايثاره عدواه الله وعصيانه وعدم ذكره فالله يقول في موضع اخر (فمن تبع هداي فلا يضل ولايشقي ومن اعرض عن ذكري فان له معيشه ضنكا ونحشره يوم القيامه اعمي)

فذكره هو كلامه الذي انزله علي رسوله والاعراض عنه ترك تدبره والعمل به

والثاني

ان لايشاء ذلك ابتدا ء لما يعلم منه انه لايعرف قدر نعمه الهدايه فسبب الخذلان عدم صلاحيه المحل واهليته لقبول النعمه فقال تعالي (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) فقد علم الله انه لو وافته النعمه فانه لايشكره عليه

ولايثني عليه بها فسوف يقول هذا لي او اوتيته بعلمي ولايحبه فلا يشاوها لعدم صلاحيه محله ولهذا استعمل (لو) حرف امتناع لامتناع اي امتنع اسماع الله تعالي لهم الكلام اسماع تدبر وادراك لما فيه من تهديد وانذار وتبشير وامتنع ذلك لانه يعلم انهم لايتريب علي اسماعهم خير او قصد خير لاسمعهم قهرا ولكن الله يعلم انه لا فائده من اسماعهم فاخبر الله ان محلهم غير قابل لنعمته ومع عدم القبول فان فيهم مانع اخر يمنع وصولها اليهم وهو توليهم واعراضهم اذا عرفوها وتحققوها

يقول ابن القيم في الفوائد

فاذا قضي علي هذه النفوس بالضلال والمعصيه كان ذلك محض العدل كما اذا قضي علي الحيه بان تقتل وعلي العقرب وعلي الكلب العقور كان ذلك عدلا فيه وان كان مخلوقا علي هذه الصفه

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

والايه تبين (سنه الفعل ورده الفعل)

اي ان كل فعل يفعله العبد يقابله بفعل من عنده تعالي ولهذا فان الذي يعطل منافذ الهدايه والملكات التي كرمه الله بها لمعرفته ومحبته وعبادته فان الله يتبع ذلك بالخذلان للعبد عن الهدايه فمن يغلق علي نفسه الابواب ويمنع دخول النور الي غرفته لابد انه يعيش في الظلمات لانه لامجال لدخول النور طالما النوافذ مغلقه ...فسنه الفعل ورد الفعل امر ثابت في الحياه اليوميه لان كل ما يترتب علي افعالنا من نتائج هي في الحقيقه افعاله تعالي فهو العله النهائيه لجميع العلل ورده الفعل من القوانين الطبيعه التي نعيشها في حياتنا اليوميه فكل عمل نعمله له نتيجه محتومه من فعل الله تعالي وتلك النتيجه من عدل الله تعالي. لان النفس هي التي ارتكبت الفعل الذي تعلم ان نتيجته هو الهلاك فعندما يقول لك احد انتبه تشرب من هذا الاناء فان مافيه سم قاتل فان العاقل لايشرب فاذا شرب منه فان النتيجه هي ان يهلكه الله تعالي وكذلك اذا سمعت مناديا يناديك وانت تمشي في طريق يقول لك ان هذا الطريق الذي تمشي فيه ينتهي بمنحدر فيه بركان وحمم ووحوش وسباع لايمكنك النجاه منها فلا تاخذ النصائح مع صدق من حذرك فان النتيجه هي الهلاك لامحاله ولهذا يقول الحق في هذه الايه الحرمان من الهدايه عقاب لهم علي اعمالهم ورفضهم الهدايه العامه التي حملها الرسل فكان ذلك رده فعل ونتيجه علي افعالهم عقاب لهم فنفوسهم غير قابله للنعمه لوجود مانع الاعراض. ولهذا فان سنه الفعل ورد الفعل لها اصل في الدين ولهذا نجد القران يحدثنا ان الذين يبذلون الجهد لارضاء الله تعالي سوف سيجزيهم بـ الهدايه الخاصه والتوفيق الي سبيله حتما مقابل ما بذلوا من جهد فقال تعالي في موضع اخر (والذين جهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)

وان الذي يسلك طريق معوج ولم يرغب ان يسير في الطريق المستقيم قابل الله فعله باعوجاج قلبه فقال تعالي في موضع اخر (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم)

المفهوم الثاني

ان انقياد الانسان للحق دليل علي ان النفس قابله للهدايه والخير ومن عدم الخير في النفس اعراضه عن الحق وبالتالي فان حرمانه نعمه الايمان بسبب بقاء النفس علي ماخلقت عليه في الاصل واهمالها وتخليتها ذلك ان الانسان خلق ظلوما جهولا ...وقد كلف بحمل امانه القيام بامر الله وحمل امانه العلم بالاشياءاا ء والعلم باسماء الله تعالي واي معرفه تفتقر للاخري تعني ان الخلافه ناقصه

ولهذا فان الانسان بحاجه عند القيام بحمل امانه الماده وامانه خالق الماده للنجاه من الجهل والظلم فالله

يقول (انا عرضنا الامانه علي السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)

والنجاه من الظلم لاتقوم الا اذا اتصل الانسان بالله

والنجاه من الجهل تقتضي العلم باسماء الاشيا ء

ولهذا فان الخذلان من النفس وفيها ...لانها لم ترغب في الحق فخسه النفس ودناءتها وصغرها هو اصل الشر فالله يقول (قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها)

فمن كبرها ونماءها بطاعه الله حصل له الفلاح والخيبه والخذلان لمن صغرها وحقرها بمعاصي الله

فالخذلان من النفس وفيها واسباب التوفيق من جعل الله النفس قابله للنعمه فهو سبحانه خلق النفوس الطيبه قابله لنعمه الله وشاكره له وذاكره لربها فلاتقبل بالفسق والعصيان وهذا من فضله وخلق الارواح الخبيثه غير قابله لذلك بل لضده

ولهذا يفهم ان المقصود بالخير الذي نفاه الله عن قلوب الكفار ليس المراد به الخير الذي يعني خدمه الاخرين ومساعدتهم دون مقابل لان هذا الامر يمكن ان يوجد من الكفار من يتفاني في خدمه الاخرين ومنفعتهم وقد تجد من المسلمين من لايخدم الاخرين

وانما المقصود بالخير قابليه الخير والهدايه فلا يراد بها اعمال الخير التي استفتح بها المشركون من صله الرحم وحسن الخلق ...ولكن المراد بها قابليه نعمه الهدايه التي تدفع لفعل الخير بقصد ارضاء الله والهدايه من الايمان والعمل الصالح ولاينالها كل احد وانما تدرك من كان اهلا لها كما اخبرنا الله

المفهوم الثالث

ان وصف حال الكفار بالدواب التي لاتسمع ولاتعقل في قوله تعالي (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)

فيه تحذير من الانحطاط الناتج عن الماديات الذي يجذب الانسان الي اسفل السافلين مصحوبا بالانحطاط في القيم الروحانيه

وهو مايفهم دناءه تلك النفوس وخستها حيث ان الانسان يفقد معها انسانيته وادميته فيصير اقل شانا من الحيوان فالايه تشير لمساله فقدان حريته فاصبح عبدا للاهواء والشهوات يعيش لياكل وينجب لاهدف ولاغايه له

ولهذا استعمل الحق للتعبير عن قابليه الهدايه والخير بالخير باعتبار ان الخضوع والاستسلام لله هو الشرف الحقيقي حيث ان ذلك فيه تحرير الانسان من كافه القيود والضغوطات والنزوات التي تحط من انسانيته فاذا لم يوجد فيه قابليه للهدايه فانه لايعرف قيمه لنفسه ولا لانسانيته شرف ولايعرف ذلك الجو الفسيح الذي هياها الله لطيرانه وتحليقه ولايعرف الكنوز والمواهب التي اودعها الله في باطنه ليكون خليفه رب العالمين في كونه الفسيح وما كان سجود الملائكه لادم الا اشاره لهذا الخضوع

ولهذا فان جهل الانسان بقيمته وكرامته وتناسي رسالته وقوته علي التغيير وتجهل مواهبه وطاقاته وايمانه ودوره في السياده علي الكون يجعل منه اقل منزله من الحيوانات

يقول محمد اقبال

عجبا لك ايها المسلم. تجلت لك الافاق وغابت عنك نفسك

لماذا تنامين ايتها العين الساهره المسئوله عن حراسه الضعفاء ومراقبه الانسانيه لماذا تنامين

واعلم ان الوطن جسد من تراب والدين هو الروح ولاحياه للجسد الابارتباطه بالروح انهض ايه المسلم في احدي يديك المصحف وفي الاخري السيف فاجتماعهما تتحرر البشريه

انت للناموس الازالي حارس امين فلتكن لسيد الكون يسار ويمين

يريد ان يقول لتكن اداه في يد القدره الالهيه

فهذا هو مركز المسلم في الوجود انه خليفه الله في الارض وهذا الوصف ليس شئيا هينا ان مكانه المسلم في هذا الوجود تشبه مكانه الشمس اذا غربت من جهه طلعت من جهه اخري فلا تزال طالعه ولهذا فان عليك طاعه الله ورسوله والتزام كتاب الله وسنته في كل شان من شوون حياتك فان في ذلك الرفعه والشرف والعزه فعقيده الاسلام ترفع من قدر المسلم وتنهي عن الافكار الفاسده التي تحط من قيمه الانسان والاستهانه بقدرته والتي تلجاا اليها الانظمه الاستبداديه لاجل استعباد الانسان ولهذا يقول تعالي(يايها الذين امنوا استجيبوا لله و الرسول اذا دعاكم لما يحييكم .....الخ ويعتبر الله الانسان موتمن علي كرامته ونفسه وعقله فقال تعالي (

رابعا

(يايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لاتصبن الذين ظلموا منكم خاصه واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فناوئكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون)

المبحث الاول

ابتدات الايه بالهتاف والخطاب للمومنين وهذا يعني ان اللازم عليك ان تشعر انك المخاطب بهذه الايه بمجرد ان تسمع النداء فايمانك بالله واسماه وصفاته وبرسله وكتبه وملائكته وجنته وناره وقضاءه وقدره يوجب عليك تسمع النداء وتفهم ماذا يريد منك خالقك فهذا نداء خاص لك انت الذي تومن بالغيب فانت المنفرد بهذا الايمان وهذا فيه

المفهوم الاول

عليك ان تسمع للنداء وانت حاضر القلب والسمع تتدبر وتفهم مافيه لتبادر الي تنفيذ امر الله لك فالنطلوب منك الاجتهاد في تزكيه نفسك وترقيتها لتبلغ درجه الاحسان التي فيها الفوز وسعاده الدراين سعاده حقيقيه نفسيه وذهنيه وبدنيه ولهذا يدعو الله سبحانه وتعالي المومنين الي تزكيه انفسهم بطاعه الله عزو جل ورسوله و المسارعه الي اغتنام الحسنات فقال تعالي (يايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) ويخبرهم ان هذه السعاده تصاحب المومن في جميع اسفاره من الدنيا الي الاخره وبها يترقي في درجات الكمال وان كانت في ابتدائها لاتنفك عن ضروب من المشقه ومجاهده النفس حتي تتذوق حلاوتها وتدرك قيمتها فقال تعالي (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون) وخص بذكر القلب لان سعاده المومن تنبع من قلبه من خلال قوه الحب وقوه الغضب فالطاعه تنبع من الحب فعقيده الاسلام تقوم علي الحب واعظم الحب الله ورسوله وان يكون حب ما يحب الله وبغض ما يبغض الله ولهذا فحتي امر الجهاد في الاسلام فانه ينبع من عقيده الحب للنوع البشري فليس المراد منها القتل وازهاق الارواح بل بعث الحياه في الناس فالجهاد يهدف الي اعاده البشريه وتحريرها من الظلمات والاوهام والخرفات واعاده للانسان انسانيته وحمايه

حرايته فدعو ه الاسلام فيها الحياه بكل صورها فيه منهج الحريه والكرامه منهج اعاده الحياه للعقول والقلوب والفطره ولهذاجاء الترهيب لمن يعرض عن الاستجابه بدعوتهم الي الحذر من السئيات فقال تعالي (واتقوا فتنه لاتصبن الذين ظلموا منكم خاصه واعلموا ان الله شديد العقاب) فدعوه الاسلام فيها صيانه للطاقات للانطلاق في الارض. متحررا من كل القيود والاغلال عدا الضوابط التي وضعها الخالق والتي فيها الكمال والسعاده للفرد والمجتمع فتزكيه النفس وتربيتها علي الايمان بالله واليوم الاخراكبر دافع لها علي التخلق بالفضائل والاقلاع عن الرذائل واكبر عامل لسلامه المجتمع من الجرائم

والموبقات ولهذا يخبر الله عباده ان الالتزام بمنهج الله واستقامه النفوس علي طاعه الله وعندما تعمر القلوب بالايمان ومحبه الله ورسوله فان حياه المومنين تكون كلها سعاده فالايمان هو الذي يحقق الامن للمجتمع ويقيه من الاخطار فالنفوس المزكاه لاتحتاج الي رقابه القانون وسلطه الدوله كي ترتدع عن الجرائم لان رقابه الايمان اقوي والوزاع الايماني في قلب المومن حارس يقظ لايفارق العبد ولايتخلي عنه فسعاده اهل الايمان تنبع من القلب وتتوطد اركانها نتيجه لاحساس المومن بالتكريم الالهي وخيريه الحياه. وخيريه المصير وبهذا تزداد النفس شعورا بالسكينه والامن والامل والرضا والحب ولهذا يقول تعالي (واذكروا اذا انتم قليل مستضعفون ..

فالايمان هو الذي يحقق الامن للمجتمع ويقيه من الاخطار فاذا تخلي ابناء المجتمع عن دينهم وكفروا نعم ربهم التي توجب عليهم شكر المنعم احدقت بهم المخاوف من كل جانب وانتشرت الجرائم فهذه هي السنه الربانيه فيمن يعرض عن طاعه ربه فالله يقول في موضع اخر (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)

فتلاحظ احوال العالم من حولك كيف ان الفتن منتشره وعصابات الشرور تبث الرعب والجرائم بين الناس وعجزت اكبر الدول من قمعها فغياب الايمان من واقع الحياه وطغيان الماده علي شوون الناس يودي الي انتشار الجريمه ولك ان تقارن بين حال بعض الدول الغربيه التي سنت قوانين لمنع شرب الخمر كيف انها عجزت عن منع تحاره الخمر برغم القوانين الحازمه عليك مقارنه ذلك بموقف المسلمين الاوائل عندما حرم الاسلام الخمر فقد اهرقوا الخمر في التراب بمجرد نزول الايه رغم انهم كانوا مولعين بشرب الخمر لماذا كانت هذه الاستجابه

لان الاسلام ربي النفوس وزكاها بطاعه وعرف الانسان بمهمته في الحياه ومكانته بين الاحياء وغرس في النفوس الخشيه من الله والتشوق الي ماعند الله فكانت نتيجه ذلك المسارعه عن طواعيه ورضا لتنفيذ امر الله دون تردد

المفهوم الثاني

عليك ان تدرك ان كل ما يدعوك اليه الرسول صلي الله عليه وسلم فيه الحياه ولهذا نجد ان الايه ابتدات بالدعوه الي الاستجابه لله (اي وحيه) وللرسول اي سنه نبيه فالقران هو كلام الله الذي فيه الدستور الذي ينظم احوال الناس ويحكمها كلها السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه والشخصيه والماليه اي انه يحكم جميع جوانب الحياه والسنه النبويه مرتبطه بهذا الدستور فهي مفصله لما ابهم واجمل في القران فهذه هي مصادر التشريعات في الاسلام فما في السنه هو وحي ايضا فالله يقول في موضع اخر (ما ينطق عن الهوي ان هو الا وحي يوحي)

وقال تعالي (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

ولهذا كان التعبير بقوله تعالي (اذا دعاكم) منسجما مع هذا المعني حيث ان مجي الضمير منفردا علي النبي فلم يقل اذا دعواكم ..لبيان ان استجابتك للرسول صلي الله عليه وسلم هي عن استجابتك لله تعالي فالله تعالي هو الذي اوحي القران والنبي مبلغ عنه فكان استجابتك استجابه لله وتنفيذ لامره فكل مايدعو اليه الرسول

صلي الله عليه وسلم فيه الحياه والسعاده والفلاح ولهذا جاء التعبير عن ذلك بما فيه الترغيب بالمسارعه بتزكيه النفوس بطاعه الله والمسارعه الي اغتنام الحسنات والحذر من السئيات فقال تعالي (لما يحييكم)

فسعاده المومن لاتتوقف عند هذا الحد وانما هو نور تشع اثاره علي حياه المومن بجميع مجالاتها وتقر به عينه فيحظي بسعاده لايعرف خقيقتها الا من تذوقها ويشرق قلبه بنور الايمان فتشرق معه جميع اعضاءه وجوراحه يقول ابن عباس في ذلك (ان للحسنه لنورا في القلب وضيااء في الوجه وقوه في البدن وسعه في الرزق ومحبه في قلوب الخلق وان للسيئه لظلمه في القلب وسودا في الوجه ووهنا في البدن وضيقا في الرزق وبغضه في قلوب الخلق)

فسعاده المومن تتجلي بمايحظي به من ايمان فقد ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم قوله (ذق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا)

ومعني هذا ان من صح ايمانه واطمانت به نفسه فقد خلصت حلاوه الايمان الي قلبه وتذوق لذته وتحقق بالعبوديه الصادقه لربه سبحانه وتعالي فهو بعكس حال اهل المعاصي الذين ينشغلون بالدنيا ومافيها من ملذات فان المومن متعلق بحب الله ورسوله والاقبال علي الله بالاخلاص والصدق والوفاء فالايمان حينما يستقر في القلب يشعر المومن بقيمته ويتذوق حلاوته فلا يبقي مجرد كلمات تردده اللسان وانما يتحول الي سلوك مثمر ومناجاته خاشعه لله تعالي ومحبه صادقه تخالط شغاف القلب ولقد عبر الرسول الاكرام عن ذلك بقوله (وجعلت قره عيني في الصلاه)

اي انه عليه الصلاه والسلام تقر عينه وتغمره الفرحه والبهجه والسكينه والطمانينه عندما يناجي ربه في صلاته لان الصلاه صله بين العبد وربه وحضور بين يديه فكيف لاتقر بها عين المحب

فالمراد بالاستجابه هنا هو الاقبال علي طاعه الله بحب ورضا واختيار وشوق وتلذذ بمناجاه الله وذكره وطاعته فالاستجابه هنا هي الوصول الي تذوق حلاوه الايمان فهذا النعيم فيه كمال البهجه والسرور بمعرفه الله ومحبته والطمانينه بذكره والشوق الي لقائه فهذه هي جنه عاجله اذا لم يدخلها العبد في الدنيا لن يدخل جنه الاخره

الدرس الاول

(اهميه انضباط النخبه والطليعه والتزامهم بالقيم والمبادي ومواجهه التحديات والازمات)

ابتدات بتكرر الهتاف للمومنين وهذا يدل ان ثمه امر يحتاج الي عنايه التنظيم الايماني باعتباره التنظيم السياسي الذي يقوم بحراسه منجزات الثوره واهدافها وحمايتها فهو يخاطبهم بهذه الصفه التي تربطهم به يهدف الي التحذير من الازمات التي تهدد الكيان الايماني فحراسه القيم واهداف الثوره يتطلب الانضباط السلوكي منهم بفكره الثوره واهدافها والاستمرار والثبات عليها كي تستمر قوه الحب للايمان وكراهيه الكفر دافعه وباعثه لاستمرا ر الثوره وكي يستمر المدد والعون الالهي. الباعث للحياه عليهم الوفاء بعهد الايمان الذي يوجب عليهم الجهاد والدفاع عن الدين ولهذا يدعوهم الي المسارعه لاجابه دعوه الرسول لهم للجهاد فهم قد قطعوا العهد عهد الايمان بالسمع والطاعه في العسر واليسر ولهذا قال تعالي (استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون) وهو يحذرهم من نقض العهود وكذلك فان انتقال الجماعه لمرحله جديده يتطلب تحديد مضمون دورهم ومعرفه المشكلات التي تمنع الانطلاق نحو الاهداف في المرحله الجديده حيث تبرز مشاكل كثيره عاده بين المراحل التي تمر بها الامم تعصف بالتنظيم واهم هذه المشاكل الانتقادات التي تدعوا الي الانحراف عن الاهداف وكذلك الانجرار وراء النظره السطحيه و الوقوع في مصيده المغرضون المتربصين بجماعه الايمان والذين يستغلون الازمات ولهذا فان تحديد المشكلات

والازمات لمنع تفاقم الازمات امر مهم فهي تعصف بالموسسه وتهدد القيم ولهذا نجد ان الايه عبرت عنها بلفظ الفتنه فقال تعالي (واتقوا فتنه لاتصبن الذين ظلموا منكم خاصه واعلموا ان الله شديد العقاب) اي انها لاتعصف بالذين ظلموا بل تعصف بالجميع وتهدد القيم والموسسات وممتلكاتها كما تكشف الايه ان الازمات تنشا عن خلل في النظام فهي وردت في سياق الدعوه الي الاستجابه لله والرسول والتحذير من سلوك الذين ينقضون العهود فجاء تعريف الازمه بعد الدعوه للانضباط والتزام منهج الله بان فيه الحياه والنجاه والبقاء من الازمات مناسبا حيث ابتدا بالترغيب في الاستجابه التي تودي الي اعاده تشكيل العقول والنفوس وبناء التنظيم المنضبط والقادر علي المساهمه النشطه في حل المشاكل بالمشاركه الفاعله والعمل بلا انقطاع علي معالجه الازمات بالتعامل معها والحد من اثارها واحتواء اضرارها والخروج من الازمات بعيدا عن التعامل السطحي الذي يبعث علي الانتقاد الغير موضوعي و الذي ينتج عن عدم التميز بين بين جماعيه القياده وهو امر مقطوع لضروره حسن سير الثوره وبين زعامه القياده الجماعيه وهي امر طبيعي لضمان حسن سير القياده ولهذا فان تحديد المشكلات واهداف المرحله وتحديد اهم دور للقياد ه وهو العمل علي قياده الوعي الجماهيري والانتباه من الانشغال بامور اخري تعمق الانفصال الشبكي بين القياده والقاعده وتطمس المعالم الفاصله بين الحقائق والاباطيل

ولهذا يذكرهم الله بنعمه الايمان والنصر والتمكين وتغير الاحوال من الضعف الي القوه فما عليهم الا الثقه بالله والتوكل عليه وبدل الانتقادات الهدامه عليكم شكر الله علي نعمه فقال تعالي(واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ....الخ

الدرس الثاني

(اصلاح الحالات الروحانيه)

الايه فيها دعوه النفس الي الحياه النافعه التي تجد فيها النفس اللذه والسرور والفرح فالاتسان مخلوق من جسد وروح الجسد ارضي مخلوق من التراب ولهذا فانه ينمو ويكبر بالغذاء الارضي الاكل والشرب وهذه الصفه يشترك بها الانسان مع الحيوانات ولهذا فان حفاظ الانسان علي كرامته انما يكون بالغذاء الروحي وهذا لايجده الانسان الا بالاتصال بالله ولهذا فان حياه الانسان الروحيه تبدا بمعرفته حقيقه وجوده والطريق الموصل لربه ولهذا فان للانسان حياتان حياه البدن وحياه الروح وحياه البدن تبدا من تاريخ النفخ الملكي الروح في الجنين وهو في بطن امه اما حياه الروح فتبدا من لحظه الاستجابه للرسول البشري الذي يحمل الوحي من ربه ولهذا فالهدايه الالهيه التي يسوقها للنوع الانساني هي الغذاء الروحاني نحو السعاده فهي تقنع العقل وتشبع العاطفه وتلبي شوق الفطره وبحثها عن ربها فالانسان عندما تنحرف فطرته يعيش في جحيم التناقضات والقلق والشعور بالغربه ولهذا فان قوله (لما يحييكم)

من ضمن معانيها انه الاسلام الدين الذي فطر عليه الناس حيث ان التاثير الحقيقي بالمنهج الرباني تعني الانتقال بالانسان من التوحش والهمجيه الي الانسانيه التي فقدها في غياب معرفه الانسان لربه والابتعاد عن المنهج الرباني حيث غياب الروح الاسلامي يجعل العبد قابلا لامتلاءقلبه بالخرافات والاوهام وطمس معالم الفطره فيصبح في ظلمات الماده يتخبط وتجذبه قوي الماده الي اسفل السافلين ولهذا فان من عرف ربه والتزام منهجه واحسن لخلقه عاش حياه جديده فيها كمال القلوب وكمال الايمان حياه تعيشها مع ربك فتجد في طاعته اللذه والسرور ولاتشعر بالمشقه في تحمل اعباء الطاعه لانها هي غذاء روحك ولهذا تستلذ بها

عندها تدخل الجنه وانت في الدنيا في وقت مازال الاخرون يطلعون الي دخولها الموعود في المستقبل بعد الموت

ولهذا فانت اذا وصلت الي هذه المرحله تجد السعاده والحياه الطيبه تجد باعثا مباركا يحفزك الي الطاعه وهذه

هي بدايه النفس المطمئنه التي تاخذ مكان النفس اللوامه عندها تخمد الشهوات والاهواء النفسانيه تلقاء حيث يبدا الانسان بالشعور بحياه جديده يعيشها وهذا المرحله التي فيها الكمال ودرجه الفلاح تحتاج الي كفاح ونضال حيث ان النفس تفشل وتتعثر في الكثير من المحطات قبل الوصول الي درجه الكمال حيث يظل الصراع قائما بين تيارات الشهوات والاهواء وبواعثها وبين النفس اللومه ولهذا جاء النداء باسلوب الترغيب بالاستجابه لما يدعوهم اليه الله ورسوله وان فيه الحياه والنجاه والبقاء والسعاده والمراد بالاستجابه المسارعه بالاتصال بالله من خلال الاستسلام والخضوع والامتثال لامر الله وترك نواهيه فاول خطوه هو ان يطرا علي حياتنا الماديه الموت

وميولنا النفسانيه وهذا يتطلب ان تكون الاستجابه لامر الله بحب ورضا واختيار فنحب ما يحب الله ونكره ما يبغض الله وهذا يمثل نار تحرق حياتنا السفلي واصنامنا الداخليه فتصبح ميولنا الي الله بصدق واخلاص بحيث لايبقي في نفوسنا احد سواه وكان الجميع دونه قد ماتوا فلانري الا الله تعالي والاستمرار في تلك الاستقامه التي تعني الموت لكل حياه ماديه ونبدا حياه جديده نعيشهاكلها لله تعالي وحده لاشريك عندها تنزل عليك انوار الله ويتنزل الالهام كما قال تعالي (فالهمها فجورها وتقواها)

وتبدا حياه جديده يصبح الله عينك الذي تري به الاشياء ويديك التي تبطش بها وسمعك الذي تسمع به كما قال تعالي (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي) وكما قال تعالي (وايدايهم بروح منه) ولهذا قال تعالي ان الاستجابه لدعوه الحق فيه البقاء والحياه والنجاه فالحياه الطيبه في الدنيا والاخره والمراد بهذا 1/الحياه الطيبه في الدنيا ان يوفقه الله لمافيه الخير ويسدد خطاهم ويجعل لهم من امرهم يسرا ويبارك في جهودهم واعمالهم تثمر اعظم الثمرات وفي الاخره دار النعم والكرامه والنظر لوجهه العظيم

/2

البقاء وهو العيش الطيب الذي لاتنغيص فيه في دار الكرمه ودار النعيم (لايمسنا فيها نصب ولايمسنا فيها لغوب)

حيث ان المومن يجد في القلب فرح وسرور وبهجه بما اكرمه الله من الدين فالايمان والقران اجل ما يفرح فيه الانسان لان اعراض الدنيا زائله واموالها ليست بموضع للفرح لانها عرضه للافات والزوال والشاهد قوله تعالي (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) كما ان التزام الدين يشرح الصدر ويبسط النفس فالله يقول في موضع اخر(افمن شرح الله صدره للاسلام فهو علي نور من ربه)

فمعرفه الله تعني الاستغناء بالله عن الخلق والاعتزاز بالعزيز والانس بالقرب من الله والانابه اليه والتوكل عليه ولهذا فشان المومن كله خير ان اصابه نعمه شكر وان اصابته ضرا صبر فهذه اعظم نعمه لايوجد فوقها نعيمه الا نعيم الجنه يقول الغارفين انه لتمر بي اوقات اقوال فيها ان كان اهل الجنه في مثل هذا انهم لفي عيش طيب

/3

النجاه لان الله يحمي اولياءه وتتنزل عليهم الملائكه ان لاتخافوا ولاتحزنوا تبشرهم بالجنه وهم في الدنيا وعند الموت وعند البعث

ولهذا فالمقصود بالايه ان الله جعل استجابه العباد لربهم ولما جاء به نبيهم مافيه الحياه الطيبه والبقاء والدوام في دار الكرامه حياه طيبه في الدنيا وبقاء ودوام واستمرار في دار النعيم

الدرس الثالث

كيف السبيل للوصول الي الاتصال الروحاني بالله

ان ذلك يكون بالاستسلام لله والرسول فامه الاستجابه تختلف عن امه التبليغ فامه التبليغ يدخل فيها حتي اولئك الذين لم يستجيبوا لامر الله

لقوله تعالي (قل فلما يعذبكم بذنوبكم ...الخ

اما امه الاستجابه فهي التي استجابت لما يدعوها الرسول لحياه تعيشها تليق بالمومن وكرامه الانسان فكونها استجابت يعني انها تحررت من كافه الاصنام التي بداخلها واحرقت الميول النفسانيه والشهوانيه وقمعتها واتصلت بالله وانوراه فقد اختلفت حياته تماما عن الحياه السابقه فتعيش حياتك كلها لله تعالي عبدا له تستلذ بطاعته وتجد نفسك في جنه الدنيا قبل الاخره فحياتك كلها في سبيل الله تعالي تضع نفسك واموالك وكل شي بين يدي الله وتشرب من كتاب الله وسنه رسوله ماء الحياه الحقيقه ففي ذلك معين الحياه الطيبه والنجاه السعاده في الدنيا والاخره كما قال تعالي (فلنحينه حياه طيبه)

ثم استمر بعد ذلك بالدعاء كما قال تعالي (اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم ....الخ فلابد من الدعاء لان القلوب بين يدي الرحمن

فقد ورد في الحديث عن ام المومنين ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يكثر من الدعاء يامقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك قالت فقلت يارسول الله انك تكثر بهذا الدعاء فقال عليه الصلاه والسلام ان قلب الادمي بين اصبعين من اصابع الرحمن فان شاء ازاغه وان شاء اقامه علي مراده خيرا)

فالبقاء في القمه واعلي درجات الكمال انما تكون بمناجاه الله وان تحظي بعطاء الله الرحمه والتوفيق والتسديد للاعمال ولهذا نجد العلماء الراسخون في العلم اتبعوا وامنوا وصدقوا بكل ما انزل الله تعالي وقالوا بعدها (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمه انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه ...الخ

فعليك ان تشعر بالافتقار الي الله علي الدوام وتربيه النفس علي الاخلاص وتحويل ذلك الاخلاص الي ملكه وطبيعه عندك وان لايشغل قلبك شي غير عباده الله ولايصرفه صارف فالقلب الصالح يميل الي داعي الخير وينفر من داعي الشر ومن المعاصي لانه وجد الانس في طاعه مولاه وتذوق حلاوه الايمان والقلب الفاسد الميت يميل لداعي الشر والمعاصي وينفر من الطاعات والفضائل يقول ابن حزم في (مدواه النفوس ص56)

ليس بين الفضائل والرذائل ولابين الطاعات والمعاصي الانفار النفس وانسها فقط فالسعيد من انست نفسه بالفضائل والطاعات ونفرت من المعاصي والشقي من انست نفسه بالرذائل والمعاصي ونفرت من الفضائل و الطاعات)

فالقلب موهل لكلا من الخير والشر وهي بيد الله تعالي يقلبها كيف يشاء فاذ ا قلب ميل القلب الي الخير و الطاعات جعل صدره منشرحا وزين له الايمان وحببه في قلبك فهذه المرحله لاتنالها الا بالعنايه الالهيه فالله يقول (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ..الخ

فعندما يمتلا القلب انشراحا وايمان فهذا من فعل الله تعالي وعندما يمتلي القلب ضيقا وخوفا وقلقا فهذا ايضا من فعل الله لان القلب بيد الله تعالي فقال تعالي (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون)

والحيلوله هو التحلل وسطا والقلب هو القبضه المعروفه ويستعمل في التعبير عن الفهم والادراك فهو مركز ذلك وفيه خواص الحب والبغض والخوف والرجا فالقلب هو الذي يتحكم في كل اعضاء الانسان فهو الملك وبقيه الاعضاء جنوده فاذا صلح القلب صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله

ولهذا تبين الايه ان المبدع الخالق للانسان ومالكه هو المتوسط الحائل بين الانسان وبين كل جزء من اجزاءه وملكاته الظاهره والباطنه فهو تعالي اقرب للانسان من قلبه لان الانسان يدور بينه وبين قلبه احاديث لاتظهر

للعلن فاراد بهذا الحق ان تعرف انه يعلم كل خلجات القلب فهو متخلل متوسط بين القلب وصاحبه فهو اقرب اليك من قلبك الذي في صدرك ولهذا اذا دعاك الرسول الي التوحيد ومعرفه الله ومحبته وعبادته اذا دعاك الي الاسلام وعقيدته اذا دعاك الي بذل نفسك ومالك في سبيل الله فعليك ان تستجيب باخلاص وصدق وتقبل برضا وحب واختيار وتعظيم لامر الله فلا تستجيب بلسانك بينما قلبك غير مستجيب

وفيه ايضا

1

التحذير من الثقه بما تجد في قلبك من الايمان والصلاح فتري استقلاليه ملك قلبك وقدرته المطلقه وانما عليك ان تلزم الدعاء لله لك بالثبات والعزم والاستقامه

2

ن اللازم علي العبد ان ينظر الي العمل فاذا لم يجد حلاوه الايمان في قلبك وانشراحا فاتهمه لان الله شكور ولا بد ان يثيب العامل علي عمله في الدنيا من حلاوه يجدها في قلبه وقوه انشراح وقره عين فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول(مدراج السالكين 68/2)

3

ان اللازم علي العبد اذا وجد قلبه غير مقبل علي كلمه الحق والعزم علي الخير وصالح الاعمال ان يبادر الي تزكيه نفسه بالمبادره الي الاستجابه لله وللرسول لما يدعوه الي مافيه الحياه فلا ينهزم امام سهام الياس فلابد ان يخوض المعركه لدحر القنوط فمهما تعثرت وفشلت فلا تقطع الامل وعليك بالدعاءلله ان يمدك بالعون فهو وحده القادر علي اصلاح السرائر فانت غير مستقل في ملك قلبك فلا تنظر ان لنفسك استقلالا علي قلبك حتي تملكه فهو بيد الله يقلبه كيف يشاء وانما عليك ان تحي قلبك بالاستجابه لله وللرسول لتطهر قلبك من الاوساخ وتدعوا الله اتبيه من الاحباط والقنوط وجاهد نفسك لتترك دواعي الهوي والدنيا واقبل علي دواعي الخير والايمان والمساله ثقيله وشاقه في البدايه لكن بعد ذلك يصبح الاخلاص ملكه وطبيعه عند المومن لايبذل من اجل تحصيلها اي عناء ولامجاهده للنفس لان النفس لم تعد اماره بالسوء بعد ان تزكت وتطهرت

4

من يعلم ان الله اقرب اليه من قلبه فعليه ان يكون في يقظه دائمه وحذر دائم لانك اذا علمت ذلك فقد ادركت ان قلبك لايستطيع ان يكتم الله حديثا تحدثت انت وقلبك به

الدرس الرابع

تبين الايات ان الجهاد والقيام به ليس رغبه في القتل وازهاق الارواح وانما لمنع الظلم ولاجل تحرير الانسان ومنع اضطهاده فدافعه هو حب النوع الانساني فالمسلم يشعر انه مسئول عن رفع الالم عن النوع البشري حتي ولو كان ذلك الالم من الاخرين ولهذا فان محبه الله تعالي تبعث في قلب المسلم حب البذل والفداء لاجل خدمه البشريه والقضاا علي الظلم والفساد والتخلف ولهذا فان المسلم لا يتوقف عن حمل السيف طالما هو قادر علي المساهمه في خلاص البشريه ورفع الظلم عن النوع الانساني وان لم يكن مسلم فهو قد باع نفسه وماله وكل ما يملك لله تعالي فلا يمكن للمسلم ان يري المنكر ولاينهض للقيام بدوره في ازاله المنكر لانه يعلم ان المنكر يهدد النوع البشري بالزوال وانه مسوول عن ازاله المنكر وان لم يفعل ذلك فانه سوف يعاقب علي ذلك فلا يكفي ان يكون الانسان صالح فلايسقط عنه الاثم اذا لم يحاول اصلاح الاوضاع الفاسده فانه ان لم يفعل ذلك كان ضمن الذين يتعرضون لعذاب الله الشديد

ولهذا فان الجهاد فيه حياه القلوب فيجب علي المسلم ان يدرك انه عندما يحمل السيف لايهدف بذلك قتل وازهاق الارواح بل. احياء الاموت الاحياء بتنميه جوانب الخير ومحاصره الشر وازاله الفساد وبذلك فان الجهاد يبعث في الارض الحياه الطيبه ويقضي علي الفتن

المبحث الثاني

ولان سعاده اهل الايمان تنبع من القلب ولاتتوطد اركانها الا باحساس المومن بالتكريم الالهي وخيريه الحياه وخيريه المصير لاجل ان تشعر النفس بالغني بالله وتزداد شعورا بالسكينه والامن والامل والرضا والحب لهذا كله يذكر الحق عباده بحالهم وهو في مكه اعدادهم قليلون يخافون من بطش الاعداء الذين كانوا يمتلكون القوه والجاه والسلطان فقال تعالي (واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون)

اذكروا هذه الاحوال لتستيقنوا ان ما يدعوكم اليه الرسول الكريم فيه الحياه والعزه والكرامه كي لاتقعدوا عن القيام بالكفاح والنضال ضد الظلم والفساد في الارض تهدف الايه الي

تخليص المسلم من كل ما العوائق التي تعيق الانتقال به الي الكمال فيخبرهم الله ان من ثمرت الاستجابه لما يدعوهم الرسول هو عزه النفس فلايذل المسلم نفسه لاحد ولايهينها لينال عرضا من اعراض الدنيا فالمومن لابد ان يترفع عن الدنايا ويتطهر من الزرايا وان لايخاف من احد الا الله تعالي

فذكرهم الله بحالهم في الماضي وامرهم بالمقارنه بين حالهم في مكه وحالهم اليوم فاراد بهذا ان يغرس في النفوس الاعتزاز بالحق اراد ان تستوطن عزه النفس واستعلاءها بالحق القلوب لان القلب الاسير للشهوات و التعلق بالدنيا يعيش مقهور ويعيش ذليل لان العزه المتوهمه التي يسعي لبلوغها اهل الدنيا والمال والجاه يكون اصحابها قلوبهم ذليله فهو مهما تظاهر بالجاه فانه لابد ان يذل لمن هو اعلي ممه ولابد ان يسخر لخدمته اما المسلم فهو يعتز بطاعه الله وبكونه عبدا لله ولهذا يرشد الحق عباده الي طريق العز الحقيقيه ويحثهم علي المسارعه لتحصليها بتزكيه النفوس فيامرهم بالاستجابه لما يدعوهم الرسول فالسبيل الموصله للعز هي التقرب الي الله تعالي بما شرعه من الكلم الطيب والعمل الصالح كما قال تعالي في فاطر (من كان يريد العزه فلله العزه جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

ولهذا يفهم ان من اعرض عن طاعه ربه ولم يطلب العزه من العزيز سبحانه وتعالي لايجد العزه فمن طلبها من المخلوقين خسر وخاب

ولهذا يذكرهم الله بحالهم في مكه قبل الهجره وحالهم في زمن نزول الايات ليدركوا ان العزه بالاسلام والقرب من الله تعالي فقال لهم اذكروا ايام الضعف والخوف من مواجهه المشركين قبل ان يدعوكم الرسول الي الطائفه ذات الشوكه وانتم كارهون. ثم انظروا الي حالكم بعد دعوه الرسول لكم لتنفيذ امر الله لقد تبدل حالكم فقد اواكم الله بالمدينه المنوره وايدكم بالنصر في بدر ورزقكم الله من الطيبات فاللازم عليكم ان تشكروا الله علي انعامه حتي يعيطكم المزيد فعليكم ان تثقوا بوعد الله بالتمكين والعز والسعاده فانتم تتعاملون مع الله الذي لا يخلف وعده

خامسا

يايها الذين امنوا لاتخونوا الله والرسول وتخانوا اماناتكم وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم

المبحث الاول

ان تكرر النداء للمومنين في هذه الايات جاء بعد ان تناولت الايات السابقه ارشاد المومنين الي ان الحياه التي يرتقون بها عن انواع الحيوانات انما تكون بما يدعوهم اليه الرسول من الايمان والعمل بكتاب الله وسنه رسوله وختم الايه بامتنان الله عليهم بانعام العز والتمكين والامن بعد الذل والخوف وختم بالتوجيه بالشكر لله علي انعامه فكان مجي الايه بالنداء بعدها مناسبا للاتي

الموضوع الاول

تبين الايه ان الخلافه التي كرم الله بها الانسان علي سائر المخلوقات بان اصطفي الانسان ليكون خليفه فان هذا التكليف يعني انك مامور بحمل امانه القيام بامر الله في ارضه وحمل امانه العلم بالاشياء والعلم بخالق الماده وهي امانه مزدوجه تعني العلم البشري وتعني العلم بالله تعالي

ولهذا فان النقص في المعرفه لاي منهما تعني ان الخلافه ناقصه

ولهذا اخبرنا الله ان الاستجابه لله والرسول فيه الارتقاء الي اعلي مراتب الكمال الذي ميز الله به الانسان ولهذا فان شرف الخلافه الذي يوصف به الانسان انه خليفه يحتاج الي النجاه من الظلم والجهل لقوله تعالي (انا عرضنا الامانه علي السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) فالنجاه من الظلم لاتقوم الا اذا اتصل الانسان بالله والنجاه من الجهل تقتضي العلم بالاشياء

فشرف هذه الحياه الكريمه ان تكون خليفه لله في ارضه يتطلب

القيام بامر الله واجتناب مانهي عنه هذا علي المستوي الفردي

وعلي المستوي الاجتماعي. تعني الحكم بما انزل الله فتخضع جميع المعاملات لامر الله ونهيه

وعلي المستوي الانساني تعني الخلافه اقامه علاقات الانسان. طبقا لقوله تعالي ان اكرمكم عند الله اتقاكم)

وعلي المستوي الدولي لابد ان يحكم القران العالم كله فتهمين قيم ومبادي الاسلام احوال العالم

ولهذا امر الله المومنين بالاستجابه لله ولرسوله فيما يدعوهم اليه ففي الاجابه الحياه الكريمه التي تجعل المسلم خليفه وهذه الاستجابه تعني

ان يكون للعمل بالشريعه وللاعمال الصالحه اثار علي حياه المسلم تدل علي تاثر قلبه باحكام الشريعه تحول +967 738 422 348 الانسان من الهمجيه والانانيه الي انسان ثم الارتقاء به في سلم الكمال حتي يكون انسانا ربانيا

حيث ان الانسان اذا اتبع الشريعه الحقه ان يظهر عليه مظاهر ذلك التاثير فهو بدا يعرف حقوق ربه ولهذا فهو يتفاني في الله تعالي. فيعتز بعبوديته لله وكذلك يعرف حقوق بني جنسه حسب مراتبهم

فتشاهد استعماله ملكات العدل والاحسان والرحمه في محلها ويشرك الجميع بحسب مراتبهم فيما من الله عليه من العلم والمعرفه فهو يعرف سنه الاجتماع ويعرف حقوق الناس ولهذا يضع كل شي في موضعه ويتفاني في خدمه الناس تنفيذا لامر الله وبذلك يتخلص من الضعف الذي اتصف به الانسان عندما حمل الامانه كما يتضح من قوله تعالي (انا عرضنا الامانه علي السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)

فلابد ان يتخلص الانسان من الجهل من خلال المنهج الرباني ويتخلص من الظلم بان يستعمل الملكات في محلها بطاعه الله وامتثال امره واجتناب ما نهي الله عنه وتكاليف حمل امانه الخلافه شاقه وثقيله

لايقدر عليها الا من اختار ان يكون خليفه لله والخلافه شرف لاتكون الا لمن اختار ان يكون خليفه فهي ليست صفه تثبت للانسان بمجرد ميلاده كالادميه او العبوديه وانما تثبت له بطاعه الله والقيام بحق الامانه التي كلفه الحق سبحانه وتعالي بحملها فاذا كان الانسان يولد عبدلله سواء اعترف العبد بهذا او كابر فان الانسان لايولد خليفه لله انما يصير خليفه لله اذا اراد الخلافه وسعي لها سعيها وهو مومن ولهذا كان مجي النداء للمومنين هنا باعتبارهم التنظيم صاحب المصلحه في العز والتمكين الذي وصل اليه التنظيم الاسلامي فهم الراغبون بدفع عجله التطور للامام فالمومن هو الذي اختار ان يكون خليفه لله ولهذا التحق بتنظيم المومنين هذه الصفه توجب طاعه الله والقيام بحق الامانه التي كلفه الله بها ولهذا جاء التحذير من الخيانه بمخالفه القيم والمبادي نظرا لان الكثيرون عندما يصلون الي العز والتمكين والرفاهيه والسلطه يحدث منهم الخروج عن الحق بالظلم ويحدث الاخلال بالالتزامات ومخالفه المبادي والقيم عند الكثيرون

وتصبح الاهداف الشخصيه هي الغرض االذي يسعي الثوار لتحقيقه

وكذلك فان البعض يعتبر الوصول للسلطه نقطه الوصول ولاينظرون لها انها نقطه انطلاق لنشر الخير والفضائل ولذلك تشاهد التراجع عن اهداف الثوره والتحول عنها بالانشغال بالابناء ومطالبهم و بجمع الاموال حيث تصبح الرفاهيه هدفا لحياتهم ويصبح الهدف الديني هدف شخصي

ولهذا جاءت الايه بهذا النداء (يايها الذين امنوا لاتخونوا الله والرسول وتخانوا اماناتكم وانتم تعلمون)

والغرض من مجي الامر بعد ذكر العز والتمكين وانعام الله تعالي هو غرس الشعور بالمسؤوليه عن هذا العز و التمكين وواجب حمل الامانه في اعماق النفس الانسانيه بحيث تستقر في الاعماق الداخليه للنفس هذه المشاعر التي تجعل الضمير في حاله يقظه دائمه شاعرا بان الوصول الي السلطه نقطه انطلاق للقيام بامر الله وانشاء دوله يحكمها القران ضمير يحاسب العبد عن اي تقصير في القيام باعلاء كلمه الله الشعور بالالزام في نقل حضاره الاسلام للعالم اجمع بحيث يلتزم العالم كله بقيم ومبادي حضاره الاسلام وتهيمن علي اوضاع العالم

فلابد ان يغز التوحيد اعماق النفس الداخليه بالذات في مرحله الانتقال الي العز والتمكين حيث ان غياب ذلك يودي الي اساءه البعض استخدام السلطه ويتحولون عن اهداف الثوره ولايتقيدون بالقيم والمبادي التي انبثقت عنها وعندها لاتنتظر منها ان تصغي الي نداءت الضمير مادامت نداءت الضمير ليس لها اسنان تفرض الالتزام به ولذلك شاهدنا بعض الزعماء والمناضلون في صفحات التاريخ انقلبوا علي اهداف الثوره وتحولوا عنها الي انظمه استبداديه فاصبحت الارض التي حررها المومنون بدمائهم وتضحياتهم مكانا تسفك فيه دماء الشرفاء مكانا ضيقا لايتسع لامالهم وطموحاتهم في بناء الوطن الذي تحرر باسمهم وبشعارات الثوره واهدافها لكنه تحول الي خدمه مصلحه شخصيه فرديه كون البعض يعتبر السلطه محطه وصول لجمع الاموال وبناء ديكتاتوريه له ولابناءه واسرته ولهذا جاءت الايه لارشاد المومنين ان مشاركتكم في القضاء علي الظلم وقهر الجاهليه لايعني اقامه ديكتاتوريه ولكن ا قامه دوله يحكمها الكتاب والسنه دوله العدل والمساواه واقامه الحياه كلها وفقا لمنهج الله وان الخروج عن ذلك هو خيانه لله وللرسول وخيانه للامانه فكان تكرار النداء للمومنين لغرض تقويه الالزام في الضمير الانساني للقيام بحق الامانه واداء واجبها لان الخيانه تبدا من الضمير من التفريط بالعدل والانسانيه والحق يحدث فيه قتل مقومات الايمان وما يتفرع عنها من اخلاق كريمه من التسامح والتعاون والاخاء والعدل واستبدالها بعلاقات ماديه مجرده تتسع للغدر والصدقات المرحليه فسلاح الشيطان هو الخيانه حيث يبدا بالوسوسه في الضمير بطرح مبرارت تجعل الخيانه مستساغه كما هو حال الناس في هذا الزمان حيث اصبحنا نري من يتباهي بخيانه الامه ويتامر مع. الاعداء ويمد يده لليهود قتله الاطفال ويدافع عنهم ويدعي انه بذلك يخدم الاسلام والامه نري اموال الامه تسخر لمحاربه الاسلام والتنكيل بالدعاه ويزعم ان ذلك لخدمه المسلمين للاسف الشديد تري التامر ضد الثله المومنه في غزه من زعماا ء العرب والمسلمين علي شاشه التلفاز وبلا خجل تري من يعتلي منابر الدين والاعلام ليبرر ذلك لتضليل الشعوب للاسف

الشديد وهذا ما اخبرنا عنه رسولنا الكريم فقال ياتي علي الناس سنون يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويخون الامين ويوتمن الخائن وينطق فيه الرويبضه قيل يارسول الله وما الرويبضه قال السفيه يتكلم في امر العامه) واكبر انواع الخيانات خيانه الارض والقضيه والدين ولهذا جاء التعبير بالنهي عن الخيانه بقوله تعالي(لاتخونوا الله وتخونوا الرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون)

لبيان شناعه الجريمه فكلمه الخيانه فظيعه من يسمعها يتذكر موقف مريرا في حياته عاني فيه من الغدر ولهذا فان السامع يشعر باثقال الالم والغدر الناتج عن الخيانه التي احدثت جرحا في قلبه وانكسار واحزان وفقدان الثقه بالاخرين ... فاراد بهذا ان تشعر انت ايه الموطن المسلم انك سوف تحاسب اذا قبلت تبرير الخيانه لاهل غزه التي يبررها الزعماء العرب فعليك ان تدرك ان عليك واجبات بمقتضي. امانه الانتساب الي الاسلام. توجب عليك ان لاتقبل ما يروج له الحكام لتبرير خيانتهم والا فانت خائن مثلهم لله ولرسوله ولامانتك لانه لافرق بين خيانه الضمير وخيانه الواقع فالخيانه بكل صورها لاتتجزا فاذا كنت لاتمتلك التنفيذ لها في الواقع لانك لاتمتلك السلطه فانت قد ارتكبت خيانه الضمير بالموافقه علي ارتكاب الحكام لها في الواقع وبالتالي فانت مشارك معه في الجريمه وتتحمل نفس الاثم الذي يتحمله الحكام فانظز الي بشاعه الخائن فهل تريد ان تكون مثله فالخائن منبوذ والكلمه تستعمل للدلاله علي نقص صاحبها وانحرافه عن الحق وهي صور متعدده وقد ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم ان من صور الخيانه ان يوسد الامر الي غير اهله وهذا فيه حث الي ان المعيار هو الكفاءه فاذا تم مخالفه هذا المعيار الي القرابه فقد حصلت الخيانه واخبر الرسول صلي الله عليه وسلم انه اذا سادت المجتمعات هذه الافه فقد ضعت الامانه وعندئذ فانتظر الساعه

لقوله صلي الله عليه وسلم اذا ضيعت الامانه فانتظر الساعه قيل كيف اضاعها قال صلي الله عليه وسلم اذا وسد الامر غير اهله فانتظر الساعه)

والخائن يضل سعيه ولايوفقه الله فالله يقول (وان الله لايهدي كيد الخائنين)

والخيانه من الكبائر فهي من صفات المنافقين لقول الرسول صلي الله عليه وسلم ايات المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان)

الموضوع الثاني

بعد ان ذكرت النصوص العز والتمكين واختتمت بذكر واجب الشكر تاتي الايات مبينه ان طاعه الله بامتثال امره من واجب الشكر وكذلك اتباع سنه الرسول صلي الله عليه وسلم هو لوزام الشكر وكذلك فان القيام بواجب حمل الامانه من اداءها علي الصفه التي امر الله بها هو من واجب الشكر لله لانه تفضل عليك باختيارك لتكون من امه الشاهدين

ولهذا فان الخروج عن الحق وتعطيل شرع الله هو خيانه لله ومخالفه سنه النبي صلي الله عليه وسلم هو خيانه للنبي صلي الله عليه وسلم

وكذلك فان المسلم مسوول بحمل امانه الخلافه كمسووليه عامه وكذلك فان مسوول عن امانات عديده فالرجل له القوامه علي زوجاته وابناءه ولهذا فانه اذا اساء في تعامله مع زوجاته ولم يتعامل بالعدل فانه خائن لله ولرسوله وللامانه التي كلف بها

وكذلك اذا لم يقم بتربيه ابناءه وبذل الجهد لكسب اللقمه الحلال لهم فانه يكون قد فرط بالامانه وللاسف الشديد فان خيانه الاباء لابناءه لها اثار وخيمه تستمر معهم الي نهايه حياتهم فمثلا عندما لايتحمل الاب مسووليته في متابعه ابناءه وسلوكهم ومع من يجلسون قد ينتج عن هذا التفريط والتقصير انحراف الابناء يصعب بعد ذلك تداركه سوا كان هذا الانحراف اخلاقي في ظل الترويج للرذيله وسهوله افساد اخلاق الاطفال

والمراهقين نتيجه التقدم في مجال الاتصالات ومواقع الاباحه التي اصبحت في متناول الجميع تروج للفاحشه واللواط والزنا وتروج له فاذا لم ينتبه الاب لما في تلفون ابنه مثلا فان ابنه يفسد وهو في جواره

وهكذا فان البئيه لاتقل شانا عن هذا

فضلا عن الترويج للافكار الهدامه من قنوات تدعي خدمه الاسلام وهي تبث سموم تقتل العقول وتغتل حب الدين في نفوس الابناء ولايتخلف دور المساجد عن ذلك كثيرا فالكثير منها اصبحت منابر للتطرف او لاهل البدع للاسف الشديد فلم تعد المنابر مثل المسجد والمدرسه اليوم

لها دور ايجابي في تربيه النشي كما كان في السابق حيث انهما كانا يقومان بدور الاباء في تربيه الابناء فاذا قصر الاب بمسووليته كانت المدرسه والمسجد يقومان بذلك ولهذا فان الشعور بواجب حمل الامانه اليوم ثقيل يتطلب منك اخي المسلم ان تواجه تلك المتطلبات بقوه موزايه لذلك الثقل في حمل التكاليف

وكذلك فان المعلم عليه ان يشعر بالامانه عن تربيه الطلاب وتعليمهم مكارم الاخلاق والحرص ان تكون منابع الفكر الديني التي يغرسها في الطلاب سليمه من الاغواش والادران التي دست في الفكر الديني من الاعداء والا فأنت خائن لله ولرسوله وللامانه

وكذلك فانت ايه المحامي عليك ان تشعر بالامانه في الدفاع عن المظلومين فانتبه ان تستعمل قدراتك في نصره اللصوص والظلمه

والا فانت خائن لله ولرسوله وللمومنين

وانت ايه الطبيب يجب عليك ان تودي مهنتك بامانه فلا تغش المرضي بالتامر مع اصحاب الصيدليات فتصف علاجات للمرضي لاقيمه لها الا كسب الاموال انتبه ان تتحول مهنتك الي متاجره بمعاناه المرضي

وهكذا كل صاحب حرفه ومهنه وكل مسوول من مواقعه عليه ان يشعر بانه موتمن وانه سوف يحاسب علي ذلك وان التفريط في ذلك هو خيانه

المبحث الثاني

لما كانت الخلافه اختيار ولاتثبت الا للعبد الا بطاعه الله والقيام بحق الامانه التي كلفه الله بها وهي تكاليف شاقه تحتاج الي الصبر والمصابره

بالسعي الي انشا دوله يحكمها القران ولهذا لابد من ازاله كل العقبات التي

تقف في طريق الخلافه وشرفها الذي يرتبط بالتزام طاعه الله واداء حق الامانه فاذا خرج العبد عن طاعه الله او تقاعس عن القيام بحق امانه الخلافه فانه يفقد شرف الخليفه ولهذا فان نشاه الدول التي تحكم بغير منهج الله يعني انها فاقد ه لشرف الخلافه التي تحظي بعنايه الله ورعايته وتاييده المشار اليه في الايه السابقه بقوله تعالي (واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون .....فاوكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات ..الخ

لماذا لانها اذا لم تقوم بحمل الامانه فانها لاتحظي بالعنايه والشرف فليست مساله الاستجابه مجرد اعتقاد في الضمير بل لابد ان تحدث عقيده الشعور بوجود واتباع منهج الله اثرا وفاعليه من خلال الحركه التي فيها تقرير عقيده التوحيد في واقع الحياه

فالامه مكلفه بحمل الامانه واداءها علي اكمل وجه واي تقصير يعني انها خانت الامانه ونقضت العهد فمسووليه الامه ان تقوم باحلال قيم الاسلام محل ما صنعته الجاهليه في الحياه من عادات فالمطلوب منك اليوم ان تعمل

جاهدا لتحل قيم الاسلام الشوري والعدل والمساواه وحقوق الانسان والحريه محل ما صنعته جاهليه هذا القرن من الديمقراطيه وحقوق الشوذ ومساواه المراه بالرجل وغيرها من القيم الفاسده التي تهدد البشريه بالزوال

فجاءت الايه لتربيه النفس المومنه علي التزام الحق والشعور بحق واجب حمل الامانه وشرفها لان الرغبه و الرهبه تعود في الاصل لشرف النفس واستعلاها بالحق ونبلها فاذا كانت النفس خسيسه فانها لاتستحق هذا الشرف فالمساله مرتبطه بشرف النفس وعلوها عن القذروات والارتفاع بهمتها ولهذا نجد ان الايه تبين ان حمل الامانه وشرف ان تكون خليفه لله في ارضه يحتاج الي التضحيه والصبر فمهمه الخليفه ازاله العقبات من الطريق للوصول الي الهدف الذي هو اعلاء كلمه الله ولان الاموال والاولاد قد تبعدك عن هذا الهدف وعن القيام بحق الامانه فجاءت الايه تدعوهم الي لاستعلاء علي فتنة الاموال والاولاد وتدعوهم الي التطلع الي ماعند الله فقال تعالي (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم)

فالايه فيها بيان الاتي

الامر الاول

تعالج الايه مواطن الضعف الانساني فالله عزوجل خالق الانسان وهو مطلع علي ظاهر الانسان وباطنه فكيف لا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .. فقد خلق الله في الانسان غرائز تجعله يميل الي الشهوات في غياب المنهج كما قال تعالي (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ...الخ

ولهذا يخاطب الله النفس البشريه ليخبرها انه تعالي خلق في النفس غرائز الحب والغضب فهذه الغرائز التي خلق بها الانسان تجعل المال والاولاد فتنة يوضع فيها العبد امام اختبار وامتحان لمعرفه صدق ايمانه وقوه اردته في طاعه ربه بقوه هذا الحب الغريزي الذي يسيطر علي عقله ونفسه حيث ان الله خلق الانسان جبانا هلوعا كما قال تعالي (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم علي صلاتهم دائمون) اي يفزع ويجزع اذا اصابه شر كما خلقه شحيحا حريصا يبخل ويمنع اذا اصابه خير

وما يدفعه الي الجبن والبخل الا شده حبه لنفسه وماله وولده

ولهذا فانت في معركه مع هذه الغرائز ...فمن صدق في ايمانه وكانت اردته قويه كانت طاعته لربه هي المنتصره في هذه المعركه وهذا انما يكون باستقرار حب الله فوق كل حب فالمعركه بين حب الله وخشيته وبين حب الشهوات والغرائز فالصادق لايخضع لغرائره ولايستسلم لجبنه وبخله واغراء هواه

ولهذا فان ابتدا الايه (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة)

تهدف الي احداث انزعاج القلب باحساسه ان الاموال والاولاد فيه امتحان شديد وهذا التحذير من الخروج في الاموال والاولاد عن الحق والعدل لابد ان يجعل القلب في حاله يقظه ويحتاط ويحذر فلا ينسي

يتذكر ان الرسوب والفشل في هذا الامتحان يترتب عليه الهلاك وهذا الانزعاج يكون له عونا يمنعه من الانجرار وراء مافي قلبه من الاسراف والافراط في حب الاموال والاولاد اذا لم تهذب النفس بهدايه الدين فانه يقع في ضروب الفساد فهذا الانزعاج يمثل له قوه في موطن الضعف

فكم اغري حب المال بالبخل والجشع والتهالك علي الربح بكل الوسائل المستطاعه فقد يسرق عاشق المال وقد يغش ويرتكب الجرائم ويقتل في سبيل جمع المال وادخاره فيقضي حياته كلها اسيرا لماله يحرسه ويسهر علي استثماره فيحول السعاده به الي شقاء في الدنيا والاخره

وكذلك فان حب البنين تجعل الاب يتقاعس عن القيام بواجبه ويخون الامانه وكذلك فان حبه يعميه عن عيوبهم وذنوبهم و فاغراء المال والولد يدفع صاحبه الي الابتعاد عن الله فيسوقه الي الهلاك والضياع حيث يغريه ذلك الحب علي الجراه علي ربه ليحظي بحب الاولاد وجمع الاموال

فلايبالي بغضب الله كما يبالي بغضبهم ولهذا قال تعالي في سوره نوح

(واتبعوا من لم يزداه ماله وولده الاخسارا)

الامر الثاني

لما كان حمل تكاليف الامانه شاقه وتحتاج الي قوه حب تقف امام اغراء حب الناس لاموالهم واولادهم قوه تنقذ الانسان من شر الغرائز والشهوات التي قد تجعلهم يتقاعسون عن القيام بالجهاد الذي فيه العز يقول الحق سبحانه وتعالي (انما اموالكم واولادكم فتنة)

اي انهما اختبار لتقواكم بحبهما الشديد الذي يغري بعصيان اوامره سبحانه وتعالي وقال بعدها (وان الله عنده اجر عظيم)

جاء بالتذكيربما عند الله في الجنه من نعيم لاتجاريه لذات الحياه الدنيا ولامثيل له في الدنيا فاراد بهذا التذكير تقويه قوه الشوق لما عند الله لان من اشتاق الي الجنه سلا عن الشهوات ويولد فيه الزهد عن الدنيا فيدفعه الي طلب اسباب الوصول لما عند الله والايه ايضا فيها التهديد والتلويح بالعذاب لمن يتبع اهواه ومن يخضع لنفسه الاماره بالسوء فالله يقول في سوره التغابن (انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

اي لتنالوا هذا الاجر العظيم اسمعوا نصيحه واطيعوا امره وانفقوا خيرا لانفسكم (ومن يوق شح نفسه)

فالذي يوق شح نفسه فغلبت تقواه غرائزه وغلب عقله هواه فان من المفلحين الذين انجاهم حبهم لربهم من اغراء حبهم لاموالهم وولدهم وايقظهم فانقذهم من شر الانقياد لهوي النفس ولهذا جاء النداء الاخير في هذا السياق (يايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ....الخ

فهذا المنهج لاجل تزكيه النفس فالغرائز ليست شر يغري الانسان بعصيان ربه بل هي خير وانعام من الله للانسان فما اوجد الله في الانسان من الشعور بالخوف والحرص علي الحياه وحب الاولاد الا ليحافظ علي حياته وعلي اولاده فيحفظ نوعه وما اوجد في الانسان من حب المال الا ليسعي لكسب رزقه ورزق اولاده بالعمل الدوئبدفينتفع وينفع غيره ويودي ماخلق له من اجيات نحو نفسه وغيره

اما من عبد هواه وخضع لنفسه الاماره بالسوء التي تقوده لما يغضب الله فقد كانت غرائزه نكبه اضلته عن سبيل الرشد باختياره وقذفت به في الحجيم

اما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فان الجنه هي الماوي واثبت جدراته بحب الله واستحقاقه لنعيمه بان اتقاه حق تقاته

سادسا

(يايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو فضل عظيم)

هذا االنداء هو اخر الوصايا في هذا السياق وجاء فيه بلفظ عام وجامع لكل معاني التقوي واتبعها بكلمه جامعه في معانيها ومجئيها مطلقه وهي كلمه الفرقان حيث ان هذه الكلمه تدل ان هنالك حاجه للفصل بين الاشياء وقد وردت بعد الدعوه للوقوف في وجه الشهوات وقمع اهواء رغبه النفس في الحرام وتهذيب النفس من خلال ادراكها ان هذه المواد التي خلقها الله في النفس انما هي مواد ابتلاء وامتحان ليثبت الانسان جدراته واستحقاقه لنور الله وحبه ولاجل ان يحفظ الانسان كرامته ومكانته التي فضلته علي سائر المخلوفات فمنزلتك في الدنيا واستحقاقك شرف الخلافه مرهون بالانقياد لامر الله والابتعاد عن معاصيه وكل ما يسخط الله ويغضبه ولهذا بقدر طاعتك وخضوعك لله تعالي يكون الجزء فصيانه النفس وتنميتها وتكبرها ليكون هواها موافقا لما يريد الله تعالي هو الذي فيه النجاه والفلاح ولهذا فان ضبط الغرائز بحيث تحب ما يحب الله وتبغض ما يبغض الله فيه كمال النفس البشريه حيث تقوم هذه الغرائز بدورها في التحفيز باتجاه الخير وتنميته ومحاصره الشر فهي قوه دفع نحو الخير وقوه ردع من الشر فبوجود الشهوات توجد العفه وبوجود الغضب يوجد الحلم وبوجود الالم والحرمان يوجد الصبر والتقوي وبوجود الاغراء يوجد معه الثبات والمقاومه فعلي قدر جهاد الانسان واحتماله يكون الاجر ولهذا بعد التوجيه بالوقوف بوجه الاخلاط الغير ملائمه التي تفسد علي المومنين القيام بالتكاليف وتبعث علي الخيانه ياتي تكرار النداء للمومنين يدعوهم الي التزود بسلاح التقوي مبينا لهم ان ثمره التقوي هو الفرقان الذي يعيطيك العلم الصحيح والحكم الحق في تفاصيل الاشياء لتميز بين الحق والباطل وبين المحق والمبطل حيث ان من مفرزات انتشار الخيانه ان تفسد احوال الناس ويحدث انحطاط في القيم فيصبح اللص بنظر الناس رجل ذكي وشاطر ويصبح اصحاب القيم حمقي بنظر الناس

فالاعداء يسعون الي تجريد الامه عن مقوماته المعنويه الايمانيه واستبدالها بعلاقات ماديه مجرده تتسع للغدر و الخيانه وهذه المعركه الفكريه لاتستطيع ان توثر فينا الا اذا فقدنا القيم ومقومات الايمان لكن اذا تمسكنا بديننا فلن توثر فينا وفقد ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم انه قال (يوشك ان ياتي زمان يغربل فيه الناس غربله يبقي حثاله من الناس قد مرجت عهودهم وامانتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقالوا كيف بنا يارسول الله قال تاخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون وتقبلون علي امر خاصتكم وتذرون امر عامتكم)

فقد اراد بحثاله الناس اي اشرارهم وان عهودهم اختلطت وفسدت وشبك بين اصابعه لبيان التباس الامر عليهم

وذلك يجعل العبد بحاجه الي الفصل والتفريق بين الاشياء والامور للخروج من حيز الاجمال الي حيز التفصيل من جهه وايضا يكون بحاجه الي ما يفصل به بين الاجناس والاشخاص والكليات والجزئيات بحاجه الي معرفه المحق من المبطل وهذا يحتاج الي العلم الذي تميز به كل هذه الامور لاجل ان تفصل وتفرق بين الاشياء وهو ما دفع الصحابه ليسالوا الرسول كيف بنا فاخبرهم تاخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون ...الخ

وهذا فيه حث علي تقوي الله في مثل هذه الامور فمن اتقي الله وفق لمعرفه الحق من الباطل فكان ذلك سبب نصره وسعاده الانسان

فقال تعالي (ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)

ومعناه ان تتقي الله بمقتضي دينه وشرعه وسنته في نظام الخلق يجعل الله لك بمقتضي هذه التقوي ملكه من العلم والحكمه والفراسه ما تعرف به الحق من الباطل فتضع الشي في موضعه والنظر في الامور بفكر ثاقل نتيجه صفا النفس وراحتها وطمانينتها وهو نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به الحق من الباطل يميز بين النافع والضار والهدي والضلال ويبصر مراتب الاعمال راجحها ومرجوحها وبقدر تزكيه التفس والخوف من الله تعالي وصلاح النفس كان حظه من نور الحكمه اقوي وتفرسه في نفسه وغيره ادق فملكه الفرقان التي يرزق بها المتقي تكون بمقدار تقوي العبد وقد جاء تنكير الفرقان في الايه للتنويع التابع لانواع التقوي ولتنوع احوال

العبد وتشابك تفاصيل تلك الاحوال سواء في السياسه او الاقتصاد او العقيده او الرئاسه ونظام الحكم فهو يحتاج الي العلم التفصيلي في جوانب العبادات والمعاملات وكذلك في اداره الدول وعلاقاتها في الحرب و السلم ومعرفه السنن التي تحكمها ولهذا فان معرفه السنن السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه التي تحكم هذه الاحوال امر مهم ان يستوعبها المسلم فلا يمكن له قراءه الاحداث في مجال الخير والشر بدون معرفه هذه السنن وحسن التعامل معها ولهذا فاللازم اصطحاب معرفه الوحي كدليل عمل وبوصله هدايه لكيفيه التعامل مع مسيره الحياه وابصار سننها وايقاظ الوعي وحسن تنزيل معرفه الوحي علي الواقع مع خوف الله والاعتصام بكتاب الله والتقوي المزكيه للنفس التي يكون بها الارتقاء الي مراتب اليقين فتحفظ امر الله وتحرص علي ان لايراك الله في ما يسخطه ففي ذلك السعاده ورتب الله علي ذلك اربعه امور الاول:ان يرزقك الفرقان وهو العلم والهدي والفراسه والحكمه 2/تكفير السئيات بمحوها (ويكفر عنكم سيئاتكم) 3غفران الذنوب وسترها (ويغفر لكم) 4الاجر العظيم والثواب الجزيل اذا رضي الله عنك (والله ذو الفضل العظيم)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثاني من سوره

الانفال

(واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (30) واذا تتلي عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين (31)

واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجاره من السماءاو اتينا بعذاب اليم (32)وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (33)ومالهم الايعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وماكانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لايعلمون (34)وماكان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (35)

ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الي جهنم يحشرون (36)ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه علي بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون (37)

قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين (38)وقاتلوهم حتي لاتكون فتنه ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير(39) وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولي ونعم النصير 40)

المقدمه :-

بالوقوف علي المواضيع والقضايا التي تناقشها الايات نجد انها تطرح جوانب من رعايه الله وفضله وعنايته برسوله صلي الله عليه وسلم وحفظه ونصره دينه واظهاره فتذكر السياق حال الضعف التي عاشها المسلمون في مكه وتعرض الرسول صلوات الله عليه للتهديد بالحبس والقتل والنفي وكيف ان الله تعالي انجاه من تلك المخاطر ثم تتناول الايات تصوير عناد المشركين ومحاربتهم لدين الله وسعيهم لاخفاء الحق بوسائل واساليب عديده لمنع انتشار الاسلام وانهم لم يكتفوا بذلك بل بلغ بهم العناد ان يدعوا الله ان ينزل عليهم العذاب ان كان الاسلام هو الحق مبينا ان اولياء الله الذين يحظون برعايته هم المتقون وان المعركه مستمره مع الكفار فهم ينفقون الاموال الطائله كي يصدوا الناس عن نور الله. وان الله سوف ينصر اولياءه وهولاء سوف يخسرون اموالهم ويهزمون فهذه هي سنه الله وختم بامر المومنين بالصبر والجهاد حتي يكون الدين كله لله والتحذير من التولي والاعراض عن الجهاد

مبينا ان عليهم الاعتماد علي ولايه الله فهو الذي يتولي رعايتك وهو الذي يحقق وعده بنصره اولياءه فالنصر لا ياتي الا بعد الابتلاء والتمحيص فلابد ان يخوض العبد المعركه مع عدوه الباطني الذي هو الد اعداءه (النفس و الهوي والشيطان والدنيا) فمن جاهدها وبذل مابوسعه كان له الوصول الي ولايه الله تعالي والانتصار علي الاعداء بقدر ما تبذل في مجاهده هذه الامور الاربعه ويكون الوصول الي رضاء الله ومن فاته شي من جهاد هذه الامورفاته من الهدي والنور الوراد في المقطع السابق بقدر ما عطل من الجهاد يقول العارفين ان النصر الظاهر لايتحقق الا بعد جهاد العدو الباطن فالانتصار علي العدو الباطني هو الطريق للانتصار علي العدو الخارجي ذلك ان بدايه المعركه انما تكون بين العقل والهوي بين القلب والنفس الاماره بالسوء بين الملك و الشيطان ولكل منهم جنود وسلاح واعوان فاذا انتصر العقل والقلب والملك كان امدادك بالفرقان النور الذي تبصر به الحقائق وتبعث فيك الانشراح والسرور لطاعه الله واذا انتصر الهوي والشيطان والنفس الاماره بالسوء كان سيطره الظلام علي كيانك فتعيش في ظلمات وضيق واحزان وجحيم ولهذا فحقيقه الجنه والنار في

الاسلام انها انعكاس لاعمالك فهي ليست بشي جديد ياتي من الخارج وانما اعمالك هي التي تجعلك تعيش في نعيم الجنه وانت في الدنيا او في جحيم النيران وانت في الدنيا

ولهذا كان مناسبا ابتداء الحديث هنا عن المعركه بين الحق والباطل بالتذكير بالماضي في مواجهه المستقبل بعد ذكر ان من ثمار التقوي ان يتفضل الله عليك بالفرقان الذي تميز به بين الاشياء وبين الحق والباطل حيث ان ذلك المدد هو العون والمدد الالهي لمن اتقي الله واظهر عجزه وافتقاره وذله لربه وافراده بالخوف والرجا و التضرع اليه والالتجاءوالرغبه والرهبه فهو متولي امره وناصيته بيده فكل شي ملكه فذكر ان من كان هذا حاله فان ثمرات ذلك ان يمده الله بجيوش النصر والظفر فقال تعالي (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ا يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين واذا تتلي عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين)

وهذا فيه الاتي

اولا

تهدف الايات الي تقويه العزائم والهمم وربطها بمحبه الله تعالي والوقوف مع مراده فيما امر به ونهي عنه بحيث تكون اراده العبد هو ارداه الله واراده مراده فلا يكن الفضل مقصودك وانما مقصودك هو الله لان من طلب المقصود فهو لم يعبد الله وفقا لمراد الله منه وانما يعبده لمراده هو

ولهذا فانه يعاقب بحرمان الفضل ولهذا فاللازم ان تحرص علي امتثال مراد الله منك وان تريد الله بعملك. وسوف تنال الوصول الي الله والقرب منه وسوف تنال الفضل طالما انك تريد الله وتريد مراده تعالي فلا يستطيع ايان كان ان ينازع الله في مشئيته واردته ولهذا فان الوصول الي فضل الله (الفرقان) انما يكون بالتقوي الصادقه الناتجه عن الرغبه الصادقه وان تسعي للبحث عن ذلك النور بالتزكيه والتطهر وهذا يتطلب الصبر والعزم والاراده الثابته وتحمل الابتلاء في الطريق فاذا كان الرسل والانبياء قد تحملوا المصائب وعاشوا الالم علي ايدي الاعداء او بحكم القضاا ءوالقدر فان هذا امر لابد منه فالنصر لابد ان يسبقه الابتلاء لان العلم المبارك هو الذي ينمو ويزدهر في تربه العمل الصالح لتصل الي الكمال فلا يبقي مجرد نظريات لايجاوزها الي العمل فالارتقاءللكمال انما يكون بالمزواله العمليه التي تتيح الفرصه لصقل التعاليم بالممارسات. العمليه ويمتلو من نوره ولهذا نجد مجي استعراض النصوص للماضي في مواجهه الحاضر بعد غزوه بدر التي انتصر فيها المسلمون فقال تعالي

(واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك)

فاراد بهذا الاتي

الامر الاول

ان يشاهد المسلمين النقله التي انتقلوا اليها من خلال المقارنه بين حالهم بعد غزوه بدر وحالهم وهم في مكه كيف كانوا في ضعف حيث عاشوا في خوف من بطش الكفار واذاهم وكان منهم الهجره الي الحبشه لقد كانت الدعوه محاصره من قبل المشركين وحصل التنكيل بضعفاء المسلمين ثم حصارهم في شعب ابي طالب وتجرعوا مراره الجوع ..وهذا ما اشارت اليه النصوص في المقطع السابق (فاواكم وايدكم...الخ

وهنا تذكر النصوص لنا واقعه اجتماع المشركين في دار الندوه يوم الهجره للتشاور بشان الرسول صلي الله عليه وسلم فكان منهم. من قال نقوم بحبسه وشد وثاقه او سجنه فجميع المعاني التي ذكرها المفسرون بخصوص قوله (ليثبتوك)تجتمع حول معني رغبه الكفر في منع الرسول صلي الله عليه وسلم من الالتقاء بالناس وعرض

دعوته عليهم وهذا يدل ان المانع الذي فكروا فيه هو سجن الرسول وحبسه وفي هذا اضافه الي قطع الطريق امام الدعوه والناس تعمد اهانه الرسول صلي الله عليه وسلم وكذلك كان الراي الثاني ان يقتلوه والراي الثالث النفي اي الطرد والابعاد عن مكه فهذه فيه بيان محاوله قريش الاساءه والاعتداء علي شخص النبي الكريم

فالايه ترسم لنا صوره موجعه لحال الرسول صلي الله عليه وسلم والصحابه في مكه فقد وصل الامر بتمادي وغرور قريش لدرجه التامر والتخطيط لقتل النبي الكريم لم تتوقف جرائم قريش عند حد اذيه المستضعفين من المسلمين فقد وصل الامر الي شخص الرسول صلي الله عليه وسلم ولهذا يذكرهم الحق بهذه القصه لاجل الاتي

المفهوم الاول

ان يثق المومنون بنصر الله تعالي وتحقيق وعده بان يستخلفهم في الارض فعليهم ان يقيسوا بين حالهم قبل الهجره وماهم عليه اليوم

يقول لهم انظروا لحال الرسول صلي الله عليه وسلم يوم خرج من مكه هو وابو بكر الصديق انظر الي ماانتم عليه اليوم انظروا الي النصر الذي هو مقدمه اخضاع العرب كلهم والعالم لدين الاسلام انظروا الي العز الذي فيه الرسول الكريم فمن البسه ثوب العز الذي صار العالم كله اما مومن او مسالم له او خائف منه فهذا هو فضل الله تعالي وعزه

المفهوم الثاني

ان يشاهد المومنون فضل الله عليهم بعد النصر الموزر في بدر. فتشاهد فضل الله وتدبيره لتري النقله التي انتقل اليها المومنون وبالتالي فان الاحساس بفضل الله بهذه النقله يجعل الجماعه تحس بتضاءل الغنائم ويهون عليها التضحيات والمشاقه بما تحقق من نصر

الامر الثاني

ترسم الايه لنا صوره حيه موثره تهز اعماق النفس وتوقظ مشاعر القلب وتحركها نحو محبه الله وارده الله وارده مراد الله كما يتضح من خلال الصوره التي ترسمها الايه بقوله تعالي (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)

اذ ان الايه تنقل الي الذهن صوره يرسمها الخيال في الذهن وهو يقرا الايه لحال المشركين وهم مجتمعون في دار الندوه يتشاورون فقال تعالي (واذ يمكر بك الذين كفروا)

فقد وضعوا الخطط والاحتياطات اللازمه لتحقيق ما اردوا وهو ان ياخذوا اربعين فتي من كل قبيله واحد يكون اقوي الفتيان فيعمدوا الي الرسول صلي الله عليه وسلم فيضربوه ضربه رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل فلا تستطيع بنو هاشم ان تثار له بقتال كل القبائل

فهذا الاجتماع الدولي الذي اجتمعت له اربعين قبيله اضافه لاهل مكه يدل ان المومره كانت كبيره جدا وان الخطه محكمه لكن الله احبط مكرهم وهم لايشعرون وتوالي الدفاع عن نبيه فهو القوي العزيز

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

علي المسلم ان يدرك انه مطلوب منه ان يكون له موقفا من كل الموامرت التي يجتمع زعماء الدول الغربيه مع بعض الزعماء العرب ضد الاسلام تحت شعار مكافحه الارهاب انتبه من التهاون في ذلك فالله نسب المكر

للكفار جميعا في الايه بقوله (واذ يمكر بك الذين كفروا)

مع ان الذي تولي المكر هم اكابر قريش وسادتها واعوان اولئك الذين كان دابهم الطعن في نبوه الرسول صلي الله عليه وسلم وفي نزول القران الكريم فكان اسناد ذلك الي جميع الكافرين لان البقيه اتباعا للزعماء ياتمرون بامرهم (نقلا عن ابن عاشور)

وبالتالي فاللازم علي المسلم الانتباه من التبعيه التي تجعله يتحمل الاثم بمنزله المشارك في التامر والكيد فاللازم البراءه من كل الافعال التي يشترك فيها الحكام بالتامر مع الاعداء ضد المسلمين كما هو حاصل في حصار اهل غزه والمجازر التي ترتكب بحقهم يجب ان نعلن براءتنا من تامر حكامنا مع امريكا والصهاينه ضد اهلنا في غزه حتي لانكون جزء من تلك الموامره. ولهذا فان خروج الشعوب في المظاهرات هو لاعلان البراءه من تامر الحكام واعلان عدم موافقتنا لما يتم وان لنا موقف اخر غير موقف الحكام والخونه انه موقف الشعوب المومنه فاعلم انك مطالب بهذه المواقف حتي لاتكون جزء مشارك ومساهم في التامر ضد اخوانك واهلك

المفهوم الثاني

لاتقف في صف الباطل ضد الحق لافي الحقيقه ولا في المشاعر لان الباطل مهما استطال فانه مخذول مهما كانت قوته لان الله متكفل بحمايه الحق ونصرته فالاحمق من يريد الوقوف ضد الدين والحق

فالله يقول (يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابي الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرين)

فالله يقف مع الحق ضد الباطل ويبطل كيدهم ومكرهم من حيث لايشعرون ولهذا يذكر الله نبيه بمحاولات المشركين الوقوف ضد الدين من خلال انواع الخطط التي وضعوها لصرف الناس عن القران

ولهذا نجد ان الايه فيها بيان لموضع المنه والنعمه في قوله تعالي (ويمكرون ويمكر الله)

حيث لجا المشركون الي وضع الخطط والتدبير لتحقيق ما يرغبون به من النيل من الاسلام ومن الرسول الكريم وقد صرف الله كيدهم وابطل تدبيرهم وكل نجاه رسوله منهم فمكر الله هنا من باب المشاكله اي المقابله اي قابلهم بمكر وتدبير حصل فيه النجاه لنبيه فابلغ نبيه وتدبير الله ابلغ.في التاثير والاستجابه لانه استدراج لهم والاحاطه بهم من حيث لايشعرون

الامر الثالث

كما ان الايه فيها تذكير المومنين بدفاع الله عن نبيه وعن دينه فهو يقابل مكر الكفار المذموم(وهو وسائل الخداع والحيل في الخفاء للايقاع بالاخرين)يقابله الله بمكر محمود يبطل كيدهم وحيلهم ولهذا يقول انظروا كيف تولي الله الدفاع عن نبيه حيث ابلغه جبريل بالموامره فخرج النبي صلي الله عليه وسلم من داره واخذ قبضه من ترب ورمي بها في وجوههم وغادر هو وابوبكر الي الغار وفي هذا نصره الله للحق واستدراج للمشركين في مقابله مكرهم المذموم حيث حصل مزيد من اذلال للمشركين المتامرين مما وقع لهم عندما خرج الرسول صلي الله عليه وسلم من منزله ورمي علي رووسهم التراب وهم نيام حتي اشرقت الشمس ومر بهم شخص فقال مناديا لهم استيقظوا فقد خرح محمد وذرا فوق رووسكم التراب فقاموا يزيلون من علي رووسهم التراب فكان ذلك مع افشال مخططات قريش مزيدا من الاذلال لهم جعلهم يحاولون اللحاق بالرسول صلي الله عليه وسلم وصاحبه ابوبكر الصديق حتي انهم وصلوا الي الغار الذي فيه الرسول وابوبكر الصديق يقول ابوبكر قلت يارسول الله لو نظر احدهم الي قدمه لابصرنا تحت قدمه فقال له الرسول ياابا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما لاتحزن ان الله معنا فانزال الله السكينه في قلبه .. وهذا فيه

ان الذي يومن باليقين ان الله معه لايخاف من الاعداء فلا يسكن الخوف في قلبه الا من الله

2

ان االازم علي المومن ان يانس الي ربه ويعتمد عليه ويتوكل عليه فهو تعالي بيده كل شي فقد صرف الله الكفار عن الدخول الي الغار بواسطه اضعف مخلوق واوهن شبكه هي شبكه العنكبوت التي جعلت المشركين ينصرفون عن الغار ولايدخلوا اليه عندما شاهدوا خيوط العنكبوت وبالتالي فعليك اخي المسلم ان تنصر دين الله وان تقف مع الحق ولاتخاف بالكفار ف الله يقف معك ويحميك فما الذي تخافه

الامر الرابع

كما ان اللازم عليك ان تعلم ان المراد بالمكر بقوله (والله خير الماكرين)

انه ليس المكر الذي يتصف به الناس فليس من اسماء الله انه ماكر فذكر ان الله يمكر هنا هو من باب المشاكله لما ذكر مكر الكفار اي ان الله رد علي مكرهم بتدبير انقذ به نبيه صلي الله عليه وسلم ف الله لايمكر لكنه يرد كيد الكفار ليحفظ الله عباده المومنين الطيبين وايصال العقوبه لمن يستحقها كما قال تعالي (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) وكما قال تعالي (وان تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا) وهذا يدل علي الاتي

ان الحديث عن المكر الذي قابل الله به مكر الكفار يدل علي قوه الله وعظمته والاحاطه بما يريد فهو يدل انه ممدوح ويدل علي الكمال

اما كيد ومكر البشر فهو مذموم لانه يدل علي الضعف فالقوي لايمكر بل يواجه فقد وصف الله كيد النساء بانه عظيم فقال تعالي (ان كيدكن عظيم) سوره يوسف

حيث يلجا اليه الضعفاا العاجزون الي المكر والكيد الذي يستعاض به الضعفاء النقص في القوه ولهذا وصف ان مكرهم لتزول منه الجبال فالكيد سلاح الضعفاء العاجزون لكن مفعول قوي لان العدو يقوم بالكيد والتسلل من الثغرات التي ليست في حسبان الاخرون ولهذا يخبر الله انه يتولي الدفاع عن نبيه ودينه ومنهجه ضد خصوم المنهج والدين فلن يستطيع الكفار الاضرار باولياء الله لانه تعالي يقابل ذلك المكر بتدبير يبطل مكرهم وينقذ اولياء لانه تعالي القوي والمحيط علما بعباده وافعالهم ولهذا يرد كيدهم في نحورهم فهو يقول في موضع اخر (ولايحيق المكر السئ الا باهله) ولهذا قال هنا (والله خير الماكرين)

ثانيا

تمضي الايات في وصف حال كفار مكه وافعالهم وكيف قابلوا الفضل الذي تفضل به علي امه العرب بان اختار هذه الامه لحمل الرساله الاخيره فجعل الرسول الخاتم من امه العرب وانزل القران بلسانهم الذي فيه ذكرهم فهذا فضل من الله عليهم كان الاجدر ان يشعروا بهذا الفضل الالهي وان يبادروا الي الاسلام واتباع الرسول والايمان بالقران الذي نزل بلغتهم فيه ايقظ به الرسول صلي الله عليه وسلم روح الانسان فقد كانت معجزه الرسول صلي. الله عليه وسلم هي بعث الموتي الاحياء الذين لايدركون انهم موتي ولهذا كانت حميه الجاهليه تصطرع مع الروح القرانيه ولهذا تنقل لنا الايه انهم وقفوا ضد ما فيه ذكرهم واذوا الرسول فقال تعالي

(واذ تتلي عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشا لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين)

المبحث الاول

ان نبوه الرسول صلي الله عليه وسلم مبنيه علي دلاله معجزه القران

فعليك ان تعلم ان القران الذي هو متلو محفوظ مرسوم في المصاحف وانه هو الذي جاء به الرسول صلي الله عليه وسلم وتلاه علي من في عصره ثلاثه وعشرين عاما

وقد حفظه الله وتناقله المومنون خلف عن سلف ثم مثلهم في كثرتهم وتوافر دواعيهم علي نقله حتي انتهي الينا دون اي تبديل او تغير فالله تكفل بحفظه

ثم ان عليك ان تدرك ان نبوه النبي صلي الله عليه وسلم كانت معجزتها القران الكريم فالمعجزه هي عين المنهج وهي معجزه عامه عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين ولزوم الحجه بها في وقت ورودها الي يوم القيامه علي حد واحد وقد تحداهم الله ان ياتوا بمثله فعجزوا عن الاتيان بمثله

فهو حجه عليهم ولايكون حجه ان لم يكن معجزه وقد امرنا الله في الايات السابقه بالاستماع الحسن واخبرنا انه انزل ليقع به الاهتداء وعظم من شان هذه الحجه حينما امرنا بالاستجابه لما يدعوننا اليه الرسول من كتاب الله وسنه رسوله(يايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون) وقال في موضع اخر (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره علي من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) فجعل من القران والوحي به كالروح لانه يودي حياه الابد ولانه لافائده للجسد بدون الرح فجعل هذا الروح سببا للانذار وعلما عليه وطريقا اليه ولولا ان ذلك برهانا بنفسه لم يصح ان يقع به الانذار والاخبار عما يقع عند مخالفته

فالقران من فضل الله علي امه العرب فقد نزل بلسانهم ولهذا تنقل لنا الايات كيف قابلوا فضل الله بذكر كيدهم ضد الرسول ثم ردهم علي التحدي الذي تحداهم الله بان ياتوا بايه او سوره من مثله فهم قد عجزوا ان ياتوا بمثله فهذا الدليل مع النقل المتوتر الذي يقع به العلم الضروري علي صدق نبوه الرسول فلا يمكن جحد واحد من هذين الامرين

حيث والثابت انه تحداهم ان ياتوا بمثله وانهم عجزوا عن الاتيان بمثل القران حتي طال التحدي ولم يكن القران بلغه غير مفهومه بل كان بلغتهم وقد جعله الله دليل علي صدق نبوه الرسول صلي الله عليه وسلم

وقد ذكرت الايات قبلها عدواتهم ضد الرسول صلي الله عليه وسلم والقران بانهم يعتبرونه عدو يسعون بكل ما لديهم من جهد لدفعه. ومنع الناس من الاستماع له وهو يتلو القران بكل ماقدروا عليه من المكايد لاسيما مع شعورهم بان مافيه تحقيرا لاصنامهم ومعتقداتهم وتسفيه ديانتهم وتضليل اباءهم وقد تضمن احكاما فيها استباحه دمائهم واموالهم وسبي ذريتهم فلو كانوا قادرين لدحضوا امره بامر قريب وهو عادتهم في لسانهم ومالوف خطابهم وكان ذلك يغنيهم من تكاليف القتال واكثار المرء والجدل وعن تسليم الاهل والذريه والسبي فلم يحصل منهم معارضه فاذا تاملت ماذكر في اغلب سور القران من رد قومه تجد قولهم (لو نشا لقلنا مثل هذا) وفي موضع اخر (ان هذا الا اختلاق) والي الوجوه التي يصرف اليها قولهم في الطعن عليه فمنهم من يستهين بها ويجعل ذلك سببا لتركه الاتيان بمثله ...ومنهم من يزعم انه مفتري فلذلك لاياتي بمثله ومنهم من يزعم انه دارس وانه اساطير الاولين ولهذا علم من الايه انهم عجزوا عن الاتيان بمثله

ولهذا فلو كانوا قادرين علي معارضته والاتيان بمثله لفعلوا فهم اهل الحميه وتشاورهم في دار الندوه يدل ان الحميه الجاهليه كانت في ذروتها والهمه كبيره لديهم كما ان خروجهم في بدر للقتال يدل علي وجود البواعث القويه فكيف يجوز ان لايتوصلوا للرد عليه والي تكذيبه باهون سعيهم ومالوف امرهم دون ان تزهق روح واحده ودون اي مخاطر فيكفي استعمال السنتهم التي يتخاطبون بها مع بلوغهم الفصاحه النهايه التي ليس وارءها مطلع يقول الامام ابوبكر محمد الطيب الباقلاني في كتابه (اعجاز القران) فمعلوم انه لو عارضوه بما

تحداهم اليه. لكان فيه توهين امره وتكذيب قوله وتفريق جمعه وتشتيت اسبابه وكان من صدق به يرجع علي اعقابه ويعود في مذاهب احابه

فلما لم يفعلوا شئيا من ذلك مع طول المده ووقوع الفسحه كان امره يتزايد حالا فحالا يعلو شئيا فشئيا وهم علي العجز عن القدح في ايته والطعن في دلالته علم مما بينا انهم كانوا لايقدرون علي معارضته وتوهين حجته)

المبحث الثاني

فيمن نزلت الايه

هذه الايه نزلت في النظر بن الحارث الذي كان يقوم بتجاره في بلاد فارس وكان قد حفظ من قصص واخبار ملوكهم الحكايه بطولاتهم ولما قدم مكه وجد الرسول صلي الله عليه وسلم قد بعث. وهو يتلو القران فكان اذا قام الرسول من مجلسه يجلس اليهم ويحكي لهم قصص مما حفظها عن الفرس ثم يقول لهم ان ما يقوله محمد من القصص والاخبار عن الانبياء وغيرها هي مثل ما اخبركم به وانا لا ادعي اني يوحي الي

وقد ذكر المفسرون ان النظر وقع في الاسر يوم بدر وكان من اسري المقداد بن الاسود فامر الرسول بقتل النظر بن الحارث فقال المقداد اسيري يارسول الله فقال الرسول صلي الله عليه وسلم. انه كان يقول في كتاب الله عزو جل مايقول فامر الرسول بقتله فكرر المقداد مقولته اسيري يارسول الله فقال الرسول صلي الله عليه وسلم اللهم اغني المقداد من فضلك فقال المقداد هذا الذي اردت فنزلت الايه

ولهذا فان الايه مع ماقبلها وما يليها ايات مدنيه بامتياز وليس كما ذهب البعض للقول انها مكيه كما اوضحنا في مقدمه السوره حيث ان الاشكال الذي وقع فيه البعض يعود الي ان الايات تناولت اوضاع متعلقه بماضي المومنين في مكه منها الاشاره الي ماكان من النظر بن الحارث من التطاول علي كتاب الله والذي كان سببا لامر الرسول بضرب عنق الحارث فقال الرسول صلي الله عليه وسلم للمقداد (انه كان يقول في كتاب الله عزو جل مايقول)

اشاره الي ماحصل من النظر في مكه قبل الهجره من التطاول علي القران ...وكذلك فان التشاور انما حصل ليله الهجره ولهذا فان نزول الايات بعد معركه بدر لها دلالتها ومقاصدها فتذكير المومنين بالماضي في مواجهه الحاضر والمستقبل وربطه بما حصل للرسول صلي الله عليه وسلم ومحاوله تشويه المنهج يهدف للاتي

الامر الاول

تبين الايات عناد الكفار وانهم يتعمدون التكذيب لايات الله رغم انها واضحه لهم ولا لبس ولاغموض وانهم سوف يلجاون الي الحرب النفسيه ضد المومنون ومحاوله تشويه الدعوه والتمويه علي العوام وهذا لن يضر المومنين طالما انهم متمسكون بدينهم وعقيدتهم

انتبهوا من الهزيمه النفسيه التي يسعي الاعداء عند عجزهم من النيل من دينك لانهم لايقدرون عليه لان القران منزل من عند الله

لهذا يلجاون الي الاستهتار والاستهزاء بالحقيقه اعتقادا منهم انه يمكنهم بذلك الرفض ان يلغوا مافيه كما قال تعالي (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون)

ولهذا فان هذا الاسلوب بقولهم عند تلاوه القران (قد سمعنا)

هو نوع من الحرب النفسيه فانت مثلا عندما تعرض علي شخص مشروع فيه افكار وبرامج تتوقع ان ينال اعجابه وفيها كشف لحقائق ناصعه غائبه عن هذا الشخص فيقول لك ما جاءت به ليس جديدا بل هو كلام فاضي قد سمعناه من غيرك كثير ا

فان هذا الرد لابد انه يولد فيك الاحباط. ويلحق بك فقدان الثقه بالنفس

وهذا هو الاعراض والالغاء الذي ذكر في ايه فصلت (والغوا فيه لعلكم تغلبون)

فهم اردوا استهداف الدليل والحاق الهزيمه النفسيه بالدعاه اودوا اصابه نفوس المسلمين بالشلل وتبديد الطاقات من خلال الاستهزاء والاستهتار واظهار اللامبالاه مما يدعوهم اليه القران

الامر الثاني

ان هذا القول منهم (قد سمعنا ...لونشا لقلنا مثل هذا ....ان هذا الا اساطير الاولين)

ابتدات الايه بقولهم (قد سمعنا) وهذا للاشاره علي عنادهم وتكذيبهم لنبوه الرسول صلي الله عليه وسلم فالايه تنقل لنا صوره علي تعمدهم الكذب عند تلاوه القران بقولهم (قد سمعنا) فقد اردوا بهذا نفي استدلال الرسول صلي عليه وسلم بالقران انه مرسل من عند الله لان بناء نبوه الرسول صلي الله عليه وسلم علي دلاله القران ومعجزته حيث صار له من الحكم في دلالته علي نفسه وصدقه انه يمكن ان يعلم لكل من يسمع القران انه كلام الله وهذا هو الفارق الذي اختص به القران الكريم حيث وان الكتب السماويه لاتدل علي نفسها الا بامر زائد عليها وهي المعجزه لان نظمها ليس معجزا وان كان مافيها من اخبار الغيوب معجزا

اما القران فان المعجزه هي المنهج فنظمه معجز يمكن ان يستدل به عليه

وحل في هذا. من وجه محل سماع الكلام من القديم سبحانه وتعالي لان موسي عليه السلام لما سمع كلامه علم انه في الحقيقه فكل من يسمع القران يدرك ان مايسمعه هو كلام الله من جهه الاستدلال مثلما ان موسي علم ان مايسمعه كلام الله من جهه الاستدلال وكذلك نحن نعلم ان مانقرؤه او مايتلي علينا علي جهه الاستدلال انه كلام الله ولهذا حذرنا الله من سماع الكفار المعاندين في المقطع السابق بقوله تعالي (ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون)

فالمشركين تعمدوا التكذيب رغم ان نظم القران قد تناولت وجوه توجد في كلامهم لكن تجاوزت حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحه والبلاغه وهم اهل صنعه اضافه الي ما في القران من جمال تاخذ الاسماع والانفس فالمتناهي في الفصاحه والعلم بالاساليب التي يقع فيها التفاصح حتي اذا سمع القران عرف انه معجز لانه يعرف من حال نفسه انه لايقدر عليه ويعرف من حال غيره مثل مايعرف من حال نفسه فيعلم ان عجز غيره كعجز ه هو

ولهذا راينا ان صناديد قريش واعيانهم ووجوههم سلموا ولم يشتغلوا بمعارضه القران رغم تحدي القران لهم

ولهذا يقرعهم الله بحكايه ماقالوا فقال تعالي (لو نشا لقلنا مثل هذا)

يدل علي عجزهم فهذا الكلام خرج منهم وهم كاذبين فيما اخبروا به عن انفسهم ويدل هذا علي عجزهم ولذلك اورده الله مورد تقريعهم لانه لو كانوا علي ما وصفوا به انفسهم لقاموا بتحويل الوعد الي الانجاز والضمان الي الوفاء فلما لم يستعملوا ذلك مع استمرار التحدي وتطاول زمان الفسحه في اقامه. الحجه عليهم بعجزهم عنه علم عجزهم ولو كانوا قادرين علي ذلك لما اقتصروا علي الدعوي فقط وانما اكتفوا بالقول (ان هذا الا اساطير الاولين)

فهذا القول دليلا علي عجزهم وقد ادركوا ان القران كلام الله فقد كانوا ينظرون في امرهم ويراجع بعضهم البعض كما جاء في السيره ان ابوسفيان والوليد بن المغيره وابوجهل وغيرهم كانوا يتسللون ليلا لسماع الرسول وهو يقرا القران خفيه كل واحد منفردا ثم يتعاهدون علي عدم تكرار ذلك وقد قال قائلهم ان له لحلاوه وانه يعلوا ولايعلي عليه...او يراجع نفسه كما قال تعالي عن الوليد (انه فكر وقدر فقتل كيف قدرثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر. واستكبر فقال ان هذا الاسحر يوثر ان هذا الاقول البشر)

ثم يتوقفون عن معارضته ويطلقون الادعاءت انهم قادرون ان يقولوا مثله مجرد دعوي لاتتجاوز الي التنفيذ وهم اهل بلاغه وفصاحه فلا يشتغلون بمعارضته رغم التحدي وهم اهل صنعه ومعرفه في ذلك ويلجاون الي القول بان القران من الاساطير المتباعده الازمان بدل من معارضه القران بالاتيان بمثله كما زعموا ولهذا علم ان اهل الصنعه منهم انما عدلوا عن هذه الامور لعلمهم بعجزهم منه وقصور فصاحتهم دونه

المبحث الثالث

ان نقل الايه لنا عجز المشركين عن معارضه القران رغم التحدي مبينه انهم علموا صدق النبي صلي الله عليه وسلم وان القران كلام الله لان كل من يسمع القران يعلم انه كلام الله ولهذا فان الفرق بين حال المومنين بهذا الزمان يختلف عن حال من امن في زمن الرساله

وكذلك فان حال الملاحده في ذلك الزمان يختلف عن الملاحده في هذا الزمان لماذا؟

لان المومن في زمن الرساله كان يفهم مدلولات وماذا تعني كلمه لااله الالله فايمانه كان عن علم وبصيره واقتناع فلم يكن مقلدا بغير علم كما هو حالنا اليوم .. وكذلك فان الكفار كانوا يدركون معاني التوحيد فالجميع يدرك ان التوحيد يعني ان يحكم القران الحياه كلها وان ينظم المجتمع ويعيد خلقه من جديد علي الصوره التي يرضاها الله رب العالمين لعباده فالاسلام لم ينزل ليملا القلوب ولايتعدي النفوس للمجتمع وانما انزل القران ليعمل اثره في الحياه ويحكم الحياه فلو كان عمل الاسلام قاصرا علي النفوس فقط او كان دينا يمكن لاتباعه ممارسه طقوسهم بعيدا عن المجتمع او الخروج للغابات والصحاري والجبال لما هاجر الرسول صلي الله عليه وسلم من مكه للمدينه ولما قام المشركون بمحاربه الاسلام فلم يكونوا يبالون بممارسه المسلمين للطقوس لو علموا ان القران انزل ليملا النفوس ولايتعدي ذلك الي اخضاع الحياه لاحكامه فنحن نعلم انه كان في مكه احناف اعتزلوا القوم لعباده الله وحده ولم يحدث من اهل مكه ان نكلوا بهم ولو بالكلمه فهذا يعود الي فهم اهل مكه لما يدعوا اليه الاسلام فنظروا له انه يشكل خطرا علي مصالحهم لقد ادركوا ان الايمان بدعوه الاسلام يعني سلبهم سلطانهم الذي يستبدون به الضعفاء وانه يجعلهم متساون مع الفقراء والعبيد فلا تفاضل الا بالتقوي يعني تجريدهم عن امتيازتهم وسلطانهم ولهذا لجاوا الي محاربه الاسلام

لماذا لان الكفار طبيعه الدعوه واهدافها يفهمون معني لا اله الاالله ولهذا

حوصرت الدعوه في مكه ومنعت من ان تنمو اوتحقق اهدافهافي الحياه ولذلك هاجر الرسول الي المدينه لاجل اقامه دوله الاسلام دوله يكون التوحيد هو المسئول عن تنظيم الحياه كلها السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه

ولهذا نجد ان الايات تذكر المومنين بالماضي في مواجهه الحاضر والمستقبل لبيان ان بعثته كانت بدايه مرحله التوحيد الاولي لقد ايقظ الرسول صلي الله عليه وسلم روح الانسان فكانت معجزته احياء الموتي الاحياء الذين لايدكورن انهم موتي وان الانتقال للمدينه هو لانشاء دوله يحكمها القران وهذا مافهمه المومنين الاوائل فقد دخلوا الاسلام علي بصيره ولم يقلدوه تقليدكما هو حال المومنين اليوم فقد ورثوا الاسلام وهم يقلدون اباءهم وعلماءهم بدون فهم او ادراك لمافيه وهو ما شكل ارض خصبه قابله لنمو افكار الجاهليه الحديثه التي اوجدت مسلمين يعيشون بقيم ومبادي غير قيم الاسلام فمشروع النظر بن الحارث لم ينتهي بمقتل النظر بن الحارث

فمازال هذا المشروع قائما الي اليوم للاسف الشديد فتلاميذ النظر بن الحارث اليوم قد تطورت وسائلهم واساليبهم لصرف الناس عن القران والاستماع لتوجيهاته فمن جهه قاموا بتغير المفاهيم والمسميات فصنعوا اوكار الدعاره واسموها ملاهي واماكن الرفاهيه وانشاوا اماكن للخمر واسموها مشروبات روحيه لقد استغلوا جهل الشعوب وانبهارهم بالحضاره الماديه خاصه بعد سقوط الخلافه وهزيمه المسلمين عسكريا فقد استولي الاستعمار علي مركز القياده الفكريه في ديار الاسلام وتسللوا الي عقول المسلمين واقنعهم الاستعمار ان التقدم الحقيقي بالديمقراطيه والحريه الجنسيه وان تحمل عقولا غربيه وان الاسلام بان يكون اسمك اسلامي واعتقدوا ان الاسلام هو الصلاه والصيام والطقوس وتلاوه القران في المساجد فالمسلمون موجودون لكنهم غير قادرون علي تحويل معتقداتهم الي واقع حياه

لقد ادي غياب الروح الاسلامي واستيلاء الغرب والشرق علي وجدان المسلمين الي وقوع المسلمين تحت سيطره روح الغرب والشرق وامتلات الشخصيه الاسلاميه بالقدره علي تلقي الخرافه تحت ستار احياء الماضي

لقد اصبح الناس ينادون بكلمه لا اله الاالله وهم يمارسون افعال تناقض معني لا اله الاالله .....فانتشار الجهل بما تعني عقيده التوحيد واصوال الاسلام صنعت جدران وقيود تمنع الحركه التي تعيد للاسلام مكانته ودوره كعقيده في الحياه لقد استغل الاعداء هذا الجهل مثلما فعل النظر بن الحارث الذي اتخذ من القصص والخرافات وسيله لصرف العوام عن دين الله تعالي

ولهذا فان اهم ما يجب علي علماا ء الدين في عصرنا الحاضر كشفه واولي ما يلزم بحثه هو التركيز علي ماكان لاصل دينهم قواما ولقاعده توحيدهم عمادا ونظاما من خلال اعاده ترتيب واثاره احاسيس الشعوب المسلمه نحتاج الي اجراء عمليات تربويه ودعويه عديده للخروج مما نحن فيه نحتاج الي تجديد لغه القران في التخاطب مع العالم بلغه تبرز عالميه الاسلام واثبات صدق النبي صلي الله عليه. سلم بما حواه القران من معجزه قادره علي مخاطبه العالم كله لاسيما وان الجهل كما قلنا ممدود ومستول علي الافاق حيث ان الاستعمار عندما قدم لعالمنا الاسلامي جاء حاملا افكار وسياسات واهداف وغايات تغلغلت بفعل تقاعس الحكام الي عمق دماء الشعوب ومائها وهوائها حيث احدثت خللا في الوعي وضعفا في الاستقبال والقراءه والاستنتاج وضعفا في المواقف والمدراك وجمودا في الاستعدادت واجتثاث للهمم والاردات فالعربي اليوم يعيش لكن بثوابت اخري غير ثوابت الاسلام تعددت الثقافات من قوميات. اوطان وديمقراطيه ووووو... مذهبيه. طائفيه كلها ثقافات غير اسلاميه

وهنالك جمود عن القيام بحمل الامانه وهو ما يعيق اعاده تشكيل الامه وازاله الركام الذي خلفته الجاهليه ومراحل اسقاط دور المنهج من الاستعمار ثم ما تبعها من الاستهتار نفس الخطه التي استعملها كفار مكه كما قال تعالي (قد سمعنا)ثم الهجوم الشرس كما فعل كفار مكه (ان هذا الاساطير الاولين)

هكذا اصبح اليوم ينظر الي الاسلام انه رجعيه وانه سبب التخلف فالعلم النافع صار في خفاء فاصبح اهل العلم يقابلون بالقساواه والجفاء بينما يقف الناس في طوابير لاجل ان يحصلوا علي توقيع ممثل او لاعب كره القدم فلا يجد العلماء من يرحب بهم حتي صار ما يكابدونه قاطعا عن الواجب من سلوك مناهجه والاخذ في سببله فالناس اليوم بين رجلين :

ذاهب عن الحق ذاهل عن الرشد واخر مصدود عن نصرته مكدود في صنعته

فقد ادي ذلك الي خوض الملحدين في اصوال الدين وتشكيكهم اهل الضعف في كل يقين في ظل ضيق الافق التي صنعتها عقليات الخبراء بتحويل الكتاب والسنه الي سلاح حزبي او مذهبي او طائفي او قومي نتيجه التعصب المقيت فقل انصار القران وانشغل عنه المسلمون فصار عرضه لمن شاء ان يتعرض فيه حتي عاد مثل الامر الاول علي ماخاضوا فيه عند ظهور امره فمن قائل انه شعر ومن قائل انه سحر وانه اساطير الاولين

فملاحده العصر سلكوا طريق ملاحده الجاهليه الاولي الا ان ملاحده قريش كان اكثرهم قد طعن فيه في اول امره ثم استبان رشده فابصر فناب واناب وعرف من نفسه الحق بغريزه طبعه وقوه اتقانه بتوفيق من الله اما ملاحده هذا العصر فانهم اشد انحرافا عن ملاحده قريش حيث صار القران سلاح لهدم قيم ومبادي القران واستطاعوا ان يغزو المسلم فصارت الخرافه لاتجد ارضا تنتنفس فيها غير ديار الاسلام وباسم الدين فصارت القبور تعبد باسم القران للاسف الشديد وصار السحر والتنجيم هو سلوك المتدينين للاسف الشديد لهذا فان دور العلماء اليوم هو العوده الي منابع اصوال الدين من خلال بناء الشخصيه المومنه وبناء دوله الموحدين فالقران انزل ليملا النفس ايمانا ...ليجد الانسان سعادته والسمو الروحي ...ثم انشي دوله يحكمها القران وهذا يتطلب اعاده ترتيب المجتمع المسلم واثاره الاحساس واجراء عمليات تربويه ودعويه عديده حتي يتهيا العقل والقلب من جديد لفهم مدلول اصوال دينهم وقاعده توحيدهم عمادا ونظاما واثبات صدق القران وانه معجزه خالده داله علي صدق الرسول صلي الله عليه وسلم

ثالثا

تستمر الايات في استعراض عناد المشركين ووقوفهم في وجه الحق رغم وضوح الحق لهم الذي غلبهم فقال تعالي (واذ قالوا اللّهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجاره من السماء او ائتنا بعذاب اليم)

فهذا الدعاء العجيب علي انفسهم بعد ان عجزوا عن معارضه القران فالايه ترسم صوره لحاله العناد من قبول الحق فهم كانوا متحيرين من امرهم متعجبين من عجزهم يفزعون الي القول انه اساطير الاولين من التعليل والاعذار ومدافعه بما وقع التحدي اليه وقد علم انهم ناصبو القران الحرب وجاهروه ونابذوه وقطعوا صله الارحام وهاهم يخطرون بانفسهم بهذا الدعاء بعد ان عجزوا عن مبارته وهم يشاهدون انه يستطيل عليهم وهم يضعفون عن مجازاته فقد رجعوا الي جميع الفصحاء فعجز الفصحاء عن الاتيان بمثله عندها ثبتت الحجه عليهم

فكل من سمع القران عرف انه معجز لانه يعرف من حال نفسه انه لايقدر عليه وهو يعرف من حال غيره مثل مايعرف من حال نفسه فيعلم ان عجز غيره كعجزه هو ولهذا شعروا بالزام حكمه وحجته والاصل ان يذعن للحق ويبادر الي الاستسلام والقبول به فصاحب الفطره السليمه لايجد غصاصه بالقبول بالحق لكن هولاء منعهم عارض الكبر لدرجه انها توثر الهلاك علي الاذعان والاستسلام لدعوه الحق فقد ثبت لديهم اعجاز القران وتاكدوا ان الخلق لايقدرون عليه فثبت لهم الذي اتي به غير البشر وانه انما يختص بالقدره عليه من يختص بالقدره عليهم ولهذا بلغ بهم العناد مبلغا عجيبا انهم يطلبون الاهلاك بالحجاره النازله من السماء او العذاب الموجع ولا يقبلون بالمبادره الي اتباع الحق وخصوا بالذكر الحجاره لانهم قد شاهدوا هلاك ابراهه وجنوده بحجاره من سجيل عندما اراد هدم الكعبه ولهذا كان التعبير منهم بذلك لبيان انهم لن يقبلوا الاذعان للحق لانه يجردهم من سلطانهم ومصالحهم حتي لو يحل بهم ما حل بابراهه وجنوده او ماحل بالامم السابقه من عذاب فقد كانوا يمرون علي قوم عاد والايكه في رحلتهم الي الشام فاردوا بهذا الدعاء الاياس من استجابتهم للحق مع انهم متاكدون انه لاقدره لهم علي محاربه الله وهم يتعللون ان حربهم هي مع النبي صلي الله عليه وسلم ويزعمون ان الله ياخذ المكذبين بعذاب الاستئصال بعد ان ينزل المعجزه الحسيه قاصدين بهذا التنصل من معجزه القران

ولهذا ياتي التعقيب علي هذا السياق بقوله تعالي (وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون ومالهم الايعذبهم الله

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

تبين الايه شرف وقدر النبي صلي الله عليه وسلم فقال تعالي (وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم)

وذلك لما كان انصرافهم عن قبول الحق لانه نزل علي النبي صلي الله عليه وسلم كما اخبر الله في موضع اخر (وقالوا لولا نزل القران علي رجلين من القريتين عظيم)

وكانت الايه السابقه قد تحدثت عن عنادهم ورفضهم الاذعان للحق مع علمهم بصدق الرسول صلي الله عليه وسلم وان القران من عند الله تعالي وذلك نتيجه الكبر والحسد لانه نزل علي الرسول صلي الله عليه وسلم وقد اثروا الهلاك والاستئصال علي القبول به والخضوع له ولقياده الرسول ولهذا يخبر الله ان رفع العذاب عنهم لان الرسول بينهم اجلالا لقدره واكراما والمراد فيهم لايعني ان الرسول صلي الله عليه وسلم كان في مكه وقت نزول الايه كما ذهب البعض فليس الامر كذلك وانما الايات تستعرض الماضي في مواجهه الحاضر والمستقبل من جهه ومن جهه اخري فالمراد بها وجوده في الحياه بشكل عام باعتبار ان امه الاسلام فيها امه التبليغ التي تشمل غير المومنين ولهذا فان امه محمد تعني كل العالم واما امه الاستجابه فهي امه الايمان او وجوده بجوراهم كما يقال يسعد جار الكريم بسعاده الكريم فاذا كان الكفار بالقرب من الرسول صلي الله عليه وسلم فقد اندفع عنهم العذاب لمجاورته ولهذا فالايه تدل علي تشريف قدر الرسول صلي الله عليه وسلم

الامر الثاني

تبين الايه ان الرسول صلي الله عليه وسلم لن يمكث علي وجه التابيد فهو سوف يموت فذكرت الايه ان مده بقاء الرسول صلي الله عليه وسلم

بينهم هي مانع مؤقت من نزول العذاب ولهذا جاء بالفعل في قوله (وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم) فاستعمال الفعل ليعذبهم يفيد التجدد والاستمرار لانه مرهون بمده بقاء الرسول صلي الله عليه وسلم

وقد قال له (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد)

ولهذا يخبر الله هذه الامه انه لايضيعها بعد وفاه الرسول فاذا كان الرسول قد توفي فاعلموا ان الله قد جعل الامان بالاستغفار الي يوم القيامه فالاستغفار مانع دائم وثابت للعذاب في كل زمان ولهذا استعمل للتعبير عن ذلك صيغه الاسم (وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون)

تفيد الثبات والدوام ولهذا استعمل صيغه الاسم (معذبهم)

الامر الثالث

عليك ان تفهم ان الله اكرم الامه بالنبي صلي الله عليه وسلم وجعل وجوده سببا مانعا لنزول عذاب الاستئصال فاذا كان النبي قد مضي فقد بقي الاستغفار موجودا الي يوم القيامه فهو مانعا ثابتا ودائم فمن اراد الامان فعليه بدوام الاستغفار وهنا قد يقول قائل ماهو المراد ب الاستغفار وماهو المراد بالعذاب ؟

للجواب علي هذا ينبغي ان تدرك الاتي

1

ان العذاب انما يكون علي الذنوب والاستغفار يعني التوبه وطلب العفو ومحو الذنوب من الله تعالي وان ذلك موجب مغفره الذنوب التي هي سبب العذاب فاذا حصل هذا يندفع العذاب كما قال تعالي عن نوح (ياقوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم ذنوبكم ويوخركم الي اجل مسمي) الي قوله تعالي (استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدررا)

فهذا النوع هو الاستغفار الدافع للعذاب كما قال تعالي (فلولا كانت قرية ءامنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياه الدنيا ومتعناهم الي حين)

2

ان العذاب المدفوع بالاستغفار يقول شيخ الاسلام (فان هدا العذاب المدفوع يعم العذاب السماوي ويعم مايكون من العباد وذلك لان الجميع قد سماه الله عذابا كما قال تعالي في هذا النوع (واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ...الخ

وقال تعالي (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم)

وقال تعالي (ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا) وقال تعالي (الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم) فقد يكون العذاب من عنده وقد يكون بايدي العباد فاذا ترك الناس الجهاد في سبيل الله يعاقبهم الله بان يتسلط عليهم الاعداء او يوقع بينهم العدواه والبغضاء فاذا التزاموا امر الله فانه يولف بين قلوبهم وجعل باسهم علي عدو الله وعدوهم فاذا لم ينفروا عذابهم بان يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم باس بعض وهذا فيه

المفهوم الاول

ان الاستغفار الدافع للعذاب متعلق بعذاب الاستئصال الذي كان سنه الله في اهلاك الامم كما قال تعالي (فلولا كانت قريه ءامنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياه الدنيا ومتعناهم الي حين) ولما كان المعلوم ان عذاب الاستئصال قد رفع علي جمله الامه استجابه لدعاء الرسول صلي الله عليه وسلم فقد ورد في صحيح مسلم من حديث ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال اعطيت من فاتحه الكتاب وخواتيم سوره البقره من كنز تحت العرش لم تقرا بحرف منها الا اعطيته) ويقصد بخواتيم سوره البقره هي من قوله تعالي (ربنا لاتاخذنا ان نسينا او اخطانا ...الخ الي نهايه السوره

يقول شيخ الاسلام فقد استجاب الله لنبيه الدعاء في جمله الامه ولايلزم من ذلك ثبوته لكل فرد لما وكلا الامرين صحيح فان ثبوت هذا المطلوب لجمله الامه حاصل ولولا ذلك لاهلكوا بعذاب الاستئصال كما اهلكت الامم قبلهم وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (سالت ربي لامتي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني من واحده. سالته ان لايهلك امتي بسنه عامه فاعطاينها وسالته ان لايسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم فاعطاينها وسالته ان لايجعل باسهم بينهم فمنعنيها وقال يامحمد اني اذا قضيت قضاء لم يرد)

وكذلك ورد في الصحيحين لما نزل الله قوله (قل هو القادر علي ان يبعث. عليكم عذابا من فوقكم) قال النبي صلي عليه وسلم اعوذ بوجهك (او من تحت ارجلكم) قال اعوذ بوجهك (اويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض) قال هاتان اهون وهذا لانه لابد ان تقع الذنوب في هذه الامه ولابد ان يختلفوا فان هذا من لوزام الطبع البشري لايمكن ان يكون بنو ادم الا كذلك

وهذا الاخير هو العذاب المدفوع بالاستغفار فهو اما ان يكون من عند الله او يكون بتسلط البشر عليهم

المفهوم الثاني

ان اللازم علي المسلمين ترويض ا نفسهم وتمرين عقولهم وتربيه الاجيال علي الاعتراف بالخلل والاعتراف بالاخفاق والفشل عند ارتكاب الاخطاء فلا تلجاء الي القاء اللوم علي الاخرين فباب التوبه مفتوح فما عليك الا ان ترجع الي الله تائبا وتستغفره فقد وعدك الله بالامان ان سلكت هذا الطريق وهذا وعد من الله بان العذاب لن يحل بك ما كنت مستغفرا لله

فالامان بدوام الاستغفار

المفهوم الثالث

ان الامان يحصل بالاعتراف بالمسئوليه بعيدا عن المكابره بغير الحق فالامان يكون بالخلوص من ذهنيه التخلف والعجز ومحاوله القاء التبعيئه علي الاخرين فان ذلك سببا لزوال النعم وحدوث الاختلاف والانقسام ونزول العذاب الذي جعل الله السبيل لرفعه هو الاستغفار فقال تعالي (وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون)

فهذا هو الامان الذي يعوض. الشعور الذي وجده الصحابه بوجود الرسول فيهم وكما قال تعالي (واتقوا فتنة لا تصبن الذين ظلموا منكم خاصه)

وكما قال تعالي (ويذيق بعضكم باس بعض)

فعدم الاعتراف بالذنب والاستغفار يودي الي نزول العذاب الوراد في الحديث الذي افاد الرسول انه سال ربه اعطاه اياها فمنع كما. قال (اويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض) فالاختلاف والانقسام

نوع من انوع العذاب سببه القاء كل طرف بالتبعيئه عن اخطاءه علي الاخرين فهذه الحاله المرضيه اليوم عمت الجميع بعدوها فقد تغللت الي اعماق الشعوب فحدث تسلط الاعداء علينا ولهذا حذرنا الله في موضع اخر من ذلك فقال تعالي (ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون)

وهذا هو واقع حال العالم الاسلامي اليوم حيث تجد ان الانقسام جعل الكثيرون يجهدون انفسهم لاجل اثبات مسئوليه الاخرين فما وصلت اليه الامه ولو انهم بذلوا ذلك الجهد في دراسه ادائهم ومعرفه مواطن الخلل والتقصير لاستطاعوا الارتقاء والمساهمه في خلاص الامه

لكنه الاستكبارروالتمترس وراء الالقاب الخادعه التي تتحول عن مهمتها

كما هو حال كفار مكه الذين اخبر الله تعالي انهم استحقوا العذاب بالقتل في بدر لانهم ابتعدوا عن دين الله فالمشكله كامنه في الذهنيه لديهم نتيجه غياب منهج السنن عن العقل بان اولياء الله هم الذين يخافون الله ويلتزمون باوامره فهولاء هم الذين يحظون بالرعايه والعنايه فالمتقي يتحمل المسئوليه عن اعماله ويلجا الي الله بالاستغفار لايقف عاجزا ولايلقي باخطاءه علي الاخرين ولكن يتوب ويستغفر ربه ويذعن للحق كما قال تعالي (فاقم وجهك للدين حنيفا فطره الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون منبين اليه واتقوه واقيموا الصلاه ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) فمعادوه الامه فاعليتها يكون بالاعتراف بالخلل وعدم المكابره ومعالجه اسباب الخلل واصطحاب بوصله معرفه الوحي دليل هدايه وارشاد ولهذا ورد عن الحسن البصري قوله لا اظن الله يعذب رجلا استغفر قيل لماذا قال كيف يلهمه الاستغفار ويريد به الاذي)فهذا السبيل للامان وليس الانتساب لابراهيم عليه السلام والعناد والمكابره الذي سلكه كفار قريش رغم معرفتهم ان الرسول صلي الله عليه وسلم مرسلا من ربه فالاستغفار انما يكون بالتوبه وامتثال امر الله واجتناب نواهيه وهذا لايكون الا بالتزام المنهج وبدون معرفه الوحي لايمكن ان يوجد استغفار ولهذا اخبرنا الله ان قريش ابتعدت عن الحنفيه وعن دين ابراهيم فوقعوا في التيه عن صور التدين وادي ذلك الي المروق عن الدين لانهم جعلوا العباده هو التصفيق والتصفير فقال تعالي (ومالهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وماكانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون لكن اكثرهم لايعلمون وماكان صلاتهم عند المسجد الحرام الامكاء وتصديه فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)

رابعا

كما ان الايات في تناولها مساله ان وجود الرسول صلي الله عليه وسلم رافعا للعذاب يدل علي قدر مكان الرسول (ص) من جهه وعلي ان الله امسك عن الكفار في هذا الزمان عذاب الاستئصال الذي اخذ به المكذبين من الامم السابقه قبلهم وهذا لان المشركين طلبوا المعجزات الحسيه وعندما اخبروا ان ذلك لحكمه لان المعجزه الحسيه توجب الهلاك بعده للمكذبين وان معجزه هذه الامه هي القران المعجزه البيانيه هي المعجزه الحقيقه لمرحله الرشد والنضج البشري فهي تمثل احد ادله الخلود لان المعجزات الماديه لاتلبث ان تفقد قيمتها وقدرتها علي التاثير بمجرد تجاوز عصرها فلئن كانت مناسبه لمرحله الطفوله البشريه التي كان الاعتماد علي العقل وكان ارسال الرسل الي كل قوم علي حده ولفتره محدده اما رساله الاسلام فهي رساله خالده وعالميه تتجاوز حدود الزمان والمكان ولهذا كان عين المنهج هو المعجزه مناسبا مع مرحله النضج البشري حيث ان التجريد من ظرف الزمان والمكان وصلاحيه المنهج لكل زمان ومكان. والقدره علي تنزيله حسب الظروف والاحوال هي اعلي من مدركات العقل الانساني (الخطاب الدعووي) المصدر

فارسال الرسول صلي الله عليه وسلم بهذه المعجزه كان مصحوبا برفع عذاب الاستئصال الذي كان سنه الله في اهلاك المكذبين من الامم السابقه لكن العذاب بسلب النعم ودون عذاب الاستئصال ظل مستمرا كعقوبه للمخالفين مالم يستغفروا

وهذا رحمه من الله ولان رساله الاسلام عالميه وقد ارسل الله الرسول صلي الله عليه وسلم رحمه للعالمين ولهذا كان النبي صلي الله عليه وسلم مشفق علي امته فقد ورد عن عائشه في صحيح البخاري ان الرسول صلي الله عليه وسلم كان اذا راي مخيله في السماا ء اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا امطرت السماء سري عنه فعرفته عليه ذلك فقال (ص)

ماادري لعله كما قال قوم فلما رواه عارضا مستقبل اوديتهم)

وهنا قد يقول قائل كيف يدوام الرسول صلي الله عليه وسلم علي ذلك والله يقول (وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم)

خاصه وان حديث عائشه يدل علي انه كان يواظب علي ذلك فهذا لان مقام الخوف والتقوي يقتضي عدم الامن من مكر الله وكذلك فان الرسول صلي الله عليه وسلم كان يخشي علي من ليس فيهم ان يقع عليهم العذاب فهو كان يشفق علي المومن لايمانه ويشفق علي الكافر لرجاء اسلامه كيف لايكون ذلك منه وقد بعث رحمه للعالمين

ولهذا تبين الايات ان امهالهم وعدم اخذهم بعذاب الاستئصال ليس لمكانتهم عند الله وانهم اهل البيت فهو ليسوا باولياءه انما اولياءه المتقون فقال تعالي

(وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وماكانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لايعلمون وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصديه فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان عدم اخذهم بعذاب الاستئصال هو لان الله استجاب لدعاء النبي فرفع هذا العذاب عن امته وكذلك رحمه من الله تعالي كي يعودوا الي الله تائبين ويستجيبوا لدعوه الهدايه. فهذا من رحمه الله ورحمه رسوله فقد ورد في معني الحديث ان الملك نزل الي الرسول (ص) بعد ما قام اهل الطائف برميه بالاحجار وعاني منهم ما عاني فقال له هل اطبق عليهم الجبلين فقال الرسول لا عسي الله يخرج من اصلابهم من يقول لا اله الا الله)

فالرسول الكريم كان محبا للبشريه ولهذا كان مشفقا علي الجميع وحريصا علي ايصال الخير لهم

وهذا ايضا من رحمه الله تعالي ان جعل التوبه مفتوحه الي ماقبل الموت. لاتقاء العذاب فلو عاملهم الله بما هم فيه فانهم مستحقون للعذاب

الامر الثاني

تبين النصوص ان ابواه المنهج والعقيده هي التسلسل الذي يتصل به المومنون وبه يكون الاتصال برعايه الله وعنايته وليس النسب والدم والسلاله فهذه لاقيمه لها ولهذا تاتي الايات لابطال المزاعم التي كان المشركون يستمدون منها قوتهم بين القبائل العربيه بالزعم ان الله يتولي حمايتهم لانهم من ورثه ابراهيم وسدنه البيت فهذه دعوي لا اساس لها فالنسب والسلاله ليس له قيمه فالولايه انما تكون للمتقين الذين يراقبون الله في افعالهم الخاضعين لله هولاء هم الذين يتولي الله اخراجهم من الظلمات الي النور وحمايتهم اما الذين يصدون عن المسجد الحرام المتكبرين فهولاء اولياء للطاغوت يخرجهم من النور الي الظلمات فهنالك فرق بين اولياء الرحمن وبين اولياء الشيطان مبينا ان صلاتهم كانت مجرد تصفير وتصفيق فهي ليست عباده وبالتالي فلا حمايه ولا رعايه لهم لمجرد وجود البيت وانهم من سلاله ابراهيم حيث ان المشركون كانوا يروجون لهذه الفكره لاجل الحصول علي الامتيازات وقد وجدت رواجا بعد واقعه الفيلولهذا تتحدث الايه عن واقعه بدر الذي حصل فيه العذاب للمشركين بالقتل والهزيمه فهذه الغزوه حطمت الخرافات التي غرستها قريش في نفوس الناس فهذا هو العذاب الذي تتحدث الايه عن انزاله بالمشركين وهو القتل بايدي المومنين في بدر فقال تعالي في نهايه

(فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) وهو العذاب الذي كان يمكن دفعه بالاستغفار اي ترك الكفر والتوبه

الامر الثالث

من الاخطاء الشائعه عن الكثير من الناس ان الاخلاق الدينيه منحصره في الصلاه والصوم والحج وعدم شرب الخمر ...

وهذه الاخطاء نتيجه عن القصور في فهم حقيقه الدين واخلاقه فالصلاه والصيام والحج وعدم شرب الخمر من اخلاق الاسلام لكنها ليست هي كل الاخلاق من جهه فهنالك اخلاق للفكر والتعقل والعلم وترك التقليد واخلاق للنفس مثل الامانه والاخلاص ..واخلاق للسلوك فالاخلاق الايجابيه في الاسلام ليست انفعالات وانما هي اخلاق تتظافر مع بعضها لاجل تثبيت معاني العدل والمساواه والحريه

فجميع الشعائر في الاسلام لايقصد بها الطقوس بل القصد جوهرها لامظهرها وهي محدوده ومعدوده وتخضع للرخص بحسب الظروف والتكوين للفرد

ولهذا فان الصلاه مثلا هي دعوه للفلاح كما هي دعوه لعباده الله والجميع تحقق الغايه من خلق الانسان ولهذا فان العبره بما تسكبه الشعائر في النفس فالصلاه تنهي عن الفحشاء والمنكر. فاذا لم وجدت المصلي يرتكب الفحشاء والمنكر فاعلم ان صلاته ليست استغفار ولا ذكر

ثم ان الصلاه فيها اعزاز للضعيف بقوه الله وتخفيض لقوه القوي امام كبرياء الله حيث يتم التسويه بينهم في الصف

وكذلك فان الصوم جنه وهو رياضه للنفس ولاجل الشعور بالاخرين

والحج لارفث ولافسوق وهو يعبر عن عالميه الانسانيه وهذه الشعائر تودي الي ترسيخ قيم العدل والحريه

والمساواه والاخوه فالتشريعات كلها تحقق مصالح الناس والعدل بينهم وهذا ما ذكره ابن القيم رحمه الله فقال (ان الله ارسل الرسل وانزل الكتب ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت عليه السموات والارض فاذا ظهرت امارات العدل واسفر وجهه بالحريه فثم شرع الله ودينه)

القسم الثاني

لما شرح الله احوال المشركين في الطاعه البدنيه باسلوب ذم لصلاتهم التي كانت عباره عن تصفيق وتصفير فهم لم ياتوا بها علي الصفه المطلوبه وكذلك لم ينتفعوا بدرسها التي هي المقصود منها. فالشعائر ترسيخ قيم العدل والحريه والمساواه والاخوه فالصلاه لاقيمه لها ان لم ينتفع المصلي بدرس التسويه في الصفوف بالصلاه بالتسويه بين خلق الله بازاله الفوراق بين الناس وايقاف البغي والظلم فالعبره بالشعائر بثمراتها فاهم دروس العبادات هو الخضوع والاذعان لامر الله والتواضع واظهار انعام الله بحسن استعمالها لهذا انتقل الي شرح احوالهم في الطاعات الماليه التي هي من انعام الله تعالي عليهم فقال تعالي

(ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسره ثم يغلبون والذين كفروا الي جهنم يحشرون

ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه علي بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولي ونعم النصير)

اولا

انه بالنظر الي الموضوع الذي تدور حوله الايات نجد انها تناقش مساله الجهاد واهدافه التي يجب علي المومن ان يسعي لتحقيقها

فالمسلم مكلف برفع الظلم والمعاناه عن البشريه باعتباره خليفه الله وتحرير وانقاذ البشريه من الاستعباد فكلمه لا اله الاالله تعني ان تسلب من الخلق جميعا التاله بالذات او بالواسطه بالاسم او بالصفه ولهذا فان هذه الكلمه تقطع الطريق علي الخلق حتي لايبغي بعضهم علي بعض فكل من يتحكم في عباد الله سواء بطريق السطو او الثروه التي رزقه الله كانه ينتحل لنفسه صفه القهار والرزاق وان لم يسم نفسه الها بالاسم فقد جعل من نفسه الها بالوصف وسمي الاسلام الاعتداء علي حقوق الشعوب شركا فقال تعالي (الانعبد الا الله ولانشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله)

ولهذا فان الطغاه شعروا ان هنالك ثمه خطر يهدد سلطانهم فدعوه الاسلام بنظرهم عدوا لانها تحطم القيود التي صنعها الظالمون الجبارون علي حريه المستضعفين فقال تعالي (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله)

فالايه تشير الي ان الكفار كلهم سوف يجتمعون لاجل ان يتعاونوا ضد الحق لاجل محاربه الاسلام وقيم الدين ان دعوه الاسلام الي الحريه والعدل والمساواه وتحرير العقل برفع القهر الذي ترسخ فيه الخرافات يشكل خطرا علي الطغاه ولهذا فانهم يلجاون الي التعاون مع بعضهم لمنع الناس من الدخول في الاسلام. ولهذا جاء التعبير باللام (ليصدوا)

لام التعليل. لان غرضهم منع الناس عن الدخول في الاسلام. ويجوز ان اللام للصيروره او العاقبه باعتبار ان بعضهم يعتقد انه يدافع عن دين اباءه واجداده ويزين له الشيطان سوء عمله فهم يجتمعون وينفقون اموالهم

لاجل منع انتشار دين الله....وان الكفار سيفعلون ذلك فقال تعالي (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسره

لاجل ان يتقووا علي قتال المسلمين وان النهايه هو الندامه والحسره في الدنيا لانهم يشاهدون اموالهم تذهب سدي وفي مهب الرياح فلا يظفرون بما ياملون في القضاء علي الحق واطفاء نور الله بل ويهزمون فقال تعالي (ثم يغلبون) هذا في الدنيا واما في الاخره (والذين كفروا الي جهنم يحشرون) وهذا فيه الاتي

الامر الاول

عليك ان تدرك ان اهل الكفر في كل زمان يجتمعون لاجل محاربه الاسلام ويبذلون اموالهم التي يحبونها ويعيشون لاجلها لاجل منع انتشار الدين ولمنع الناس من الدخول في الاسلام يتعاونون للقضاء علي الاسلام فالمعركه لن تتوقف الي قيام الساعه وهذا هو الواقع الذي نعيشه في هذا العصر فالذي يقف علي الايه ويمعن النظر فيها ويقارن ما تتحدث عنه النصوص بحال عالم الكفر اليوم يجد انها تنطبق علي الواقع المعاصر فنجد ان العالم المادي اليوم بكل صور ه يتداعي لاجل محاربه الاسلام ومحاربه كل حركات الفكر الاسلامي يضعون العثرات والعقبات امام الاسلام من ان يصل الي حكم حتي عالمنا الاسلامي يبذلون كل الجهود لمنع قيم الاسلام ان تحكم امه الاسلام حتي الديمقراطيه التي يتغني بها الغرب رغم انها ابعد ما يكون عن قيم الاسلام التي تحقق العدل والحريه والمساواه وحقوق الانسان والشوري التي جاء بها الاسلام

فانهم لم يسمحوا للشعوب العربيه ان تمارس نظام الديمقراطيه الفاسد التي تقوم علي قاعده حكم الاغلبيه لماذا لم يقبلوا ترك الشعوب العربيه تقرر مصيرها وفقا لقاعدتهم الفاسده التي قبلت بها بعض حركات الاسلام السياسي ؟

لانها نتيجتها افرزت وصول الاسلامين الي سده الحكم فشعروا بالذعر من عوده الاسلام لقد شاهدنا المال العربي يسخر لاجل الاطاحه بهم وتم مصافحه الصهاينه لاجل التامر عليهم من قبل ابناء الامه

للاسف الشديد شاهدنا المال العربي يستعمل في محاربه المراكز الاسلاميه ودور تحفيظ القران الكريم وفي المقابل تشجع الخرافات التي ترسم صوره مشوهه عن الاسلام بمال العرب والمسلمين

شاهدنا المال العربي يقدم لامريكا واسرائيل لاجل محاربه الاسلام تحت شعار مكافحه الارهاب ولضرب حركات التحرر الاسلاميه

شاهدنا كيف ان المال العربي صار يستغل لاجل انشاء الملاهي والمراقص في بلدان اسلاميه كانت حتي وقت قريب تزعم انها تحمل رايه الدفاع عن الاسلام

شاهدنا كيف ان المال العربي يستخدم في قتل العلماء ورجال الدين وائمه المساجد في عدن وحضرموت عبر عصابات تم استجلابها من امريكا وشاهدنا المال العربي يستخدم في قتل اهل ليبيا

شاهدنا المال العربي يقدم لاسرائيل لاجل ان تقتل اهلنا في غزه بحجه ان حماس تنتمي الي جماعه الاخوان المسلمين للاسف الشديد امتنا تذبح بالمال العربي

ولهذا فعلي هولاء الذين يتامرون ضد الاسلام والمسلمين مع اهل الكفر ويدعمونهم بالمال ان يدركوا حقيقه انهم مشمولين بالايه فهم من ضمن الكفار لانهم تعاونوا مع اهل الكفر

الامر الثاني

انك لو تاملت للحرب الصهيونيه علي غزه تجد ان امريكا وحدها قدمت لاسرائيل مايقارب ثمانين مليار دولار

وكذلك المانيا دفعت مبالغ طائله وفرنسا وبريطانيا العالم كله ولم يتقاعس اثرياء العرب من تقديم العون لاسرائيل بالمال والامور الاخري لاجل محاربه اهلنا في غزه بعد ان كان لهم تمزيق الدول العربيه وتسخير الاموال لاجل وصول الانظمه الاستبداديه لقمه الحكم ومحاربه كل ماهو اسلامي لقد شاهدنا الاموال تتدافق من بعض البلدان العربيه لاجل الاطاحه بثورات الشعوب

فلماذا كل هذا ؟

لانهم يخافون علي سلطانهم من الاسلام الحقيقي الذي يحمل قيم الشوري ويحرر الانسان ويحطم القيود التي صنعها الطغاه لاجل ان يظل الناس تحت سلطانهم ..يخافون من يقظه الشعوب وعودتها الي منابع دينها الصحيح انهم اليوم يريدون حتي اعاده صياغه قيم ومبادي الاسلام وتفصيلها وفق مقاساتهم ليتحول دور الدين الي سلبي يكرس سلطه الاستبداد ويهدر قيم العدل والحريه والمساواه بل قاموا بحذف ايات الجهاد من المناهج قاصدين بذلك انشاا جيل منفصل عن قيم ومبادي الدين الحنيف للاسف الشديد ان المال العربي له دور فعال في هذه الحرب ضد الاسلام وقيم ومبادي الاسلام

فعلي هولاء الحكام العرب ان يدركوا ان الصد عن سبيل الله لايقصد به منع الناس من الصلاه والصيام والحج ...بل معناه واسع يشمل كل قول او عمل يقف في طريق تحطيم القيود التي ترد علي حريه الانسان تشمل كل تدبير يقف ضد اي مبدا من مبادي الاسلام او كل تدبير فيه ترويج للباطل واهله

ثم ان علي كل الذين يتعاونون علي الباطل ان يدركوا ان نهايه المعركه هي لاهل الحق فاهل الباطل سوف ينفقون اموالهم ويحشدون قوتهم في هذه المعركه ولكنها سوف تذهب ادراج الرياح فلن يحققوا اهدافهم بل النتائج ستكون عكسيه فسوف يتجرعون مراره الحسره والندامه وسوف يغلبون ويهزمون هذا في الدنيا ويوم القيامه يحشرون الي جهنم وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

ان المعركه بين الحق والباطل لن تتوقف وسوف تستمر الي قيام الساعه ولهذا جاء التعبير بالمضارع (ينفقون) مايفيد التجدد والاستمرارفي انفاق اموالهم لاجل هدم قيام الدين ومبادئها فاراد بهذا ان تشاهد اصرارهم واستمرارهم في محاوله تحقيق اهدافهم التي تهدف الي اخفاء الحق واطفاء الانوار التي تكريس ظلمات الجهل والظلم والاستبداد وتثبيت اركانه ولهذا يسخرون المال لاجل محاربه الدين الذي ينظرون اليه انه مصدر خطر علي مصالحهم لانه يدعوا الي تحرير الانسان ويعمل علي قيام نظام يحقق العداله للجميع ولهذا فان الاثرياء واصحاب السلطه والطواغيت لايقبلون ما يدعو اليه الاسلام ولهذا تتحدث الايه عن حال مشركي اهل مكه بعد بدر التي هزم بها المشركون فذكر ان صفوان وعكرمه وعبدالله بن ابي ربيعه ونفر من الذين اصيب اباءهم وابناءهم واخوانهم فكلموا ابوسفيان ومن كانت له في تلك النفر من قريش تجاره ....وانهم طلبوا ان تكون اموال القافله لمحاربه النبي صلي الله عليه وسلم ...الخ

لكن الايه مفهوم الايه عام بغض النظر عن قول من قال انها خاصه بابو سفيان واموال القافله لان نزولها بشان بدر لاجدل فيه فكون نزولها خاصا لايمنع من عموميتها ويبدو من السياق ان الايه تتحدث عن ماحدث في بدر من انفاق اهل قريش من اموال لمحاربه الاسلام وليس ما بعدها لان الايه عامه وجزمت بالنصر والغلبه للمسلمين في اطار بيان ابطال الله مكر الكفار وشرح احوالهم وكيف تشرب المجتمع الجاهلي وجهه نظر العنصريه والسلاليه الخاطئه والتي اسقطت القواعد الدينيه التي جاء بها ابراهيم واصبحت العنصريه عقيده تستخدم لتبرير الاستغلال الطبقي والعنصري وبينت كيف تم استدعاء الدين كي يقوم بدوره في تصديق الناس لعقيده الشرك بعد ان فشل التصديق العقلي ان يقنع احد فذكر الحق سبحانه المظاهر التي انتشرت في مكه من الطقوس التي كان يمارسها المشركين من قبيل اللهو (التصفيق والتصفير) لاجل كسب الاموال والامتيازات

ولهذا شكل الاسلام خطرا علي منظومه الجاهليه لانه يحرر الانسان من الخرافات ومن قيود الطواغيت وقد حطمت اسطوره ان كفار قريش لهم منزله خاصه عند الله لانهم اهل البيت ومن نسل ابراهيم هذه النظريه التي كانت رائجه في القبائل العربيه ولهذا تبين الايه ان الكفار لن يتوقفوا عن محاربه الاسلام الي قيام الساعه

فانهم سوف ينفقون المليارات لاجل ان يدحضوا الحق ويطفوا انواره

ووضع عقبات امام الناس من السير في سبيل الله وطريقه المستقيم

ولهذا فان ربط ماحدث في بدر بالمستقبل الذي ترسم الايه فيه اصرار الكفار علي محاربه دين الي قيام الساعه باستعمال المال كوسيله للصد عن سبيل الله مع ان الوسائل متعدده يهدف الي ابراز اهميه المال في الحياه ودوره في الدفاع عن دين الحق لان دراسه التاريخ يهدف الي اعاده بناء الماضي علي نحو يحقق النهضه للامه في المستقبل وهذا يتوقف علي اكتشاف الفجوه الموجوده في التاريخ لمعالجتها لان التقدم الذي تحظي به الامم بالتخلص من الماضي البغيض ليس سنه طبعيه تمنع مجي جيل جديد خلفا للجيل الذي عاصر التقدم وتخلص من الجاهليه حيث انه يمكن ان يخلفه جيل يتهاون عن القيام بواجبه جيل يترك الثغور مفتوحه ولا يغلق الفجوات التي يمكن ان تكون منفذا لتيار يتدفق منها افكار للناس تودي الي حلول الكارثه والعوده للجاهليه لان ترك الفجوات دون املاها يعني انك تترك هذه الفجوات لدعاه الجاهليه والقوميه والعنصريه للعوده الي المشهد من جديد

ولهذا فان الايه تركز علي اظهار دور المال كوسيله هامه في المعركه بين الحق والباطل فاللازم علي المومنين التضحيه بالنفس والمال في سبيل الله فاذا كان اهل الكفر في هذه المعركه يبذلون المال الذي يعيشون لاجل تحصيله اصرارا منهم علي تحقيق اهدافهم القبيحه ولهذا جاء تكرار ذكر الانفاق في شبه الشرط والجزاء اشعارا لكمال سوء انفاقهم لبيان انهم لم ينفقوها في اراده الخير وانما انفقوها في ارداه الشر فذكر ذلك لاجل تحفيز المومنين علي سد هذه الفجوه فلا يتقاعسوا عن انفاق المال في سبيل الله فالدعوه الي الله تحتاج الي انفاق المال وبذل الجهود وعدم التوقف في منتصف الطريق فالمطلوب منك الثبات والصمود فانت علي الحق والتضحيه بالنفس والمال حتي تحقيق الاهداف انتبه ان تترك فراغا فسوف يملاه الاخرون

المفهوم الثاني

الايه فيها تقريع لكل من ينفق ماله في محاربه دين الله ان يتفكر في ان ما يفعله يستجلب له الخيبه والهون ولن يصل الي غايه هدفه مهما بذل

ولهذا نجد بعد ذكر انفاق الكفار المال بقصد معاداه الله ورسوله والصد عن سبيل الله المستقيم ياتي العطف بحرف (ثم) للدلاله علي العوض الذي فيه الفرق الشاسع بين ماقصدوه من نفقتهم وبين مآل وما يؤل اليه امرهم فهم قصدوا الوقوف في وجه الحق ولكن هذا القصد ذهب ادراج الرياح فقد ذهبت اموالهم سدي ولم تحقق امالهم ولم يحصدوا سوي الخيبه والخذلان والهزيمه لان اي عمل يراد به معاداه الحق مهما انتح له من مقومات النجاح في الدنيا فماله الي الخساره والاخفاق والفشل فاللازم وقد شاهدنا في العصر الحديث كيف ان امريكا والغرب تحالفوا لاجل محاربه الاسلام وانفقوا مليارات الدولارات لاجل القضاء علي الاسلام فكان التحالف الدولي الذي احتل افغانستان جمع كل قوي الكفر بل العالم اجمع حتي اموال المسلمين للاسف الشديد تم وضعها في يد الاعداء لمحاربه الاسلام فماذا كانت النتيجه لقد انتصر الحق في النهايه وذهبت اموال ومليارات امريكا ودول الكفر كلها ادراج الرياح لقد استطعت ثله من المومنين الصادقين الصابرين ان تدحر امريكا واعوانها وخرجت امريكا من افغانستان تجر اذيال الهزيمه والعار فشاهدنا اذناب الكفر وهم يتعلقون في اجنحه الطائرات هاربين والعدو يتخلي عنهم ويتساقطون ارضا وكذلك شاهدنا اموال تتدفق لنصره اسرائيل ضد اهل غزه الصابرين في هذه البقعه الصغيره من الارض فماذا كانت النتيجه لقد انتصر اهل الحق وذهبت

اموال اهل الكفر ادراج الرياح فقال تعالي (ثم تكون عليهم حسره ثم يغلبون والذين كفروا الي جهنم يحشرون)

فذكرت ان النهايه هي

/1

ان الكفار لايستفيدون من بذلهم اموالهم الا الحسره والخيبه في الدنيا

بالحسره والندم لعدم تحقيق اهدافهم وذهاب اموالهم سدي وبالهزيمه في المعركه

/2

ان الكفار الذين يستمرون علي كفرهم ولايتوبون يحشرون الي جهنم فقال تعالي (والذين كفروا الي جهنم يحشرون) ولم يقل والي جهنم يحشرون لانه كان فيهم من اسلم ولهذا ذكر ان الذين بقوا علي الكفر يحشرون الي جهنم وتقديم الخبر يفيد الحصر بان حشرهم لايكون الا الي جهنم وهذا فيه الزجر العظيم

المفهوم الثالث

تبين الايه ان الوقوف ضد الحق ومعاده الله ودينه وانفاق المال لاجل الصد عن السبيل من ابشع الجرائم واقبحها. وهذه المعركه متجدده والغرض منها ان ينحرف المسلمين عن الطريق المستقيم وان يبتعد المسلم عن قيم العدل والحريه والمساواه والشوري واستبدالها بقيم الماده والاستبداد والرفاهيه تهدف الي سلخ المسلم عن مبادي الدين وقيم وثوابت الاسلام لتجعله يعيش بثوابت واصوال غير ثوابت الاسلام واصواله وهذا ما نشاهده اليوم حيث نري اهل الكفر قد اجتمعوا وهم ينفقون الاموال الطائله ويزرعون الاوهام في عقول ابنا ء الاسلام تجعلهم يتصورن ان هنالك خطوط يمكن وضعها تجعل التوفيق بين ثوابت الاسلام والجاهليه الراسماليه ممكنا وان هنالك قواسم مشتركه يجتمعون حولها تحت مسمي الديانه الابراهميه وحوار الاديان

فهذه الدعوات تهدف الي اخفاء شرور اصحاب الماده وحربهم الشراسه ضد الاسلام من خلال هذه الشعارات تهدف الي ان يبتعد المسلمين عن دينهم مثلما استعملت هذه الشعارات سابقا لصرف انتباه المسلمين عن خطر العدو الصهيوني من خلال الدعوه الي تحالف محاربه الشيوعين الذين هم جزء من اهل الكفر وما بينهم هو صراع مصالح تم استغلال المسلمين ليكونوا وقود الصراع بين طرفي الكفر حيث انقسم المسلمون الي قسمين فريق مع المعسكر الشرقي وفريق مع المعسكر الغربي واهدرات الطاقات خدمه لاهل الكفر حتي اذا انتهت مصالحهم كان الانقضاض علي المسلمين الذين كانوا حلفاء الامس ....ولهذا

تحذر الايات المومنين من الاجتماع لاجل التعاون علي معصيه الله او الوقوف ضد الحق فان هذه الصفه من صفات الكفار ولهذا فان كل من يقدم مساعده ايان كانت لاهل الباطل والظالمين فانه يكون من ضمن من شملتهم الايه فالذي يساعد العدو بالمال او السلاح او المعلومات ضد الحق يكون. جزء من. الظالمين فقد ورد في الحديث الشريف القاعده العامه التي وضعها الرسول (ص) لمفهوم الشرك الخفي بقوله عليه الصلاه والسلام (الشرك اخفي من دبيب النمل علي الصفا في الليله الظلماءوادناه ان تحب علي شي من الجور ...وان تبغض علي شي من العدل وهل الدين الا الحب والبغض)

فالرسول صلي الله عليه وسلم يريد ان يقول ان اخلاص التوحيد يعني محبه العدل وكراهيه الظلم)

ولهذا فان مساعده الظالمين ولو بالسكوت ازاء الحق يعني انك تتعاون مع اهل الباطل ضد سبيل الله وبهذا فانت شريكا مع الكفار والظلمه في الجريمه فكلمه لا اله الا الله ليست مجرد شهاده باللسان بدون الفعل فلابد من حركه منتجه وموثره تودي الي استيقاظ المسلم للتعاون علي البر والتقوي فمن احب الظلم وكره الحق فانه

يكون قد خرج عن دائره التوحيد فلا يمكن ان ينفصل الاعتقاد عن العمل لانه لو حصل ذلك فانه يودي الي انكسار اهم قوانين التوحيد والخلافه في الارض حيث يكون القبول بانسحاب القران من حكم النفوس و المجتمعات كما هو حال المسلمين اليوم

ثانيا

هذه الايه فيها البشاره للمومنين بالنصر علي الكفار فهي من اهم القواعد والسنن التي فيها البشاره للمومنين بالرفعه والعز والتمكين في الارض فهذه سنه الله تعالي فالمستقبل للاسلام في الارض وهذا وعد الله فلا تخاف من قوه الاعداء مهما كانت فهم مغلوبون هذا هو وعد الله لك ولهذا فالواجب عليك ان تثق بالله وان تعتمد عليه وتتوكل علي الله مع الاخذ بالاسباب فالله سوف يظهر دينه علي كل شي فهذا وعد الله

فلا تضعف امام قوه الاعداء وما يمتلكون من عناصر القوه مثل المال والسلاح والجاه والسلطان فهذه القوه اوهن من بيت العنكبوت والله لايعجزه شي وله حكمه ان يمدهم بمظاهر القوه التي تستخدم في المعركه بين الحق والباطل بان جعل للكفار مال ينفقونه في الصد عن سبيل الله فهذا لحكمه فقال تعالي (ليميز الله الخبيث من الطيب

تبين الايه الاتي

الامر الاول

ان علي المومن ان يدرك ان امداد الكفار بعناصر القوه والمال الذي ينفقونه في محاربه دين الله ومبارازه الخالق سبحانه وتعالي هو لحكمه فالله منذ خلق الانسان مثلما جعل للحق اهلا وانصارا وسلاحا قد جعل لاهل الباطل اهلا وانصارا.وسلاحا لاجل حصحصه الحق من الباطل كما قال تعالي (ام حسبتم ان تدخلوا الجنه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) فالازمه والضرب والمدافعه هي سنه الله التي تذهب بالزبد وتبرز الجوهر وتظهر القيادات الموهله القادره علي الاستفاده من التجارب والمبصره للسبل التي تتجاوز بها الازمات

الامر الثاني

انه من الوهم الاعتقاد انه يمكن الوصول الي السعاده دون نضال اكثر جديه وفعاليه ولهذا فان اللازم ان تدرك ان الوصول للعز والتمكين لابد ان تبذل الجهود وان تقابل قوه الاعداء بالجهاد والكفاح وبالحركه للقضاء علي الباطل تحتاج الي الصبر والاتصال بالله والاخذ بالسنن وقراءه المستقبل من خلال المقدمات فالوصول الي السلطه هي بدايه انطلاق ولايعني الجمود والتوقف عند ذلك فسنه التدافع التي اخبر الله عنها وهي من اهم سنن الحركه التي كشف عنها الوحي فهي تحكم مسيره الحياه وتميز بين القدرات بحيث يمكن تسخيرها و التعامل معها

فهي تودي الي حصحصه الحق وحمايه اهله والحيلوله دون امتداد جوله الباطل وسطوته وايضا يفضح المنافقين فقال تعالي (ليميز الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه علي بعض فيراكمه جميعا)

فهذا فيه ان الازمات تكشف معادن الرجال حيث يتم تميز المومن من الكافر والصادق من الكاذب والمصلح من المفاسد ... فالتطور يرجع الي امتزاج النظريه والتطبيق في ارض الواقع

فالايه تبين ان للازمات ابعاد ايجابيه حيث انها تفرز مكونات المجتمع وتفضح المنافقين وبيان دواخلهم وخطوره دورهم ولهذا يقول الله في موضع اخر (لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير)

فالازمات لها دور في اعاده البناء بعيذا عن الخوف والاضطراب تحت عنوان (بل هو خير) مستحضرين قوله

بعض الصالحين (لاتخافوا الفتن فانها حصاد المنافقين)

ثالثا

بعد هذا التصوير العميق لنهايه الكفار واموالهم وخسارتهم والذين اشار اليهم (اولئك هم الخاسرون) لما في ذلك من تاثير علي الاحساس بجسامه الخساره توقظ المشاعر وهي تشاهد نهايه المال الخبيث القذر كيف انه يجمع ويراكم ويلقي مع صاحبه في مكان واحد في جهنم ليكون احد ادوات العذاب التي يعذب بها الكافر كما قال تعالي (تكوي بها جباههم وجنوبهم ....الخ

يعود السياق الي النبي صلي الله عليه وسلم في هذه اللحظات الموثره التي نقلت مصير الكفار واموالهم ونهايه الخبث المتراكم يامر الله نبيه صلي الله عليه وسلم ان يتوجه بالخطاب الي

المبحث الاول

الي الكفار ان يتركوا محاربه الاسلام وينزجروا عن مشاقه الرسول ودين الله فقال تعالي (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف)

وبالوقوف علي الايه نجد

عظمه الاسلام فقد جعل ابواب التوبه مفتوحه فلاياس ولاقنوط في دين الاسلام فهذا النداء من الله الي الكفار المعاندين الذين وقفوا في طريق الحق محاربين يعرض عليهم ان يتركوا الكفر ويعودوا الي الله تائبين وانهم سوف يغفر لهم كل مافعلوامن جرائم ضد الاسلام وضد الرسول صلي الله عليه وسلم

لتعلم ان الله يسره قبول توبه العبد الصادق في توبته مهما كانت ذنوبه

والاسلام يجب ما قبله

وهذا فيه دعوه للدعاه ولكل من يريد استحداث وجهه نظر دينيه جديده للحياه والعالم تحتل اذهان الناس وتوقظ مشاعرهم فاول هذه التغيرات اقامه اسس اخلاقيه ايمانيه تدعوا الي نشر ثقافه الامل في الناس لا اخلاق يرتكس بها الخوف فزرعه الامل فيه المصلحه فقد ورد ان رجلا قتل تسع وتسعين نفسا ثم جاء الي عابد فساله هل لي من توبه فقال لا فقتله ليكون غلاق المائه...ثم جاء الي اخر فساله فقال له لك توبه

فعمليه اياس الاخرين يعني انك تنمي الشر في الارض

ولهذا لابد ان تزرع التفاول والامل بعيدا عن الافراط او التفريط فالحياه لها نظرتان فاذا نظرت لها من زوايه التشاوم فان الصوره التي تراها للحياه تكون مولمه ومزعجه اما اذا نظرت اليها من وجهه التفاول فانك تراها جميلا فمصدر رويه الحياه جميله اوقبيحه هو انت فاحذر من الياس والقنوط

ولهذا يقول لاهل الكفر هذه فرصه لفتح صفحه جديده فانتم لاقدره لكم علي مبارزه الله فعليكم ان تاخذوا الدرس من نتيجه معركه بدر فاذا كان منكم الاصرار بالاستمرار في محاربه دين الله والعناد والمكابره فان سنه الله فيكم ماضيه بالهلاك والعذاب والخساره فقال تعالي (وان تعودوا فقد مضت سنه الاولين)

المبحث الثاني

الخطاب الثاني للمومنين يامرهم بالقتال في الارض لرفع معاناه البشريه ومنع الظلم والاستبداد يامرهم بالقتال لمنع الفساد في الارض (قاتلوهم حتي لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهو فان الله بما يعملون بصير)

فالامر بالقتال هنا ليس لمجرد ارهاق الدماء بل لنشر العدل والحريه يحطم القيود التي يصنعها الطغاه حول حريه الانسان ويترك للانسان الحريه في الايمان ولهذا نجد ان هذه السوره تحدد اغراض القتال حتي لاتصبح الحرب حميه هوجاء وفورده طاغيه فذكرت في مقدمه السوره

بان القتال المشروع هو الذي يكون به رد العدوان العسكري (اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولهم الادبار)

وقد ذكر ايات القران هنا النوع الثاني من القتال المشروع وهو القتال لاجل دفع الطغيان الفكري فقال تعالي (وقاتلوهم حتي لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله)

فالاسلام يضع لنا قاعده القتال بان مواجهه الحياه انما تكون بدرجه اساسيه بالفكر والدعوه والاقناع لا عن طريق الثوره والقتال فلا يطلب الا ان يخلي بين دعوته وبين الناس فاذا كفلت الضمانات لحريه الدعوه فانه لا يعينيه بعد ذلك اسلم الناس ام لم يسلموا

ولهذا فان دعوه الاسلام ليكون الدين الاسلامي هو الذي يحكم العالم. يهيمن علي النظام العالمي لايعني ان يرغم الناس علي دخول الاسلام وانما فيه وجوب ان يحكم العالم قيم ومبادي الاسلام لاجل تحرير الانسان من القيود التي تقيد حريه الانسان ولهذا حرص الاسلام علي تحطيم تلك القيود من خلال القيم التي امر ان تسود العالم قيم العدل والحريه والمساواه والشوري واسترداد حقوق الانسان وانقاذه من الواهيه البشر والماده والطاغوت وتترك للانسان بعد ذلك حريه اختيار المعتقد الذي يعتقده ولهذا فان الاسلام. يعلن الجهاد في حاله وجود سلطه تقف متحكمه لتحجز الدعوه بالقوه لالترد عليها بالحجه يعلن الجهاد عندما يستخدم اصحاب السلطه سلطانهم في حرمان الجماهير من حق التفكير الحر والاعتقاد الحر

فالاسلام هنا يحارب التحكم في الحريات ولايسعي لفرض نوعا من الاعتقاد وهو لايهدف الا الي ازاحه هذه العقبات الغاشمه من الطريق فاذا ازيلت واسترد الشعب حريته واستعاد الانسان انسانيته فله ان يختار مايريد

فالاسلام انما شرع الحرب لوقف المظالم الدوليه فالمسلم لايقف متفرج وهو يشاهد معاناه الانسان ولو كان غير مسلم لقد جاء الاسلام بنظام يكفل العداله للانسان بغض النظر عن دينه ومعتقداته وينبع هذا الاحساس من التوحيد الذي استقر في قلب المومن بان عليه واجبا يدفعه الي النهوض لحمايه دين الله الذي اوجب ان يسود العالم وكذلك فان مواجهه الحياه بالدعوه والفكر يتطلب وجود قوه عسكريه لحمايه صور التوحيد وهذا الا حساس هو الذي دفع الرسول صلي الله عليه وسلم في بدر ان يقول (اللهم نصرك ...اللهم ان تهلك هذه العصابه لاتعبد في الارض)

فقد ادرك الرسول صلي الله عليه وسلم هذه العلاقه الوثيقه بين عنا ء الجهاد في سبيل الله وتوحيد الناس فيما بعد فنشر دين الله يحتاج الي حمايه بحمل السيف امام الطغاه الذين يصادرون حريه الناس ويحرمانهم حقهم في اختيار المعتقد وحريتهم في التفكير فالتضحيه بالنفس والمال من قبل المسلمين دافعهم في ذلك حب الله وحب النوع البشري ولهذا فان فكره التوحيد لها صله بالحركه والعمل علي تغيير شكل الحياه

وهذه الصله مثل الصله بين اليقظه والعقل فاذا وجدت اليقظه تحرك تيار الافكار في العقل واذا وجد التوحيد تغير شكل المجتمع من سي الي افضل والدليل هو تغير شكل الحياه في المدينه بعد قيام دوله الموحدين بعد ان كانوا متناحرين فقد الف الاسلام بين قلوبهم ولك ان تقارن بين مجتمع مكه الوثني ومجتمع المدينه التي قامت بها دوله الاسلام

فالفرق بين الظلم والعدل هو الفرق بين مجتمع مكه الوثني ومجتمع المدينه المنوره المسلم كذلك فان الفرق بين الظلام والنور مثل الفرق بين الشرك والتوحيد ولك ان تنظر لحال المسلمين بعد ان فقدوا دوله التوحيد كيف ان العقليه المسلمه اصبحت ارضا تنمو بداخلها الخرافات التي شكلت قيود ا علي حريه الانسان

ولهذا فان النصر الذي يحققه المسلمون هو نصر للبشريه كلها لانه انتصار للحق انتصار لحقوق الانسان واسترداد الانسان لحريته وارداته وكرامته

فالاسلام عندما اعلن الحرب في حدود هذه الاغراض المشروعه التي تهدف الي تحرير الارض من الفساد وتحرير الانسان من كل القيود التي صنعت حول حريته واختياره والتي هي اخص الخصائص التي ميز الله بها الانسان عن غيره من المخلوقات ..فقد كانت السياسه الحربيه الاسلاميه اروع دستور انساني للمحاربين لقد جاء الاسلام بهذا الدستور المناسب لمرحله النضج والرشد البشري فجاء فيه تعريف شامل للدين

حدد فيه مفهوم الدين بالمعني الخاص والذي يعني الخضوع للاسلام عقيده وسلوك ونظام حياه وهذا لمن دخل في الاسلام وامن به واعتناقه

واما المفهوم العام فقد جاء يحدد القانون الدولي واصواله في السلم والحرب وجعل المسلمين مسئولين عن حمايه القانون الدولي ومنع اي اعتداء علي حقوق الانسان او حريته وحث المسلم علي رفع معاناه الشعوب حتي غير المسلمين وان يرفع الظلم عن المظلومين ولو بحمل السلاح ولهذا نجد ان الاسلام يحدد اصوال القانون الدولي في شريعه الحرب (لاتغدروا ولاتقتلوا طفلا او امراه او شيخا ولاتتبعوا مدبرا ولاتجهزوا علي جريح او اسير. ولاتقطعوا شجره مثمره ولاتعقروا بعيرا الا للاكل وستمرون علي قوم فرغوا انفسهم في الصوامع فدعواهم وما فرغوا انفسهم من اجله)

وضمن حق اللجو السياسي وحق حصانه المكان والزمان واحترام العهود والمواثيق وعدم اعلان الحرب الا بعد الانذار والامهال

فالاسلام لايرغم احد علي اعتناق الدين الاسلامي وانما يحرر الارض والانسان ويترك له اختيار معتقده فاذا اراد ان يدخل في الاسلام فانه يكفي ان ينطق بالشهاده ليعصم دمه وماله وعرضه واذا اراد ان يبقي علي دينه فله الحريه الكامله في ان يعتقد ما يريد وان يمارس عبادته بحريه لكن عليه ان يحترم قيم الاسلام ومبادئه وان يخضع لقوانين الدين الاسلامي وشريعته في حياته لان فيها كل الضمانات التي تضمن حقوق الانسان وكرامته وحريته منهج العدل والحريه والمساواه ولهذا نجد ان الايه تختم (فان انتهوا فان الله بما يعملون بصيرا)

يعني اذا خضعوا للنظام الاسلامي وقوانينه ومبادئه ومافيه من قيم فان مساله اعتقادهم وتمسكهم بدينهم امر خاص بهم ليس عليكم محاسبتهم

فالاسلام حريص علي احترام حريه التفكير والمعتقد والمسلمون لايقاتلون بدافع الحقد علي مخالفيهم في الدين ولامن اجل اكراههم علي تغير عقائدهم بقوه السلاح ولو كان ذلك هو سبب قتالهم لما سلم من سيوفهم صغيرا ولاكبير ولامدبر ولاجريح ولوجدوا الفرصه السانحه فيمن يلقون من رهبان وصوامع لشفاء صدورهم ومما تستعر فيها من نيران العصبيه وهم يمثلون رمز الدين المخالف ويمثلون العجز عن الدفاع والمقاومه لو كان الجهاد في الاسلام كما يصوره الاخرون او ذوي القصور في الفهم لمعني الاسلام الذين يزعمون ان الجهاد هو لاجل ارغام الناس علي الدخول في الاسلام لو كان الامر كذلك ما وجدنا الفرقه اليزيديه في العراق الوثنيه موجوده لو كان مفهوم الجهاد وغرضه هو ارغام الناس علي الاسلام اوقتلهم كما حاولت الجماعه المتطرفه ان ترسم عنه صوره لما تركوا الف واربعمائه سنه يعيشون في ارض الاسلام ولما تركت معابدهم الوثنيه حتي ياتي تنظيم دعاش لينكل بهم ويهدمها لو كان الامر كذلك لقتلهم المسلمون الاوائل حين الفتح الاسلامي ولهدمت معابدهم انذاك او بعد ان استقر الحكم الاسلامي في تلك البلاد اما وانهم يعيشون في ارضهم الف واربعمائه عام يمارسون عقيدتهم بحريه مطلقه رغم تعاقب دول الحكم الاسلامي دون ان تمسهم بسوء فان هذا يدل دلاله قاطعه علي احترام الاسلام لحريه الفكر والمعتقد طالما انهم يخضعون لقواعذ القانون الاسلامي الذي ينبغي ان

يحكم الارض كلها فاعلاء كلمه الله هو ان يحتكم العالم لقواعد النظام الاسلامي وقيم ومبادي الاسلام التي تحر ر العقل الانساني من كافه القيود وتحطم الاغلال التي تقيد الارداه حتي يسترد الانسان قدره عقله في التفكير ويسترد حريه اردته في الاختيار حينها يكون للانسان تقرير اختيار معتقده بحريه تامه ويتحمل مسئووليه اختياره وعمله فهو علي بينه من امره والله لايخفي عليه شي من عمله وبالتالي فان الجهاد في الاسلام شرع لاستعاده الانسان انسانيته والتي لاتكون الا بقدرته علي التفكير وحريته في الاختيار

فالاسلام يقتلع العصبيه بكافه اشكالها وعلي راسها العصبيه الدينيه ولو كان لها مجال في نفوس المومنين لما رضوا من مخالفيهم بغير اعتناق دينهم بعد ان ذاقوا حلاوه النصر ليشعروا بنشوه الظفر فلو فعلوا ذلك لتناقضوا مع اصلهم الشرعي الذي امرهم الله به (لا اكراه في الدين)

ومع اصلهم الاعتقادي النفسي بان الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل فليس الامر مجرد تلفظ باللسان فالاسلام لايقتلع العصبيه والطبقيه ليثير الطائفيه والمذهبيه ولا يحرر الانسان والشعوب ليهضم حقوقها ويستعبدها باسم الدين فهذا ليس من الاسلام في شي فالاسلام دين العداله والحريه والمساواه والرحمه وحفظ الحقوق ومتي خضعت الانظمه لقوانين الاسلام التي حددها باعتبارها اصوال القانون الدولي الذي يحفظ كرامه الانسان وعقله وحريه اختياره فان امر الجهاد يتوقف عند ذلك لان مساله محاسبه الناس علي اختيارهم المعتقدات الفاسده التي يمارسون العبادات بناءا عليها ليس عليك وانما علي الله والله مطلع علي كل شي ولا يخفي عليه شي

لكن اذا رفضوا القبول بقوانين وقيم ومبادي الاسلام واستمروا في محاربه دين الله فالمسلم باعتباره خليفه الله في ارضه عليه ان ينهض ويحمل السيف لرفع الظلم والمعاناه عن البشريه فقال تعالي (وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولي ونعم النصير)

فتوكل علي الله واعتمد عليه فهو تعالي لن يتخلي عن اولياءه فمن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه ومن كان الله عليه فلا امان له

المقطع الثالث من سورة الانفال

لما اختتمت الايات في المقطع السابق بذكر اهداف ومقاصد الجهاد بانه في سبيل الله ولاجل الله ليس الغرض منه كسب المال ولا المناصب وان مقاصد الجهاد نبيله تهدف الي تحرير الارض والانسان بازاله مظاهر الفساد من الارض واقامه نظام العدل الذي جاء به الاسلام الذي يضمن حقوق الناس جميعا وتحرير الانسان بازاله كل الخرافات والاوهام والظلمات التي تسلب الانسان خاصيه العقل والتفكير وكذلك تحطم كل القيود والاغلال التي يضعها المتسلطين الي ارداه الانسان فالجهاد يهدف لتحطيم هذه القيود وازاله العوائق امام قوي التفكير وبذلك يستعيد الانسان كرامته وعقله وحريته في الاختيار عندها يكون له حريه اختيار المعتقد وهو مسئول عن افعاله والمسلم انما يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله واستشعار المسئووليه الملقاه علي عاتقه باعتباره خليفه لله في ارضه وهو يعتمد في ذلك علي الله تعالي ولايبتغي طلب مال ولامناصب ولامكاسب وانما ينفذ ما كلفه الله به وهو يبذل نفسه وماله في سبيل الله

ولما كانت تلك الحقائق قد استقرت في النفوس لهذا يقول المولي بعدها

(واعلموا ان ما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول ولذي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل ان كنتم ء امنتم ب‌الله وما انزلنا علي عبدنا يوم الفرقان يوم التقي الجمعان والله علي كل شي قدير اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوي والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينةويحي من حي عن بينةوان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو ارئكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والي الله ترجع الامور)

اولا

تعود سياق النصوص الي مناقشه مساله الغنائم التي افتتحت السوره بالسوال عن حكم تقسيمها والتي اكتفي النص بردها الي ملكيه الله ورد امر تقسيمها الي الرسول صلي الله عليه وسلم فقال تعالي (واعلموا ان ما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول ولذي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل ان كنتم ء امنتم ب‌الله وما انزلنا علي عبدنا يوم الفرقان يوم التقي الجمعان والله علي كل شي قدير)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان المراد بالعلم الوراد في الاعلان (واعلموا) ليس العلم المجرد ولكنه العلم المقرون بالعمل والطاعه لان العلم المجرد يستوي فيه المومن والكافر لهذا كان الابتداء بهذا التوجيه للمومنين بعد ان استقرت حقيقه اهداف الجهاد ومقاصده في النفوس وشعر المسلمون ان المال مال الله وقبلوا بحكم الله بشانها فهم يقاتلون في سبيل الله وليس من اجل الغنائم عند ها اثمر الدرس فيهم وشعروا بخطا التنازع من اجل الغنائم وتخلصت نفوسهم من حب الغنائم وتجردت قلوبهم من التعلق به وتم ازاله ركام الفكر الجاهلي من اوعيتهم القلبيه والذهنيه و النفسيه واصبحوا عارفين ان مشروع الجهاد ليس لاجل المغانم وانما لاجل طاعه الله والقرب من الله وبعد ان استقرت في نفوسهم عقيده الجهاد واغراضها واهدافه وهو اعلاء كلمه الله تاتي سياق النصوص ببيان حكم الغنائم التي نشاءت عن الجهاد فقال تعالي (واعلموا ان ما غنمتم من شي) اي اعلموا ان ما اخذتم من مال الكفار قهرا بحق كان قليلا او كثيرا فان تقسيمه علي النحو التالي اربعه اخماس لكم يوزعها الرسول صلي الله عليه

وسلم بينكم فهذا عطاء من الله لكم واما الخمس الخامس فيقسم الي خمسه اسهم المصرف الاول لله وللرسول يتصرف فيه الرسول صلي الله عليه وسلم في مصالح المسلمين العامه

واما المصرف الثاني:فهو لذوي قربي الرسول صلي الله عليه وسلم من بني هاشم وبني عبد المطلب يستوي فيهم الغني والفقير والذكر والانثي

المصرف الثالث

وهم الايتام الذين حرموا من يعولهم وهذا رحمه بهم

المصرف الرابع

المساكين المحتاجين

المصرف الخامس

ابن السبيل اي المسافر المنقطع عن اهله وبلده حتي يزوال عنه الشعور بالغربه فيشعر ان المسلمين كلهم اهله

الامر الثاني

تهدف الايات من هذا التقسيم للخمس الذي جاء مضافا. الي الله بقوله تعالي (فان لله خمسه وللرسول)

ان يخلق في المجتمع خلق العداله والتكافل الاجتماعي يستبدله

بدل حب المال والانانيه والعصبيه للاهل والقبيله ولهذا نجد ان الايات لم تكتفي برد مساله الغنائم الي الله ورسوله بل جاءت بهذا التفصيل لمصارفها بعد ان ازالت اثار ركام الفكر الجاهلي وغرست في النفوس ان القتال في سبيل الله له اغراض نبيله يحقق السعاده للبشريه ويرفع عنها الالم ينبع من طاعه الله وابتغاء مرضاته ومن مشاعر حب البشريه الذي ينطلق منه المسلم في تحرير الارض والانسان لا الحقد والرغبه في الانتقام

ولهذا تاتي مصارف الجهاد لترسم للمومنين الخطوط الرئيسيه التي تضمن العدل الاجتماعي وتوفر الضمانات لحقوق الافراد والشعوب وتضع الوسائل التنفيذيه التي تحقق هذه الاهداف فذكرت الخمس الاول الذي ينفق في المصالح العامه وهذا فيه بيان دور الدوله برعايه المحتاجين بان تكفل لهم مصادر الدخل وتوفر الاعمال للعاطلين وتومن الافراد اجتماعيا حين يعجزون عن العمل وفقا لما يقرره الشرع من مسؤوليه الحاكم عن الضمان الاجتماعي لكل فرد لقول الرسول صلي الله عليه وسلم (انا اولي بالمومنين من انفسهم فمن ترك مالا فلورثته ومن ترك دينا اوصياما فعلي) فالدوله عليه واجب تعليم الاجيال واتاحه فرص الاعمال وتنظيم وسائل الترقيه الادبيه والروحيه والتدخل وقت الازمات

وعليها ان تجمع الزكاه ومالها من الغنائم وما تجمعه من ضرائب لتنفقه في صالح المجموع لتحقيق التوزان و التكافل عملا بسلطتها وكذلك فان رفع معاناه الايتام الذين فقدوا من يعولهم والمساكين والمسافر فتشعره ان المسلمين كلهم اهله والبلاد كلها بلده وهذا فيه بيان عداله الاسلام والتكافل الاجتماعي فشريعه الاسلام وحده متكامله لايمكن الفصل بينها

وتحقيق الخير للناس يتم عن طريق كل الوسائل المتعدده التي يجعلها الدين تكاليف شرعيه ولهذا قال تعالي (ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا علي عبدنا يوم الفرقان يوم التقي الجمعان والله علي كل شي قدير)

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

ان الاسلام يقرر العدل الاجتماعي ويجعله متميزا لانه. نابعا من العقيده مستفادا من الشعائر بما فيها الجهاد محققا عن طريق التربيه الخلقيه والتشريع التنطيمي معا وهذه ميزه عظيمه امتاز بها الاسلام كنظام اصلاحي واسع الشمول عميق الجذور

الامر الثاني

انه لابد من تحويل النظريات الي واقع حياه والا فلا قيمه للنظريات فمثلا من السهل ان تسمع من شخص قبيلي عندنا في اليمن ينادي بالمساواه بلسانه بان يقول انه لافرق بين ابيض او اسود لكن اذا تقدم احد المهمشين لطلب ابنته لن يقبل بذلك او حتي ابيض من طبقه تمارس حرفه الجزاره او الحلاقه للاسف الشديد فهل هذا مومن بفكره المساواه بنظرك؟

من الموكد انك حينها تعرف انه غير مومن بالفكره لماذا ؟ لان الايمان بالمبدا له امارات وعلامات تدل عليه فلا يكفي رفع الشعارات فمدلول الايمان لايكون مجرد قول باللسان فلابد من امتزاج النظريات بالتطبيق العملي والا فتبقي شعارات وفلسفه لاقيمه لها ولهذا علق الحق الاعتراف بايمان اهل بدر وهم قد بلغوا منزله عظيمه عند الله لكنه علق قبول ايمانهم هنا علي قبولهم ماشرعه لهم من امر الغنائم الوراد في الايه

فهذا الشرط الذي لايتحقق ايمانهم بالله ومانزل علي عبده من الوحي والمعجزات يوم الفرقان حتي يتم تحقيقه علي ارض الواقع وحتي يكون اهل بدر مومنين عنده لان مقتضي الايمان يعني الاذعان والتسليم لامر الله فمدلول الايمان واضح وجازم

المفهوم الثالث

يحرص الاسلام علي تحفيز المومن علي البذل والعطاء فالاسلام ليس مجرد نظريات فلسفيه فلابد من ممارسته عمليا ولهذا ياتي هذا الخطاب مقرون بجعل هذه التكاليف علامه الايمان (ان كنتم مومنين) اثناء الحديث عن تطبيق البرنامج العملي وهذا الاسلوب يعين المومن علي اتقان العمل اذ يناشده الايمان في التنفيذ كما يعين علي تثبيت العقيده حين يستشعر المرء انه يعمل في مجالات المومنين وفقا لاوامر رب العالمين

المفهوم الرابع

يضع الاسلام للمومن قاعده الفكر الرئيسيه التي ترتكز عليها النظريات التفصيليه التي افسح الاسلام المجال امام العلماء الاجتهاد في وضعها بشرط ان لاتخرج عن اصلها الاعتقادي (الايمان) فذلك هو اساس الفاعليه الايجابيه فلا يمكن ان يتوافق المومن مع المذاهب الماديه فكل نظريه تتنافر مع دائره الايمان الكبري فهي نظريه لايتاتي لها ان تنتظم مع جزئيات سلك حياه المومن لماذا

لانها قامت علي اساس كلي خاطي لايغني مع خطئها الاصيل ماتصيبه من توفيقات جزئيه ولهذا فان مدلولات الايمان واضحه وجازمه لاتقبل التاويل ولا الافتراضات فعقيده الاسلام هي الوسيطيه والا عتدال فلا يسمح لا بالغلو ولا بالتفريط.

المفهوم الخامس

ان القوه الظاهره للمعتقدات الدينيه انما تكون بتحويل المعتقد الي واقع حياه والا فما معني القوه الكامنه وراء

العقيده التي استقرت في النفس فاذا لم توجد هذه القدره وعندما يخفق اهل العلم وقاده الفكر في تحويل الافكار والمبادي والقيم الي حقيقه واقعيه فهذا يدل ان ايمانهم بها لم يكن حقيقه بل كان من قبيل المرواغه والرياء وان انتماهم الي جماعه المومنين لم يكن حقيقه بل اردوا تطويع الدين لمصالحهم الضيقه وهذا ما نشاهده اليوم من مواقف مراكز العلم التي يفترض انها لسان اهل الايمان ويفترض ان من يقبع علي مراكز الافتاء انه يمتلك قوه يستمدها من الايمان فما هو الحاصل لقد اصبحت القوه الظاهره للمعتقدات الدينيه في الواقع الراهن تخفي وراءها ضعفا قاتلا فقد طوعت علي نحو مثير للاعجاب كي تبرر الاشياء كما هي ففقدت قدرتها علي المبادره بالتغيير للاسف الشديد واتاحت المجال لدعاه الضلال ان يتطاول علي مبادي الاسلام وافسحت لهم المجال ليزرعوا السموم في عقول الشباب فاصبح انكار القيم والتطاول بالحديث المذموم عنها امر مستساغ لدي الكثيرون للاسف الشديد

المفهوم السادس

ان الايمان الحقيقي هو الذي يجعل صاحبه لايرضي ان يسلك طريق الدين بالجهاله وبالتالي فان المعرفه لاقيمه لها اذا لم تتحول الي واقع حياه وهذا الامر يحتاج الي التحرر من التعزز فالايمان بالله يعني ان تعتز بالله وتشعر بوجوده وبالتالي يكون الاعتماد علي الله والاياس من جميع المخلوقين من ان ينفعوا او يضروا او يعطوا او يمنعوا فالزام الله قلبك فانظر الي عاقبه الاشياء استفيد من تجربه بدر والايات التي انزلها تاييد لنبيه فان المومن الحقيقي هو الذي يغلق علي نفسه باب الطمع وان تهب نفسك لله وحده لاشريك له فهو نعم المولي ونعم النصير فاجعل نفسك كهئيه الاسير في اتباع مرضات الله فانت مملوك لاتملك فاستخرج العز وقطعه من قلبك باليأس من الناس وارجع الي الله وحده فان ذلك يودي الي طمئانينه القلب بذكر الله وزياده طاعته والوصول الي خاصيه عبادته فاعلم ان العبوديه لله منزله عظيمه فمن نزل الي درجه العبيد فقد اصاب شرف العبوديه ولهذا قال تعالي (وما انزلنا علي عبدنا يوم ا لفرقان يوم التقي الجمعان)

فقد ذكر ان الايمان بما انزل علي النبي من ايات ومعجزات ايده بها رغم ضعف المسلمين يوجب تنفيذ امر الله دون تردد وهذا فيه العز الحقيقي

ولهذا لم يقل وما انزلنا علي رسولنا ...وانما قال (علي عبدنا)

لتفهم ان عزك بطاعه الله تعالي عزك بالخضوع لله وشرفك بعبادته تعالي

فالعبوديه لله هي حقيقه الايمان وبها الشرف العز ولهذا ذكرهم بالعز الذي حصل للمومنين في معركه بدر فقال تعالي (يوم الفرقان يوم التقي الجمعان)

حيث كان هذا اليوم يوم الفرقان بين الايمان والكفر بين الحق والباطل فالله يقول في موضع اخر (ولله العزه ولرسوله وللمومنين)

ولهذا يامرهم الله ان ينظروا الي عواقب الامور ان كانوا مريدين للايمان صادقين ليغلقوا علي انفسهم باب الطمع وان يتعلقوا بالله وحده ولهذا يلفت انتباهم الي احسانه اليهم يوم بدر فقد نصرهم وهم قليل عندما التقي جمع المسلمين مع جمع الكفار وقد نصرهم الله تعالي مع قلتهم علي الكفار مع كثرتهم فهو تعالي القدير الذي لايعجزه شي ولهذا اختتم الايه (والله علي كل شي قدير)

ثانيا

تستمر سياق النصوص في استعراض انعام الله واحسانه علي عباده في بدر من خلال عرض جوانب من تدبير

الله تعالي وتقديره للامور لبيان ان العز بيد الله وانه السبيل لذلك بالاذعان والخضوع لامر الله تعالي

فقال تعالي (إذ انتم بالعدواه الدنيا وهم بالعدواه القصوي والركب أسفل منكم لو توعداتم لاختلفتم في المعياد لكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ")

الامر الاول

عليك ان تدرك ان كل شي يتم هو وفق تقدير وتدبير الله عزو جل ولهذا نجد ان الايه ترسم لنا موقع كل طرف في المعركه وابتدا بذكر موقع المومنين (اذ انتم بالعدواه الدنيا) انهم كانوا في طرف الودي الاقرب الي المدينه المنوره بينما المشركون كانوا (بالعدوة القصوي) اي بمكان ابعد من جهه المدينه واقرب من جهه مكه وان القافله التي خرجوا لاجلهاوهي بقياده ابوسفيان كانت (والركب اسفل منكم) اي في موضع اسفل منكم الي ساحل البحر اي في موضع يامنون علي متاعهم

حيث وان الايه تظهر لنا تصريف الله وتدبره وتقديره للامور كما يتضح من الاتي

1

تبين الايات ان كل فريق كان يستطيع العوده الي المكان الذي جاء منه فلا يوجد حائل يمنع المسلمين من العوده للمدينه فهم كانوا اقرب للمدينه من حيث الموقع الذي كانوا فيه وكذلك فان المشركين كانوا في مكان يمكنهم العوده من حيث جاوا خاصه وان العير الذي خرج المسلمين من اجله قد نجا ومع ذلك نفذت مشئيه الله بالتقاء الفريقين ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون)

/2

تبين الايات ان الاسباب الماديه ليست هو القوه التي يتم الاستعلاء بها بدليل ان الاسباب الماديه في بدر كانت مع المشركين فلو ان النصر بالاسباب الماديه فان اسباب النصر كان مع المشركين حيث ان حالهم كان يشير الي ان القوه والعدد والعده هي للمشركين فهم خرجوا مستعدين للقتال واعدادهم ثلاثه اضعاف المسلمين ومعهم الخيول والبعير وكانوا في ارض رمالها ثابته ولديهم الماء بينما المسلمون كان في موقف ضعف فهم لم يخرجوا للقتال وانما خرجوا لاجل القافله واعدداهم قليل والارض كانت رمليه يصعب الحركه والمشي فيها ولايوجد الماء

فالمسلمون كانوا في غايه الخوف والضعف بينما المشركون كانوا في قوه والمداد يستمر في المجي

ولهذا فان الغلبه بحسب الاحوال والظروف والاسباب الماديه كانت للمشركين ولكن الله تعالي حول الضعف الي قوه وجعل الغلبه للمسلمين فصار ذلك من اعظم المعجزات واقوي البينات علي صدق رسول الله

الامر الثاني

ان القادر علي النصر هو الله تعالي فمن اراد العز فعليه بطاعه الله والخضوع والاستسلام لله تعالي ولك اخي المسلم في حدث بدر خير دليل قف مع هذا الحدث العظيم بالدراسه والتحليل لما حدث فيها فسوف تجد ان مشئيه الله نفذت ونصر عبده وحقق وعده لعباده عندما وعدهم (اذ يعدكم الله احدي الطائفتين انها لكم ...الخ

فقد جعل الله قافله ابو سفيان تنجو من المسلمين وجعل الجمع بين المسلمين والمشركين علي غير المعتاد فلم يكن يقع الاتفاق بينهم لو لا

اراده الله فلو ان المسلمين عرفوا كثره المشركين لتاخروا ولخالف بعضهم بعضا لكن الله جمعهم في بدر ليقضي ماراد بقدرته من اعزاز الاسلام واذلال الشرك فكان امرا محققا لامحاله فقال تعالي (لو توعداتم لاختلفتم في المعياد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا)

المبحث الثاني

بعد امتنان الله علي عباده بان جمعهم هم والمشركين علي غير موعد مبينا ان ذلك التدبيرلاجل تحقيق قدره وقضاءه تعالي في نصره الحق واعزاز الاسلام وهزيمه الباطل واذلال المشركين يقول الحق بعدها (ليهلك من هلك عن بينه ويحي من حي عن بينةوان الله لسميع عليم)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

تهدف الايات الي بيان ان الجهاد هو لاجل تحرير الارض والانسان تحرير الارض من مظاهر الفساد باقامه نظام العدل الذي فيه منع الظلم والاستبداد واعاده الحقوق لاصحابها اي استبدل التخلف الناتجه عن القانونين الارضيه بخلق التقدم من خلال اخضاع العالم لشريعه دين الله

وكذلك تحرير الانسان بازاله العوائق والاغطيه التي تمنع قوي العقل من التفكر واعمال العقل بازاله اللبس الذي صنعه الطغاه لتزيف الوعي عن الانسان وكذلك تحطيم الاغلال والقيود التي وضعت علي الارداه الانسانيه فان ذلك يسترد به الانسان خصائصه التي ميزه الله بها العقل وحريه الاختيار ليجعل الانسان امام مسؤوليته عما يختار بعد ان منحه حريه الاختيار وهذه المسؤوليه فرع تلك الحريه ودليلها فقال تعالي

(ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة وان الله لسميع عليم)

فمهمه الجهادهي لاستنقاذ البشريه من الافساد وتحرير الانسان من كل القيود التي تنتقص من حريته وازاله اللبس عن عقله وليس ارغام الانسان علي دخول الاسلام فالاسلام جعل الايمان والتدين ثمره لقناعه الانسان ودليلا علي حريه اختياره واحترام ارادته وتحقيق كرامته ومخاطبه عقله لياتي الايمان اختيارا وليس اكراها واجبارا وعنتا ومصادره لاراده الانسان فالاكراه والسيطره والتسلط امر يناقض النبوه ويصادم الفطره فالله يقول في موضع اخر (وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد)

وهنا يقول الحق ان الجهاد لتحطم قوي الشر وسلطان الطاغوت واعلاء كلمه الله وهذا يظهر الحق بجلاء ووضوح ويصبح الانسان حر الاراده والاختيار فاذا اختار ان يكون مع الكفار فان ذلك اختيار منه لما فيه هلاكه وبالتالي فلا عذر له فقد اقيمت الحجه عليه فهو مسؤولا عن افعاله والله لايخفي عليه شي وكذلك فيه ان الواجب علي الامه استشعار مسؤوليتها وادراكها ابعاد رسالتها والقيام بدورها المتعلق بشهودها الحضاري فالله يقول في موضع اخر (لتكونوا شهداء علي الناس)

وهذا انما يكون بان تحمل الامه الخير للانسانيه والرحمه بالدعوه والجهاد لقطع الاعذار عن الناس وان يكون ذلك خالصا لوجه الله والاستعانه بالله فهو يسمع الدعاء ويعلم النوايا والاعمال فلابد ان تتحول امنيه هدف اعلاء كلمه الله الي عقيده تحيا عليها الشعوب وتموت عليها وهذا انما يكون بادراك الشعوب ان في اعلاء كلمه الله سعادتهم وهذا انما يكون بالدعوه الحسنه وبالجهاد لحمايه العقيده لان هنالك من سوف يتضرر من هذه الاهداف وسوف يحاول تزيف الوعي وتنفير الناس من هذه الاهداف ولهذا فاللازم التكرار والايضاح والدفاع عن هذا الهدف العظيم بتحطيم القيود وازاله اللبس حتي يدرك الناس ذلك وتصبح عقيده تحيا عليها الجماهير

وتموت عليها فايصال الخير للانسانيه بانقاذه من الجهل والهلاك الكفر مسؤوليه كل مسلم بان يكافح لاجل ذلك بالدعوه وبحمل السيف لرفع الظلم والمعاناه عن البشريه وان يكون مخلصا لله قاصدا بذلك وجه الله وابتغاء مرضاته ومتوكلا علي الله فاذا قمت بذلك فقد قطع علي الكفار الاعذار واقمت عليهم الحجه وعليك ان تدرك ان الله يسمع الدعاء ولايخفي عليه شي

الامر الثاني

ان معركه بدر كانت بتدبير الله وتقديره فاراد تعالي بهذا النصر الذي اعز الله به المسلمين مع قلتهم اظهار الحق واعزازه واذلال الباطل ودحضه فهي معركه الفرقان حيث ان اهل مكه كما سبق منا الايضاح في تاويل قوله تعالي (واذ قالوا اللّهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا ...الخ

كانوا يعتبرون انفسهم اهل البيت وانهم علي دين ابراهيم وانهم علي الحق ولهذا لما عرض احد حلفاء المشركين لقاده الشرك ان يمدهم بالرجال لقتال الرسول صلي الله عليه وسلم فقد رد المشركين فلعمري لئن كنا انما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم ولئن كناانما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لاحد بالله من طاقه)

ولهذا فقد علموا اثناء هذه المعركه انهم انما يقاتلون الله تعالي فقد تحطمت اسطوره قريش التي تم الترويج لها بين القبائل بان الله يحميهم وينصرهم لانهم من نسل ابراهيم ولانهم اهل البيت خاصه بعد واقعه الفيل والتي صارت عقيدة يومن بها قريش والقبائل كلها ولهذا سميت بدر بالفرقان فقد علموا انهم انما يقاتلون الله وان المسلمين اداه ستار قدره الله وتحقيق قضاءه فقد جمع الله المومنين مع المشركين في هذا المكان ليثبت للمومنين ان لهم ربا يتولي رعايتهم والذود عنهم متي ما اخلصوا وصبروا واخذوا بالاسباب فكانت الايات والمعجزات التي ايد الله به نبيه في بدر دليل واضح علي صدق الرسول صلي الله عليه وسلم ولهذا فان من يرفض الايمان فانه يورد نفسه في الهلاك لان الكفر هلاك وضياع ولهذا فهومسؤولا عن اختياره وافعاله وان من يومن فانه يعيش حياه حقيقيه لان الايمان نور للعيون والقلوب وجلاء للعقول والنفوس فيرزق البصيره والنور فيجد السعاده بينما يكون هلاك الكافر وتعاسته فكلا مسؤولا عن اعماله فقال تعالي (وان الله لسميع عليم)

مطلع علي الاعمال ويسمع الاقوال والدعاء ولايخفي عليه خافيه وسوف يجازي كلا بعمله فرعايه الله لاولياءه وهو يعلم من يستحق نصره

فقد تجلي الله لعباده بالكبرياء والعز بان استجاب لدعاءهم واستغاثتهم

وجعلهم يشاهدون اياته الباهره التي تبعث في النفس الانكسار لعزته والخضوع لكبريائه وخشوع القلب والجوراح له سبحانه ويذهب عنه الطيش لكن الناس انواع فهنالك من يعاند ويكابر وهذا يورد نفسه موارد الهلاك بعد مشاهده الاداله القاطعه واما المومن فانه تطمئن نفسه لربه ويستعين بالله بالدعاء ان يثبته علي الحق وان يهديه الي الصراط المستقيم ويذعن لربه خضوعا وخشوعا واذلال ومحبه وخوفا منه سبحانه وتعالي والله يسمع الدعاء ويعلم بمن هو اهلا لهذا التوفيق

المبحث الثالث

تمضي سياق النصوص في عرض انعام الله والطافه سبحانه وتعالي بعباده المومنين في هذه المعركه معركه الفرقان فقال تعالي (اذ يريكهم الله في منامك قليلا)

تتحدث الايه عن لطفه تعالي بهم حيث انه قبل المعركه راي النبي صلي الله عليه وسلم الكافرين في الرويا ان اعدادهم قليل فحكي النبي (ص)

ما راي لاصحابه في المنام وهذا ما ادي الي تشجيعهم علي القتال وتحمسهم لملاقاه الكفار بعدما بشرهم النبي صلي الله عليه وسلم بما راي في المنام

فهذا من تدبير الله وانعامه بعباده لان الله تعالي قد علم انهم كانوا في ضعف فهم لم يخرجوا لقتال قريش ولم يستعدوا لذلك ولم يتوقعوا ان تحدث المعركه في بدر فلقد خرجوا لاجل ملاقاه قافله ابوسفيان

ولهذا قال تعالي (ولو اراكهم كثيرا لفشلتم وتنازعتم)

علم انهم لو ادركوا ان اعداد المشركين ثلاثه اضعافهم لما خرجوا للقتال ولحصل الاختلاف بين موييد لملاقاه الكفار وبين معارض بحجه ان المعركه غير متكافئه ولهذا يقول الله بعدها (ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور)

فالايه تبين ان المسلمين كانوا في ضعف وهذه اول تجربه لهم وقلوبهم كانت تحتاج الي الطمانينه والسكينه فالله مطلع علي مافي نفوسهم من ضعف ولهذا كانت الروويا لاجل تقويه الارده والعزيمه والتثبيت ولهذا فان علم الله بما في الصدور جعل النبي عليه الصلاه والسلام يري في المنام ان اعداد المشركين قليلا وهذا ما ازاح الاختلاف والتنازع الذي كان يمكن ان يحدث لو ادركوا ان اعدادهم ثلاثه اضعاف المومنين

فاراد الحق ان تفهم ان ذلك من تدبير الله وقضاءه وانه تعالي تجلي لعباده بصفات السمع والبصر والعلم فاراد من عباده ان تنبعث فيهم قوه الحياء من الله تعالي قوه النفور من ان يراهم الله في عمل يغضبه او يسمع منهم ما يكره الله فاراد بهذا ان تكون حركاتهم وافعالهم واقوالهم كلها موزونه بميزان الشرع فلا يخفي العبد في سريرته ما يمقته ربه عليه

وكذلك اراد الحق ان تعتمد علي الله وتتوكل عليه سبحانه وتعالي فكل شي من تدبيره ووفقا لمشئيته وقضاءه وقدره ولهذا يقول تعالي

(واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والي الله ترجع الامور)

تبين الايات ان من مظاهر تجلي الله لاولياءه بالنصر والتاييد والكفايه والحمايه ودفع المصائب عنهم ومعيته الخاصه لهم في هذه المعركه هو انه تعالي هيا الظروف لتحقيق النصر بان اغري الطرفين علي القتال حيث جعل المسلمين يرون المشركين قليل من حيث العدد في بدايه المعركه فادي هذا الي الاقدام علي القتال وهذا في بدايه المعركه اما اثناءها فقد اخبرنا الله في موضع اخر ان تدبيره جعل الاعين تري مضاعفه اعداد المسلمين فقال تعالي في سوره ال عمران (لقد كان لكم ايه في فئتين التقتا .....يرونهم مثليهم ري العين ...الخ فلا تعارض بين النصوص وكما اوضحنا ذلك في سوره ال عمران تفصيلا ...المهم هنا يبين الحق سبحانه وتعالي انه كان مع المومنين فجعلهم في بدايه المعركه يرون المشركين قليل وكذلك جعل المشركين في بدايه المعركه يرون المسلمين اقل مما هم في الحقيقه وهو ما ادي الي تهئيه الظروف النفسيه للمسلمين بما يدفعهم للقتال فاراد الله بهذا الاغراء تحقيق قضاءه الذي فيه اعزاز المسلمين وهزيمه الكفار فقد سهل الامور وهيا وسائل النصر ليتم امره سبحانه وتعالي وقضاءه وحده لاشريك له فعواقب الامور والاسباب والمسببات ومصائر الاعمال كلها ترجع الي الله تعالي

القسم الثاني

تنتقل الايات الي مناداه المومنين بالثبات في ساحه القتال وذكر الله تعالي في المعركه والانتباه من اسباب

الهزيمه الناتج عن التنازع والاختلاف ويامرهم بالصبر وتجنب افعال الكفار من الرياء والكبر والتفاخر والانتباه من الوقوع في مصايد الشيطان ويامرهم بالاعتماد علي الله والتوكل عليه

فقال تعالي (يايها الذين امنوا اذا لقيتم فئه فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص علي عقبيه وقال اني بريئ منكم اني اري ما لاترون اني اخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هولاء دينهم ومن يتوكل علي الله فان الله عزيز حكيم)

المقدمه:

انه من خلال التامل وامعان النظر في الايات نجد انها تحتوي توجيهات للجماعه المومنه بهذا النداء والخطاب (يايها الذين امنوا) بعد استعراض احداث بدر لان المرحله تمثل تحول وانتقال الجماعه من عصابه الي دوله وهذا يمثل نقله هائله في حياه الجماعه المومنه حيث لم يكن العرب يعرفون اسس الدول ولا يقبلون الخضوع الا للقبيله والدوله تحتاج الي جيش وعقيده عسكريه واعداد وتاهيل وتدريب وخبرات ومهارات بحيث يكون جيش محترف ولهذا كان هذا الخطاب للمومنين بعد ان اذن لهم في القتال بدء بسريه عبد الله بن جحش وبعد احداث بدر باعتبارهم الطليعه التي يعتمد عليها في بناء الدوله وحراسه اهداف الثوره والانتقال من عهد العصابه الي عهد الدوله

ولهذا كان الخطاب بحرفي النداء والتنبيه (يايهاالذين امنوا) وهذا فيه اظهار كمال الاعتناء بمضمون ما بعدها من الوصايا التي تضمنها النداءلانهم كانوا بحاجه الي تعليم رباني بكيفيه القتال وشروطه يعلمهم كيف يخوضون المعارك والطريق الموصول الي الانتصار ولهذا جعل طريق تعريف المنادي طريق الموصوليه (الذين امنوا) باعتبارهم التنظيم الايماني الذي لديه الاستعداد لامتثال ما يامرهم به تعالي فهذه الصفه تربطهم به وهم المكلفون بحمايه الدين وحراسته وهم بحاجه الي معرفه شروط القتال واسسه وقواعده ولهذا تضمنت الايات الاربع تعاليم القتال

فابتدات الايه باول توجيه :

(اذا لقيتم فئه فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)

الامر الاول

ان القتال لايكون الا لدفع عدوان او لتحرير الانسان من الظلم والاستبداد

ومنع حرمانه من حريه التفكير فالمومن لايقاتل الا الكفار المحاربين لله ولرسوله ولدينه او البغاه ولهذا يقول الحق (اذا لقيتم فئه)

فذكر ان القتال انما يكون عند حصول اللقاء في ساحه القتال مع فئه اي جماعه محاربه مقاتله تقف ضد الحق او تعتدي عليه او تمارس الظلم والاستبداد وتمنع العباد من الحق ومن اختيار ه لمايريد من معتقد فعليكم ان تثبتوا في المعركه ولهذا ترك وصف الفئه ايجاز لان المومنين لايلقون الا الكفار والمراد بهذا الفئه الكافره فالخطاب تضمن ايجاز بحذف اسم الفئه الكافره لان المومنون مكلفون بحمايه الدين وحراسته فهم لايلقون الا الكفار المحاربون للحق فكان الحذف للايجاز من غير اخلال بالمعني لان المومنون لايقاتلون الا الكفار

او البغاه

الامر الثاني

يخاطب الله المومنون باعتبارهم التنظيم الايماني الذين يهمهم امر الدين وانتشاره وباعتبارهم الطليعه التي تقوم بحمايته وحراسته وتسعي الي تحقيق الاهداف علي ارض الواقع فايمانها لم يعد مجرد امنيه بل تحول الي عقيده تحيا وتموت عليها ولهذا يعلمهم الله كيف يخوضون المعارك وينتصرون فيها فابتدا بالامر بالثبات في وجه العدو والثبات ضد الاهتزاز والاضطراب والترنح وعدم الاستقرار واللقاء بمعني المقابله والمراد بهذا بالثبات و الصمود عند مواجهه العدو وقتالهم فكان الامر بالثبات حث المومن علي الوقوف بثبات حتي يكون كالجبل الشامخ الذي يصمد في مواجهه العواصف ولا يترنح وسبقه النهي عن الفرار عند ملاقاه الكفار فالتقي الامر والنهي علي سواء لاجل التاكيد علي الوقوف للعدو والتجلد له اي اثبتوا ولاتنهزموا ولهذا فلاتناقض بين وجوب الثبات علي كل حال وماذكر من التحرف والتحيز الي فئه فلا يقدح ذلك في حصول الثبات في المحاربه لان الثبات في هذا المقصود لايحصل الا بالتحرف للقتال والتحيز لفئه وانه لحصول ذلك عليكم الاكثار من ذكر الله في ساحه القتال فهو يساعد علي الثبات في وجه الاعداء والوصول الي الفلاح والنجاح والفوز

المساله الاولي

ما العلاقه بين الثبات والذكر هنا ؟

لان حال الكثيرون ممن يعرفون شريعه الله وامره ومن يرون انهم متبعون للشريعه وللعباده لديهم نقص في ايمانهم من جانب الاستعانه والتوكل فهم اما عاجزون واما فيهم افراط وهم مغلوبون امام عدوهم الباطني او الخارجي ويكثر فيهم الجزع مما يصيبه والحزن لما يفوته برغم انه متابع لامر الله ونهيه ومخلص ويتبع شريعه الله لكنه لايعرف القضاء والقدر وهو حسن القصد طالب للحق لكنه غير عارف بالسبيل الموصوله والطريق المفضيه الي الله ولهذا جاء النداء بطريق الموصوليه (يايها الذين امنوا) يدعوهم الحق الي الثبات في ساحه القتال بعد استعراض احداث بدر والتي فيها تجلي الله لهم بتاييده ونصره لاولياءه ودفع المصائب عنهم فاراد ان يشعروا بتجلي الله عليهم بتقديره وتدبيره وبمعيته الخاصه لاجل ان تنبعث منهم قوه التوكل وطلب الاستعانه بالله فلا فزع ولاجبن ولاخوف من مواجهه الاعداء فعليكم الثقه بالله واثبتوا في ساحه المعركه فليست الكثره هي التي تكفل النصر ولا العده الماديه هي التي تقرر نتيجه المعركه فاللازم ان تاخذوا بالاسباب وان تثبتوا في وجه العدو وعليكم ان تتزودوا بزاد النصر عليكم الاستعانه بالله باستحضار قوته يجعل العبد قوي العزيمه لانه يتصل بمصدر القوه فلايبالي بالاعداءلانك تلجاء الي القادر علي تحقيق النصر فالثبات والذكر هما السببان المعنويان للفوز والظفر ولهذا قال تعالي تعقيبا علي ذلك (لعلكم تفلحون) الرجاء منوط الامرين فهو القادر ان ينيلكم ما تطلبون ويجنبكم ما تحذرون

المساله الثانيه

ان هذا النداء فيه الارشاد الي القوه المعنويه للحق التي هي سبب النصر والظفر فقال تعالي (يايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)

بان الثبات والاستعانه بالاكثار من ذكر الله في ساحه القتال هما السبيل لهذه القوه المعنويه حيث يكون الرجاء من الله تعالي الظفر والنجاح فالمومن يطلب احدي الحسنين اما النصر او الشهاده وقد ورد ان الرسول صلي الله عليه وسلم قال (يايها الناس لاتتمنوا لقاء العدو وسالوا الله العافيه فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الحنه تحت ظلال السيوف ثم قام النبي (ص) وقال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم)

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

ان ذكر الله الكثير في كل الاحوال حتي في ساحه القتال من اسباب النصر لانك تستعين بالقوي العزيز الذي لا يغلب وبالتالي فلا تخاف قوه الاعداء لانك تنظر ان الله معك ويقف في صفك فما الذي تخافه اذا ولهذا تقوي العزيمه والارداه والهمه لانك تشعر انك تتصل بمصدر القوه الذي اذا وقف معك فانه لاتوجد قوه في الارض قادره علي هزيمتك

المفهوم الثاني

ان الذكر الكثير في مواطن الحرب من اعظم وسائل النصر لان المومن متي استحضر عظمه الله في قلبه لاتهوله قوه الاعداء ولاتخيفه كثرتهم

فامر بالذكر عند فزع القلوب لان ذكره يعين علي الثبات من الشدائد

وامر بالذكر لاجل تثبيت القلب علي اليقين وتثبيت اللسان علي الذكر كما قال اصحاب طالوت (ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدمنا وانصرنا علي القوم الكافرين)

وهذه الحاله لاتكون الا عن قوه المعرفه ونفاذ البصيره وهي الشجاعه المحموده فكان مناسبا مجي الايات بهذا الامر بعد استعراض تدبير الله وتقديره وتجليات صفات الحمايه والكفايه لاولياءه

المفهوم الثالث

ان االلازم علي العبد ان اراد الفلاح ان لايفتر عن ذكر ربه فعليه ان يوطن نفسه ولسانه وقلبه علي مدوامه ذكر الله في كل الاوقات فالله يامر عباده بذكره وقت الالتحام والقتال واخبرنا ان الذين لايذكرون الله كثيرا اثناء القتال لايفلحون ولاينتصرون فالثبات وذكر الله هو السلاح الروحي الفعال الذي يوفر الاسباب المعنويه للنصر

فالمسلم لاينسي خالقه ابدا فهو يذكر ربه في كل الاوقات لان المحب لايفتر عن ذكر محبوبه فاستقرار قوه المحبه الصادقه لله في النفس المومنه تولد فيها قوه الصبر والثبات في ساحه القتال فلا يعرفون الضعف والهون والانكسار لانهم يتصلون بمصدر القوه التي لاتغلب وفي نفس الوقت يستحضر حقيقه المعركه وانه خرج لله وقد باع نفسه لخالقه ببذلها في سبيل اعلاء كلمه الله ولهذا فلاييالي بقوه الاعداء مهما كانت

التوجية الثاني

(واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)

الامر الاول

ان المتامل للايه يجد انها تميم في الوصيه السابقه لان البعض يغلب عليه قصد الاستعانه بالله والتوكل عليه واظهار الفقر والفاقه بين يديه والخضوع لقضاءه وقدره لكن يكون منقوصا من جانب العباده واخلاص الدين لله فلا يكون مقصوده ان يكون الدين كله لله وان ان مقصوده ذلك فلا يكن متبعا لشريعه الله تعالي ومنهاجه ولهذا يقول تعالي (واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

ولهذا جاء التميم في الوصيه بان الجهاد والاستعانه والتوكل علي الله لاينتفع بها الا مع التمسك بسائر الطاعات لان الفلاح والنجاح انما يكون لمن عبد الله واستعان به فالوصول الي معيه الله واعانته انما تكون لمن طلب عباده الله وطاعته واستعان به تعالي وتوكل عليه فاعانهم الله عبادته وطاعته وامدهم بالنصر والظفر

الامر الثاني

ان الاجتماع علي كلمه التوحيد والسنه اي الاعتصام بكتاب الله وسنه رسوله والاستعانه بالله والتوكل علي الله من اعظم اسباب القوه والنصر علي الاعداء ولهذا فقد كان الرعيل الاول من المومنين قبل الدخول في الحرب يخاطبون المقاتلين بان كل من ظلم احد من المسلمين ان يرد المظلمه او لايشارك في القتال كان كلا منهم يسامح الاخر بحقه قبل القتال لان المظالم من اسباب الانكسار وكذلك كانوا يجددون التوبه لان المعاصي من اسباب حبس النصر وتاخيره

فامتثال امر الله والاقتداء بسنه الرسول صلي الله عليه وسلم من اهم عناصر القوه والنصر في المعركه وقد ذكر ت الرويات ان المسلمون في احدي معارك وجدوا ان هنالك تاخير في النصر فبدوا يتسالون عن جوانب التقصير فيهم بدوا يفتشون عن المعاصي والذنوب والمخالفات التي يعتقدون انها هي سبب التاخير في اعانه الله لهم بالنصر هكذا هي عقيده المومن ثم وجدوا انهم تهاونوا في سنه السواك فبادروا الي اخذ عيدان السلوك من شجره الارك وكان منهم جميعا تنطيف الاسنان في تلك الساعه التي صادف ان عيون العدو شاهدوهم وهم في تلك الحاله فرجعوا الي قومهم مذعورين مما شاهدوا وقالوا لهم ان المسلمين يقومون بصقل اسنانهم تصوروا انهم يفعلون ذلك لاجل ان ياكلوهم فكان ذلك سببا لنصر المسلمين وهذا يدل ان اعظم سلاح في ميادين القتال هو ذكر الله وطاعته وامتثال امره والاعتصام. بسنه نبيه

الامر الثالث

ان الذي وصل التصديق الي قلبه حقيقه اي الايمان بالله ورسله وكتبه ...الخ اركان الايمان السته

فهو الذي يلزم منهج الله بالعمل بحكمه في الامر والنهي والخوف والرجاء لوعده ووعيده والايمان بكل مافيه والتزام العلم والعمل الذي امر الله به وتضمنته الكتاب والسنه فاذا اتيت ذلك فقد خرجت من الظلمات الي نور العلم ومن عذاب الشك الي روح اليقين فالقران والسنه هاديان الي الله ومزكيان للروح والنفس فالله يقول في موضع اخر (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) وقال الرسول صلي الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنه الخلفاا ء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ) وقد ورد عن العرباض بن ساريه رضي الله عنه قال صلي بنا الرسول (ص) الصبح ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظه بليغه ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب

فقال قائل يارسول الله كان هذه موعظه مودع. فماذا تعهد الينا فقال الرسول (ص) :(اوصيكم بتقوي الله والسمع والطاعه وان كان الامير عبدا حبشيا وان من يعيش منكم فسيري اختلافا كثيرا بسنتي وسنه الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور وان كل محدثه بدعه وكل بدعه ضلاله) المراد بالعض كنايه عن شده التمسك بها والجد في لزومها كفعل من امسك الشي بنواجذه وعض عليه لئلا ينزع منه

ولهذا فان الحرب تتطلب الطاعه بالتزام كتاب الله وسنه رسوله وكذلك يجب طاعه القياده فلا يجوز الخروج عن الطاعه فشرط العمل الجماعي موافقه الشرع وان يكون احترام القياده لان عدم وجود قياده يعني الفوضي وتغليب المصلحه الحاليه علي المصلحه ذات الاثر الممتد تعني عدم الاعتراف بالتخطيط وعدم احترام الهيكل

التنظيمي الذي هو مهم ولهذا تعجز الاداره عن اصدار الاوامر وعن القيام باصلاح الخلل ولهذا فان الايه تبين الاتي

المفهوم الاول

اهميه سياده الشرع وانضباط الناس لمافيه فلا يجوز الخروج عن احكام القانون فالجميع سواء امام الشرع والقانون

المفهوم الثاني

ان اللازم احترام القياده والهيكل التنظيمي واحترام الامور الصادره عنهم

فوجود الهيكل االتنظيمي امر في غايه الاهميه لان غيابه يعني الفوضي ونشوء الازمات لانه لايتم تحديد صلاحيات كل جهه ولايعرف مسؤوليه كل فريق وان من يرجع كل فريق في اتخاذ القرارت فتتعارض التعليمات ويكون ذلك مدخلا للازمات ولهذا جاء الامر بطاعه القياده

الامر الرابع

يامرهم بالطاعه ثم بامرهم بالوحده ويحذرهم من الانقسام والاختلاف في مواجهه الاعداء لان التنازع سواء قبل المعركه او في بدايتها او اثناء خوضها من اسباب الهزيمه وزوال القوه والدوله والفشل والاخفاق وضيع الهيبه فقال تعالي (ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

والتنازع ينشا عن الاختلاف في الراي وهو يسبب التخلف فكلا من الاختلاف والتخلف سببا للاخر

فالاختلاف يسبب الضعف والجبن وذهاب القوه ولهذا جاء التفريع بالفاء

(فتفشلوا وتذهب ريحكم)

فحذرهم من الفشل وذهاب الريح وقد ذهب البعض الي القول ان معني

(وتذهب ريحكم) بانه يعني نخل العزائم وتفريق القوه ورفع ما وعدهم الله من النصر

وقال البعض يقصد به القوه ...وقال البعض ذهاب دولتكم

والحقيقه ان الايه تعني بذهاب الريح جميع ما ذكره المفسرون. لان التنازع والاختلاف ينتج عنه ذهاب القوه و الدوله والهيبه ويرفع عنهم النصر فالايه تهدف لبيان الاتي

المفهوم الاول

التحذير من سلوك الطائشين والضالين المتعصبين الذين لايدركون ابعاد المصلحه العامه التي ينبغي السعي الي تحقيقها حيث وان الطائشين غالبا ما يندفعون بقوه ممزقه اي بخيوط انعزاليه مازلت تشدهم الي الخلف مما يصعب عليهم فك الارتباط بالماضي ولهذا فهم يتحركون بحماقه تدعوا الي اداره الظهر لكل تعاون ولا يساعدون في البناء وهذا امر طبيعي يحدث عاده في كل المجتمعات وفي كل الاوقات حيث لايخلو شعب من شعوب الارض من دعاه تفرقه ومستغلي صراع فدعاه التفرقه ومستغلي الصراع لايقبلون اتحاد الكلمه ولايقبلون التجمع الذي يضع المصلحه العامه فوق المصالح الشخصيه خوفا علي امتيازاتهم الذاتيه التي تذوب وتنصهر داخل هذا التجمع الكبير الذي يحدد الاهداف العامه ويلتزم العمل علي تحقيقها ولهذا فان الاختلاف يودي الي

قتل المواهب والابداع حيث ينخل العزائم وبالتالي تعطيل الكثير من الطاقات في المجتمع وهو في حاجه اليهاوتحريك هذه الطاقات المعطله يحتاج الي قوه تحريك وهذا انما يكون بخلق الشعور بوجود مصلحه مشتركه يجتمعون حولها تمثل امنيتهم وهذه المصلحه هي المصلحه العامه التي تمثل امنيه الشعب والهدف الذي يجتمعون حولها وتجسد اردتهم وامنيتهم.لان فيها التقدم والتطور للامه وهذا لايكون الا بالتخلص من التخلف والاختلاف فالتخلف يسبب المجتمع بالسطحيه ويحصره بالمزيدات فيقتل فرص الاتفاق ويعمق جذور الاختلاف والاختلاف يصيب المجتمع بالصراعات الشخصيه فيتقل فرص الوحده ويعمق جذور التخلف فكلا منهما يمثل نهايته بدايه للاخر انها دائره ولهذا لابد من ان نقطع هذا الخط الدائري لنصنع لانفسنا خطا مستقيما لتعرف نقطه البدايه التي يمكن ان تصل بنا بنجاح الي حسم القضيه في النهايه ولهذا جاء قبل النهي عن التنازع الامر بطاعه الله والرسول فقال تعالي (واطيعوا الله والرسول) لترغيب الناس بالمشروع الذي يامرهم بالنضال و الكفاح لاجله ببيان انه مستلهم من كتاب الله ورسوله وليس من الاهواء وان االقياده لاتطمع بزعامه ولاتسعي الي عرش ولاتتطلع الي استبداد الشعوب بل تسعي لتنفيذ امر الله فهي تعبر عن ارداه الامه و وهو مايتيح الفرصه لابراز المواهب وتقويه العزائم بالشعور ان تماسك الكيان يمثل مصلحتنا جميعا فتدفع كل فرد الي المساهمه في صناعه الارداه الاسلاميه لانه كلما كان الكيان كبيرا وقويا كلما كان حجم الفاعليه اكبر وحجم التاثير اكثر وهو مرهون بالوحده وعدم الاختلاف وهذا يودي الي تحريك الطاقات والاستفاده من المورد المهمله سوي البشريه او الماديه وهذا لايكون الا بالتحرر من الانطواء والانكماش في الذات المتخلفين في النفس حيث يشترك الجميع. في تجسيد امنيه الامه بالعمل بهدوء وصبر والتعبير عنها بالارداه التي تنصهر فيها جميع الاردات في ارداه واحده تسعي الي خلق الكيان الموحد الكبير فالوحده حينها تصبح طموح المجاهدين التي تدفعهم الي الصبر لاجل الوصول الي الهدف لان حجم الكيان هو الذي يحدد حجم الفعاليه الدوليه التي يتوقف عليها التاثير النهائي

المفهوم الثاني

فالمراد بهذا ان علي الجميع ان يشعر بقوميه الخطر اي ان خطر الاعداء يمثل خطرا علي الجميع فاللازم تقديم المصلحه العامه علي المصلحه الشخصيه فالعدو الاسرائيلي اليوم يعتمد علي تفريق الامه وابتعادها عن منهج الله لاجل الحاق الهزيمه بالعرب والمسلمين فلو ان المسلمين شعروا ان الخطر الذي يهدد اهلنا في فلسطين هو خطر يهدد الامه كلها فان النصر لابد ان يكون حليف المومنين لكن حال الامه ان كل واحد ينظر الي مصالحه الشخصيه وبعضهم ينظر الي من زوايه ضيقه اي مصلحه بلده

ولهذا ساد المجتمعات الاسلاميه اليوم الخصام والجدل والاختلاف المفضي الي الفشل والضعف امام اجبن خلق الله وهذا ما حذرنا الله منه فهو سبحانه لم يحذرنا من قوه الاعداء واسلحتهم لان الله مع اولياءه ولكن حذرهم من انفسهم اذا حصل الاختلاف والتنازع فان ذلك سبب الفشل فلن تنتصر امه علي اعدائها الا باتحاد الكلمه والصبر علي الشده

فلا يكون الاختلاف اثناء الحرب مع العدو حتي وان كان الراي الذي انت عليه هو الصحيح لان ذلك ان حصل سيكون سببا للفشل فانظر الي هلاك الدول تجد ان سببه انقسام الجبهه الداخليه فخطر ذلك كبير لانه يهدم كل ما تم بناءه

فعليك ان تفهم ان الوصول الي النصر الذي هو وعد الله يحتاج الي بذل الجهد والي الوحده فهو محصله للمعاناه وكذلك فان الوحده ليست مجرد نظريات ترفع شعارتها كما هو حال الامه اليوم وليست احساس عاطفي تثيره امجاد الماضي وذكرياته يثيرها التطلع والطموح لمستقبل افضل

فليس الامر كذلك فالنصر يكون بدحر العدو بالاتصال بالله والوحده والتماسك فلا تمكن العدو من الانفراد

بجبهه واحده ليتفرغ بعد ذلك للاخري كما فعل اليوم بغزه وكان يظهر انه لن يهجم علي لبنان وكما يحاول ان يصور لبقيه الدول العربيه فاعلم انه سوف يلجا بكل الوسائل الي قهر الارداه العربيه كلها في النهايه علي مسمع ومراي من العالم كله

لقد شاهدنا حال المسلمين اليوم نتيجه التمزق منذو انهيار دوله الخلافه الاسلاميه وانقسام المسلمين الي دويلات حيث نجد ان الغرب والصهيونيه العالميه يحاولون قهر الامه والهيمنه علي مقدراتها وكان لهم ذلك فاتحاد الكلمه هي اداه النصر ان اراد العرب اليوم الوصول الي النصر الذي وعدهم الله انما يكون في اتحاد الكلمه علي التوحيد وطاعه الله ورسوله وهذا الامر يحتاج الي كفاح ونضال وتحمل المشقه

ولهذا ياتي السياق بجمله التذييل (واصبروا ان الله مع الصابرين)

لان كمال امر الجهاد مبني علي الصبر فالصبر قوه تحمل المكاره والشدائد والمتاعب فجاء بجمله (ان الله مع الصابرين) قائمه مقام التعليل للامر واصبروا لان حرف التاكيد (ان)في مثل هذا قائم مقام التفريع بالفاء

فمن كان الله معه فهو المنتصر لامحاله ولهذا يقول اصبروا علي الحرب وشدته واصبروا علي قمع مافي انفسكم من اهواء قد تحملكم علي التنازع فالايات ترسم للمومنين في كل زمان ومكان الطريق للنصر فقد جاء الامر بالثبات والاكثار من ذكر الله ثم الامر بالطاعه لله ورسوله حتي يدخل المومنين المعركه ونفوسهم صافيه لامكان فيها للتنازع والاختلاف المودي الي الفشل ويامرهم بالصبر في كل المواطن فذلك اساس الوصول الي الامال والاهداف والغايات فالله مع الصابرين فهذه هي اسس الجهاد وشروط الوصول الي النصر

التوجيه الثالث

(ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط

بالوقوف علي الايه نجد الاتي

الامر الاول

بعد ان بين الله للمومنين الامور التي يجب عليهم الالتزام بها للوصول للنصر من /الثبات /الاكثار من ذكر الله /طاعه الله ورسوله/الوحده وعدم التنازع /الصبر فالله مع الصابرين فهذه الاعمال جرت سنته ان تكون سبب الظفر في القتال

تنتقل الايات الي دعوه المومنين تجنب الصفات الرديئه والقبيحه التي اتصف بها الكفار من التفاخر والكبر وطلب الشهره في الخروج للقتال ومحاوله منع وصول الحق الي الناس والمراد بهذا التنفير من ذلك السلوك فكان تصويره في ابشع صوره لمجي النهي عن البطر (الكبر لقول الرسول الكبر بطر الحق وغمط الناس) والرياء بطريقه النهي عن التشبه بالمشركين ادماجا للتشنيع بالمشركين وتكريها للمسلمين لتلك الاحوال لان النهي عن التشبه باحوال اناس مذمومين اقوي تاثيرا من مجرد النهي

فاراد بهذا ان يفك المومنين الارتباط بالماضي من خلال هذا النهي بصيغه التشبيه لان المشركين كانوا اذا خرجوا للقتال فانهم يتفاخرون ويخرجون لاجل كبرياءهم وعزتهم الموهمه ليس لهم اهداف نبيله للقتال

غير الانتقام للذوات ولهذا لاينظرون اين موقع الحق بل يدفعهم العناد علي القتال سواء كانوا علي الحق او

الباطل فهذه الصفات التي كانوا مجبولين عليها ولهذا وصفهم بالمصدر لبيان ذلك وللمبالغه في تمكن صفه البطر والرئاء فيهم وذكر البطر والرئا بصيغه الاسم وذكر الصد عن سبيل الله بصيغه الفعل لانهم كانوامجبولين علي البطر والمفاخره والعجب اما الصد عن سبيل الله فحصل في زمان الذي بعث فيه الرسول صلي الله عليه وسلم فوصفهم بالمصدر للمبالغه في تمكن الصفه فيهم

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

ان المؤمن متميز في سلوكه فلايقبل ان يقلد الكفار في سلوكهم القبيح فاخلاق المؤمن مستمده من القران و السنه النبوه ولهذا فالمؤمن متواضع

وخروجه للقتال ليس لغرض الانتقام او بدافع شخصي بل في سبيل اعلاء كلمه الله دافعه طلب مرضات الله فهو يعلم انه لاينجيه من ربه الا الصدق والاخلاص لايريد ان يشتهر بانه مقاتل شجاع ولايريد ان يقال عنه انه صنديد ولاينتقم لنفسه بل يريد ارضاء الله ليسعد في دار الخلود بعد وفاته فهو يريد اما النصر او الشهاده فقد باع نفسه وماله لربه عندما سمعه يقول (ان الله اشتري من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنه)

المفهوم الثاني

المسلم متواضع ومخلص في هدفه فشرف المومن هو تواضعه وانكساره امام ربه قال محمد بن واسع (ان ذليل الدنيا خير من ذليل الاخره)

ولهذا يهدد الله المتكبرين الذين خرجوا لاجل التفاخر والرياء والوقوف في وجه الحق فقال تعالي (والله بما يعملون محيط)

والتهديد للبقيه الذين لم يقتلوا ولكل من اتصف بهذه الصفات الي قيام الساعه بانه تعالي عالم بما في النفوس وباعمالهم وهو سوف يجازيهم باعمالهم

المفهوم الثالث

ينبغي علي المسلم ان يقف حيث يري الحق فلا يسمح للعناد والكبر والذات ان يدفعه الي الوقوف ضد الحق فمعركه المسلم في حياته كلها حتي في الخصام البسيط الناتج عن التعامل مع الاخرين يتطلب ان يلتزم المومن الحق

فعليك ان تتواضع للحق والخضوع له فهذا هو شان الصحابه رضوان الله عليهم كانوا اذا عرفوا الحق سارعوا اليه واذا كشفوا الباطل في نفوسهم تنكروا له وعدلوا عنه وقد وقع لعمر وبن عبيد انه قال في مساله رايا فاخطا فيه فناقشه واصل بن عطا فتبين لعمرو بن عبيد خطاه في تلك المساله فرجع الي الحق قائلا:مابيني وبين الحق من عدواه

وكم نحن اليوم بحاجه الي التواضع للحق فمنشا الاختلاف الذي حذرت الايه عنه في الايه السابقه غالبا ما يعود الي الاختلاف الناتج عن التعصب للراي وعدم الاستعداد للفهم نتيجه التعصب فالاختلاف في الراي لاتخلوا منه المجتمعات بل يوجد داخل الاسره الواحده فهذا شي طبيعي لتفاوت فهم الناس لكن ينبغي ان ينحصر في المناقشه لغرض الاقناع والاقتناع لا جل اظهار الحقيقه لا لاجل اظهار قوه الجدل

كما هو حال اهل الكفار فالتنازع من دعائم الكفر

ولهذا فان النقاش في الاسلام والحوار ينبع من الرغبه في البحث عن الحقيقه الصادقه في محاوله اكتشافها. وهذه الرغبه محاطه بالتواضع للحق بحيث تجعل صاحبها قادرا علي الاعتراف بها وعدم المكابره فالمسلم اذا استبان له الحق تواضع له وخضع واذعن للحق وقد حكي ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب قصه عن احد سادات اهل البصره وعلماءها وقد كان قاضيا ان تلميذه ساله وهو في جنازه عن مساله فغلظ عليه فيها فرد عليه التلميذ اصلحك الله القول فيها كذا وكذا فاطرق ساعه ثم رفع راسه فقال اذا ارجع وانا صاغر لان اكون ذنبا في الحق احب الي من ان اكون راسا في الباطل

وجاء في ذات الكتاب عن احمد بن حنبل انه سمع سفيان بن عينيه يقول قال رجل لمالك بن مغول اتق الله فوضع خده علي الارض رحمه الله

ولهذا فالمسلم لايقف في وجه الحق بل يبادر الي المسارعه للاذعان والخضوع للحق لانه يعلم ان الذي يقف ضد الحق مهزوم

الامر الثاني

تحذر الايه المومنين من اشر الشر الذي لاخير فيه ولاقوام لخير معه انه الكبر هذا الداء الناتج عن الاعجاب بالنفس حيث ان المتكبر يرفع نفسه فوق الناس كما قال تعالي عن ابليس (قال انا خير منه)

ولهذا جاء التحذير في الايه (ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئا ء الناس ويصدون عن سبيل الله والله محيط بما يعملون و اذ زين لهم الشيطان اعمالهم)

الايه هنا تخاطب المومنين بعدم التشبه بالكفار تحذرهم من عدواي الكبر والغرور واحقاد الجاهليه وعصبيتها لانها المنافخ التي ينفخ من خلالها ابليس سمومه ليخدع من يستجيب لنداءه فيوقع بهم حتي اذا انقادوا له

وتكبروا وتفاخروا فقدحت عصبيه الجاهليه فيهم نيرانها واعمت ابصارهم قادهم الشيطان الي الهلاك وفر هاربا وتخلي عنهم فهدفه ان يخدعهم فقال تعالي(ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله محيط بما يعملون.واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص علي عقبيه وقال اني بري منكم اني اري ما لاترون اني اخاف الله والله شديد العقاب)

وهذه الايه احتوات علي قصه تتحدث فيها عن ابي جهل واكابر قريش الذين اجتمعوا عندما وصل اليهم خبر خروج الرسول لملاقاه قافله ابوسفيان حيث كان الشيطان حاضرا بينهم في هذا الاجتماع اما كيفيه حضوره فلم تبين الايه ذلك فقد يكون حاضرا بالوسوسه او انه حضر بصفه شيخ نجد كما ذكر البعض وانه حرضهم علي القتال وشجعهم عليه واشعال نيران العصبيه في القلوب غضبا وكبر فقد نفخ في قلوبهم الشيطان منافخ الكبر و الفخر والعصبيه واوقعهم في مصيدته التي خدع بها الامم الماضيه فخرج ابوجهل خلفه اكابر قريش وهم يعزفون ويدقون الطبول ورغم مجي رسول ابوسفيان لهم بسلامه القافله الا انهم رفضوا الكف عن القتال نتيجه تزين الشيطان لهم اعمالهم حتي هزموا وهلكوا في المعركه وبعد ان تخلي عنهم الشيطان وفر هاربا لما شاهد الملائكه تقاتل مع المومنين ولان مهمته انتهت باضلال كفار قريش فاراد الحق بذكر هذه القصه ان تظل صوره هذه القصه حاضره في ذاكره كل مسلم الي قيام الساعه ينظر اليها كانه كان حاضرا و عاش الاحداث كي تنتفع بدروسها والتي نذكر منها الاتي

الدرس الاول

ترسم الايه للمومنين ماهي الشجاعه الحقيقه التي يجب ان يتحلي بها المومنون في المعركه ولهذا نجد انه بعد الامر بالثبات والصبر عند مواجهه العدو تاتي الايات بالتحذير من الخروج للقتال تحت تاثير الانفعال النفساني فقط التي ترغب فيه النفس للانتقام وحب الشهره الناتج عن رفع قدر النفس فوق الناس فالمسلم لايغضب لنفسه وانما يغضب لله ان حميه المسلم وغيرته هي ان تري حرمات الله تنتهك فقتال المسلم ليس لاجل الانتقام للذات بل ابتغاء مرضات الله

انه يضع كل شي موضعه وفي وقته فهم لايهربون عند مواجهه الاعداء بل يصبرون فلا يندفعون وراء هيجان النفوس ورغبتها في اظهار شجاعتهم وباسلتهم وانما بقصدون بذلك وجه الله فشجاعه المسلم ليست مجرد حاله طبيعيه ناتجه عن تعظيم النصر المغروس في الطبع لان الشجاعه هي كمال القوه الغضبيه (قوه النصر)

فكل مخلوق يعظم النصر ويريده ويسعي اليه وهي حاله طبيعيه ولكن هذه الحاله تختلف عن الشجاعه التي ينبغي ان تكون خلقا في المسلم

حيث وان الحاله الطبيعيه تجعل الانسان يقدم علي الفعل طالما انه لايحس ان الفعل الذي يفعله سوف ينتج عنه خطر ا يهدده ولهذا نجد هذه الحاله موجوده حتي في الطفل الرضيع تجده يضيع اصبعه في النار

فهو لايهاب ولايخاف من ذلك قبل التجربه ولهذا فان التجارب تثبت الخوف فهل نسمي ذلك شجاعه بالطبع لا تسمي شجاعه وانما عدم ادراك واستخفاف بالنار لعدم الخبره والتجربه ولعدم ادراك ان فعله سوف يترتيب عليه خطر عليه فهذه حاله طبيعيه مثله مثل رجل كان يحرس منشاه بجوار مزرعه وكان معه حمار غالبا ما يخرج من منزله ويدخل المزرعه ويتلف المزروعات وياتي صاحب المزرعه يحمله قيمتها استمر حاله هكذا عده مرات وفي يوم راي شي يتحرك داخل المزرعه فظن انه حماره ولم يدرك انه وحش مفترس من شده الظلام فدفعه الخوف من تحمل قيمه المزروعات ان يذهب ومعه سلاله وحبال ويضعها في عنق الوحش وهو يتصور انه حماره ويسحبه في جنح الظلام وهو لايدرك انه يسحب وحش حتي اذا وصل الي منطقه فيها ضوء شاهد انه يقود وحشا مفترسا فاصيب بالجنون

فمن الموكد ان من يشاهده وهو يقود الوحش سوف ينظر اليه انه شجاع

لكن الحقيقه ان هذه ليست شجاعه لانه لايعرف انه قيد وحش لكنه ظنه حماره الضعيف ولهذا فهذه ليست شجاعه بل هي حاله موجوده في كل المخلوقات فالوحوش انما تنقض علي من هو اضعف منها فالغابه فيها القوي ياكل الضعيف ولايجرو مثلا الفهد علي محاوله افتراس الاسد ولايقف امامه بل يهرب منه ولهذا يقول الحق (ولاتكونوا كالذين خرحوا من ديارهم بطراورئاء الناس)

ان الشجعان حقا هم الذين يقفون في وجهه المصائب فلا يهربون عن مواجهتها يصبرون ويثبتون ابتغاء مرضات الله. لا لاجل اظهار بسالتهم

بل يقاومون الباطل ولايهربون من ساحه القتال ولايضعفون امام الاعداء ويتوكلون علي الله فشجاعه المومنين ليست مثل شجاعه الوحوش الذين يندفعون وراء هيجان رغبتهم نتيجه الاستخفاف بمن هم بنظرهم اضعف منهم ولهذا نجد الايه تنقل لنا صوره البطر والرياء والصد عن سبيل الله في سلوك ابوجهل واتباعه من كفار قريش لترسم لنا صوره قبيحه عن اندفاع هولاء وراء هيجان انفسهم باظهار باسلتهم نتيجه الاستخفاف بقوه المسلمين فهذه ليست شجاعه وانما حاله طبيعيه ناتجه عن سوء التقدير نتيجه الاغترار بالقوه والاعجاب بالنفس فلو انه احسن التقدير كما فعل ابوسفيان لما اقدم علي الفعل

ولهذا جاء النهي في الايه عن التشبه بسلوك الكفار لاجل ضبط قوه الغضب علي منهج الله فالمسلم لايغضب الا لله وشجاعه المومن تعني مقاومه العدو ومقاومه الشهوات التي تسعي الي تهيج النفس وحثها علي الانتقام والظلم والبطش والعدوان لاشباع رغبتها

ولهذا نجد ان الايه ورد فيها النهي عن التشبه بسلوك الكفار في الكبر والغرور والصد عن سبيل الله بصوره فيها التنفير من ذلك فلم ياتي النهي عن ذلك مباشره بل نهي عن التشبه بصفات قوم مذمومين ليحذر المسلمون طاعه الاكابر والساده من القوم الذين فسدت لديهم قوه الغضب ولاجل تنفير المسلمين من ذلك السلوك وتطهير نفوسهم من الكبر والبغي والعد وان فلا يكون تعظيم النفس والطبع للنصر مدعاه لان تسلكوا سلوك الكفار فهذه ليست شجاعه وانما الشجاعه الحقيقه تكمن بقمع الاهواء فلا يدفعهم الحماس النفساني الي الخروج للقتال لطلب الشهره او الانتقام بل خروجهم دفاعا عن الحق فالبساله الحقيقه تكون في مقاومه العدو. والثبات في المعركه فلاتهرب عند هجوم الاهواء بل عليك قمعها مثلما ان اللازم عليك ان تثبت في ساحه القتال عند مواجهه العدو

الدرس الثاني

تدعو الايه المومنين الي التخطيط والدراسه والتحليل لقوه العدو وان لاتستخف بقوه الخصم فلا تتصور انه لن يتخذ اجراء بمواجهه فعلك فالمغالاه في تقدير القوه الذاتيه والثقه الزائده في النفس الي حد غير منطقي من شانه ان يوقعك في الهلاك ولهذا تنقل لنا الايه كيف ان غرور كفار قريش بقوتهم حملهم علي الاستخفاف بالمسلمين فلم يعدو للمعركه ولم يقوموا بالتخطيط اللازم فكان ذلك سببا لهزيمتهم فالاعجاب والاغتزار بالقوه وسوء التقدير من شانه احداث الازمات والصوره التي ترسمها الايه تبين ذلك بوضوح حيث ان ابوجهل جاءه رسول ابو سفيان بنجاه القافله وطلب منه الرجوع بالنفير فلم تعد هنالك حاجه لقتال الرسول صلي الله عليه وسلم واصحابه لكن الحميه الجاهليه والكبر والغرور منع قريش من العوده لانها كانت قد خرجت بالقيان و الدفوف يغنون وينحرون فقال ابوجهل (لا والله لانرجع حتي ترد بدر ننحر الجزر ونطعم الطعام ونشرب الخمرونعزف القيان علينا فلن نزال العرب تهابنا ابدا)

فلما جاء الرسول الي ابوسفيان قال هذا عمل عمرو بن هشام يعني ابوجهل كره ان يرجع لانه تراس علي الناس فبغي والبغي منقصه وشوم ان اصاب محمد النفير ذلنا

فابوا سفيان درس تكلفه تنفيذ الهدف ودرس السيناريوا المحتمل للنجاح او الفوز فراي ان يعود النفير لان هنالك احتمال الفشل اما ابوجهل فكان في حاله نشوه ونخوه وسكر اثر ترؤسه لقومه ما منعه من ادراك النتائج فبغي وحاد عن القرار الصائب وهذه مساله خطيره لان نشوه المنصب تخرج اصحابها عن حد الاتزان ولهذا امر القران بضبط الانفعالات في الفرح فقال تعالي (ان الله لايحب الفرحين)

فالفرح المذموم هو الذي يخرج صاحبه عن حد الاتزان فيدفعه للغرور ومن ثم الهلاك ولهذا حذر القران المسلمين من الكبر وامرهم بالتوضع وهو خير الخير الذي لاشر بعده فالتواضع ان تضع نفسك دون الناس وعلامه التواضع الا يدعوك احد الي حق الا قبلته ولم ترده ولاتري احدا من المسلمين الا رايت نفسك دونه

الدرس الثالث

تحث الايات المومنين علي تصفيه الاعمال بشكل عام من اي شي يفسده حيث وان حال اكثر الناس في اتيانهم اعمال البر لو تاملت لوجدت قله العنايه بتصفيه العمل من حب النفس المحمده من المخلوقين فالكثير من الناس يعمل اعمال البر وهو يحب فتنتها اكثر من الذي بخاف فتنتها والذي يجهل فتنتها اكثر من الذي يعلم فتنتها ولهذا جاء التهديد (والله بما يعملون محيط)

ولهذا ذكر الحق انه مطلع وعالم ومحيط بمافي دواخل القلوب وهذا فيه الحث علي تنظيف النيه من الرئاء او الرغبه في مدح الناس وثناءهم فاعمال البر كلها بالنيه فعليك تصحيح النيه والارداه ماخفي وما ظهر لتكون خالصه لله تعالي وكذلك لان اكثر الناس يظهر له ان الفعل المحظور فيه طلب مرصات الله مع انه في الحقيقه ليس كذلك ولهذا ذكر الحق هذا التهديد للتحذير من الغفله لانك تقع خديعه تزين الشيطان لما تعمل من قبائح فذكر بعدها تزين الشيطان للمشركين اعمالهم في هذه المعركه حيث شجعهم علي الخروج باعلانه اجارته لهم ونصرته اياهم فقال تعالي (واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم)

فاراد بهذا التنبيه من الغفله وموافقه نفسك الاماره بالسوء والهوي المضل عن سبيل الله لان ذلك مدخل الشيطان الذي لايالوك خبالا وهو يجري مجري الدم منك فاللازم ان تحرص علي ان تكون في يقظه فلاتغفل حتي لاتقع في مصيده الشيطان هذا العدو الذي يسعي جاهدا كي يعديك بداءه ويخدعك ولهذا تذكر النصوص قصه تزين ابليس للمشركين الخروج للقتال فهو يستفزهم بندائه باشعال نيران العصبيه في قلوبهم يستنهض فيهم نخوه التكبر والتعاظم فقدحت الحميه في قلوبهم نار الغضب التي ابتدات وسوسه في الصدور وهمسا في القول ليخدعهم كي يمعنوا في البغي ومصارحه الله بالمناصبه باحتقارهم المومنين ومبارزه المومنين بمحاربه دين الله حتي اذا انقاد له الكفار واستفحل سلطانه عليهم. صاروا جندا يصول بهم واستحكم سلطانه عليهم وظهرت المجاهره بمناصبه اهل الحق العدواه ورفع السلاح والايدي وصار القتال عندها يتاكد انهم قد وقعوا في مهاوي ضلالته وانه قد اوقع بهم في مصيدته التي يعلم ان عاقبتها الهلاك فقد تخلي عنهم لان مهمته قد انتهت بان اوردهم موارد الهلاك ولهذا تذكر الايه كيف ان الشيطان عندما اشتدت المعركه هرب بعد ان شاهد الملائكه تقاتل مع المومنين فقال تعالي (فلما تراءت الفئتان نكص علي عقبيه وقال اني بري منكم اني اري ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب)

فاراد الحق بهذا التحذير من كبر الحميه وفخر الجاهليه فهي ملاقح البغض التي ينفخ بها الشيطان ريح الكبر الذي تكون عاقبته الندامه فهو قد خدع الامم بتلك الوسائل فاراد الحق باظهار هذه النهايه لهروب الشيطان من ساحه المعركه واعلان براءته من الكفار الذين انخدعوا بتزينه لهم الشر والذين صاروا اعوانا وجنودا له كي يعتبر القاري بما اصاب المستكبرين في بدر فتكون تلك الواقعه درسا حاضرا لكل مسلم كي يطفي مافي قلبه من نيران العصبيه واحقاد الجاهليه وان يلقي التعزز تحت اقدامه ويخلع لباس التكبر ويعتمد وضع التذلل والتوضع علي راسه ويتخذ ذلك سلاحا يدفع به ابليس واعوانه

ثالثا

تنقل الايه نظره المنافقون والذين في قلوبهم مرض لاسباب النصر والهزيمه نظرتهم لشجاعه المومنون الذين ثبتوا في ارض المعركه وهم يقاتلون ذلك العدد من الكفار الذي يفوق اعدادهم ثلاثه اضعاف فقال تعالي (اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هولاء دينهم)

تتحدث الايه عن نظريه المنافقين والذين في قلوبهم مرض عندما التقي الجمعان في بدر مع ان الذين خرجوا مع الرسول صلي الله عليه وسلم وحربوا معه المشركين كلهم مومنون ولم يكن بينهم منافق ولامرضي قلوب ولان وصف منافق لايطلق الا علي من اظهر الاسلام والايمان وهو كاذب واما مرضي القلوب فهم ضعفاء الايمان وبالتالي لايمكن ان يكون هذا القول منسوب للمشركين الذين لم يحصل الميل منهم للاسلام ابدا

وبالتالي فان القاري لابد ان يتسال فيقول من هم المنافقين ومرضي القلوب هنا؟

الجواب :-

هم قوم تكلموا في الاسلام وهم بمكه حصل منهم ميل للاسلام بمكه وقد خرجوا مع المشركين يوم بدر فلما روا قله المسلمين قالوا غر هولاء دينهم وقد حدد اسماءهم مجاهد في تاويل الايه فقال هم قيس بن الوليد بن المغيره وابوقيس بن الفاكه والحارث بن زمعه بن الاسود وعلي بن اميه بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكه وهم علي الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما راوا قله عدد المسلمين وكثره عددهم قالوا غر هولاء دينهم

وهذا هو حال الذين يتاثرون بالمظاهر الخادعه للقوه. حيث ينظرون الي العتاد والعدد والمال والجاه والسلطان هي عناصر النصر فقد خدعتهم نظرتهم تلك وجعلتهم يستصغرون شان جموع المسلمين ويحتقرونهم لان قلوبهم خاويه من الايمان لاتستعلي بالحق ولهذا فان هذه القلوب الخاويه

من الايمان لاتصمد في وجه الازمات وسرعان ماتنهار تذله الاحداث ولهذا نظروا الي موقف المسلمين بانهم مخدوعين بهذا الموقف يوردون انفسهم موارد التهلكه امام جحافل المشركين

هكذا هو حال المنافقون والذين في قلوبهم مرض انهم ينبهرون عند مشاهده قوه الاعداء ويضعفون ولا يكتفون بذلك بل تجدهم يحاولون التثبيط والاحتقار لصمود المومنين وهذا الامر حاصل في كل زمان فمثلا لو فتحت بعض القنوات العربيه اليوم وهي تتحدث عن صمود المقاومه في فلسطين فانك تسمع نفس المقوله من هولاء الذين وقفوا متفرجين للمقاومه وهي تصارع جحافل الكفر امريكا واسرائيل والغرب برمته انهم يسخرون من حال المقاومه المتواضعه وهي تدافع عن كرامه الامه كلها الذي لم يجروا علي القيام به جيوش مدربه تتبع دول هذه القنوات الرخيصه فهم لايجدون مبرر لما يشاهدون من اقتحام المعركه المعركه ومواجهه التحديات و الصمود الاسطوري لان قلوبهم خاويه من الايمان فهم لايدكورن اسباب القوه التي تدفع المقاومه لمواجهه الاخطار التي عجزوا هم عن القيام بها ةلهذا يلجاون الي وصفها بالتهور وانها تلقي

بالنفس الي التهلكه لانهم. لايعرفون قيمه الايمان عندما يستقر في النفس هم ينظرون الي الامور بنظره ماديه لا تخرج عن تحصيل الشهوات والملذات اما المومن فهو يستعلي بالحق وميزانه الايمان فهو لايستمد عزته من مال ولاجاه ولاسلطان ولاجنس ولاعشيره وانما يستمدها من عبوديته لله التي حررته من الطمع فيما عند غير الله ومن الخوف من غير الله فلا تراه خاضعا ذليلا ولا مستخدما طامعا لاتذله الاحداث ولاتحني جبهته الازمات فهو يتوكل علي الله ويثق بربه فهو تعالي عزيز لايقهر ولاغالب له وهو حكيم في ما قضاه فالمومن يرضي باختيار الله فقال الله(ومن يتوكل علي الله فان الله عزيز حكيم)

ولهذا فان المومن لايبالي بقوه الاعداء مهما كانت طالما هو علي الحق فهو واثق بربه مطمئن القلب لايفزع ولا يجبن وفي تصرف المغيره بن شعبه عندما ذهب لمفاوضه القائد الفارسي قبيل معركه نهاوند نموذجا للشخصيه العامر قلبها بالايمان التي لاتنبهر بمظاهر الملك والعظمه والقوه نموذجا للاعتزاز بانتماءه للاسلام فقد دخل وبيده رمحه يطعن بها الريش الفاخره في قصر قائد الفرس وابي الا الحلوس في السرير جوار القائد

ففي ذلك نموذج لاستعلاء المومن بدينه فانه يمنحه الشجاعه في مواجهه الباطل ومواجهه اخطاءه وفي قول الحق مهما كان مرا وفي مجالده الاعداء لايهاب الموت ولاجبروت الطغاه لانه متصل بالله الاكبر والاقوي الذي لاتغالب قوته قوه وبيده مقاليد كل شي وهو حكيم في قضاءه واجراه

القسم الثالث

لما اختتمت الايه السابقه بذكر اقدام المومنين وثباتهم في المعركه رغم قله العدد والعتاد مقابل اعداد

المشركين وعتادهم الذي كان اضعاف مضاعفه لعدد وعتاد المسلمين وهو ما دفع المنافقين والذين في قلوبهم الي القول انهم مخدوعون بدينهم فهذا يعود الي اختلاف نظره المومنين للازمات فالمومن لايحني جبهته امام الازمات كم هو حال المنافقين والذين في قلوبهم مرض ولكن يستفيد من الازمه ويقوم بتحويل الموقف السلبي الي ايجابي وذلك بقوه الايمان والعزم والتوكل علي الله مع الافاده من الخبرات فقد استفاد المسلمين من خباب بالنزول عند الماء واختاروا المكان المناسب الذي يمكنهم من السيطره علي الاحداث وتوكلوا علي الله فالثقه بالله تعالي مكنت المومنين من الصمود في المعركه فالمعركه في حقيقتها معركه ارداه اكثر منها معركه مواجهه ولهذا ذكر مواقف المنافقين والذين في قلوبهم مرض لان مرض القلوب كان اخطر اختراق في مواجهه الازمات والقلوب لاتطمئن الابذكر الله ولهذا كان التوكل علي الله والعزيمه والايمان والاخذ بالاسباب هو القوه وراء ذلك الصمود فالنفس بحاجه للشعور بمدد خالقها لتتمكن من مواجهه الازمات ولهذا تاتي الايات. بذكر بعض مظاهر التدخل الالهي لنصره اولياءه الذين امتلات قلوبهم بالانس بالله والتوكل عليه وقد نصر الله اولياءه وامدهم بالملائكه يقاتلون معهم في بدر فهو تعالي كما وصف نفسه (عزيز حكيم) اي غالب لايعجزه شي وهو حكيم يضع كل شي في موضعه فقال تعالي (ولو تري اذ يتوفي الذين كفروا الملائكه يضربون وجوههم وادبارهم ...الخ

وهذا فيه

اولا

بيان بعض مظاهر التدخل الالهي في المعركه لترسم لنا نتيجه الاعتماد علي الله تعالي والثقه بالله وكيف انه اشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه فالمسلمون عندما صبت عليهم المصائب وشاهدوا كثره اعداد الكفار مع قلتهم لجاوا الي الله بالاستجاره به لعلمهم ان ازمه الامور بيد الله ومصادرها من قضاءه ولهذا توكلوا علي الله وهم واثقين بالله وقوته فهو العزيز الذي لايغلب وراضين بقضاءه واختياره لهم النصر او الشهاده فهو الحكيم الذي يضع كل في موضعه

ولهذا قال تعالي (ولو تري اذ يتوفي الذين كفروا الملائكه يضربون وجوههم وادبارهم

فكانت الايه بمثابه متممه ومكمله لحكايه ما ورد في مقدمه السوره من ذكر مشاركه الملائكه بالضرب للاعناق والبنان (فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم. كل بنان ....الخ في بدر فذكر كيفيه المشاركه بانهم كانوا يضربون من يقبل عليهم بوجه بالسوط ومن يدبر كذلك فقد ورد في الحديث ان رجلا قال للرسول صلي الله عليه وسلم انه وجد في ظهر ابوجهل مثل الشوك فقال الرسول صلي الله عليه وسلم ذاك ضرب الملائكه)

ويجوز ان يقصد بها الحديث عن احتضار المشركين الذين قتلوا في بدر

حيث انه سبحانه وتعالي بعد ان ذكر نصره للمومنين في بدر وانه امدهم بالملائكه تقاتل معهم وذلك فيه تجلي عزته سبحانه وتعالي وحكمته فكان اختتام الايه بذكر صفه العزه والحكمه للاشاره الي مساله تاييده الرسول والصحابه بالنصر في بدر ولهذا انتقل الي شرح ماحل بالمشركين الذين قبضت الملائكه اروحهم فقال تعالي (ولوتري اذ يتوفي الذين كفروا الملائكه يضربون وجوههم وادبارهم)

ولايمنع ذلك عموميه الحكم وعدم اقتصاره علي بدر فالايه عامه تنقل لنا مشهد احتضار الكفار في كل الاحوال سواء في بدر او غيرها بمناسبه تناول الايات قبلها التحذير من التشبه بالكفار الذين وصفهم بالكبر وبطر النعم و الغرور والعناد والصد عن السبيل فاراد بهذا التهديد للكفار و التحذير من طاعه الاكابر الذين تكبروا ورفعوا

انفسهم فوق قدرها بالاعتزاز بالعصبيه واستعمالهم قوتهم في الباطل والفساد هولاء الذين اتبعوا الشيطان وتزينه فهو امام المتعصبين. وهو سلف المستكبرين يقول انظروا لحال الذين نازعوا الله راده وجاحدوا الله ماصنع بهم مكابره لقضائه ومغالبه لانعام الله عليهم فكان مناسبا مجي الايه بعد ان اختتمت الايه السابقه بقوله تعالي (والله عزيز حكيم) والتي تعني انه تعالي عزيز لايغلب ولايعجزه شي وهو حكيم يضع كل شي في موضعه لان قبض الارواح من مظاهر قهره تعالي للانسان فلا يستطيع احد ان يهرب منه فهم في قبضته مهما تكبروا واغتروا ولهذا قدم المفعول به علي الفاعل (الذين كفروا) لان المراد نقل صوره لذهن السامع عن حال الكفار عند الاحتضار ترسم بشاعه الكفر وعاقبته ولهذا لم يقدم الملائكه لانه لايتعلق عرض ذكرهم هنا بالمقصود لان الملائكه يتوفي جميع الناس الكافر والمومن لقوله تعالي (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم)

وانما العرض هنا يراد رسم صوره احتضار الكافرون في ذهن كل واحدبانه. يختلف عن احتضار المومن فالكفار يلقي العذاب الشديد والمشقه والعذاب فالمقصود هنا تشنيع حاله الكافر وبيان غلظه العقوبه فقدم الذين كفروا ولو قدم الملائكه لما ادي الغرض

فاراد بذلك ان يغرس في النفوس ويرسم غي الاذهان صوره بشعه لعاقبه الكفار لتجعل كل واحد يفكر في العواقب وينظر لنهايه الكفر لانه لوحصل ذلك لما وجد من يتكبر او يعاند او يكابر ولهذا تاتي الايات بتوضيح التهديد المبهم فقال تعالي (يضربون وجوههم وادبارهم)وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ترسم الايه نهايه من كانت نظرته للحياه نظره دنيويه ماديه الذين جعلو الدنيا غايه وهدف حياتهم فنطرتهم لم تخرج عن تحصيل الشهوات والملذات ولم ينظروا ان هنالك حساب وعقاب ولهذا لم يضربوا حساب ما بعد الموت ولهذا تنقل الايات مشهد احتضارهم بانهم في ساعه الاحتضار تبشرهم الملائكه بالعذاب الذي ينتظرهم تقول لها ايتها النفس الخبيثه اخرجي الي سموم وظل من يحموم عندها ينكشف الغطاء الذي كان يحجب عن عينه الرويه فيري عاقبه كفره فتشبث بالحياه فيستخرجونها من جسده بالقوه والضرب كما قال تعالي في موضع اخر (ولو تري اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكه باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم)

بعكس المومنون فهم ينظرون للدنيا انها دار عمل وان الاخره هي الدار الحقيقه للسعاده ولهذا تبشرهم الملائكه بما اعد الله لهم ولهذا فان المومن لايخاف من الموت لانه يري ان حياته تبدا من بعد الموت ولهذا لايهربون من ساحه القتال فهم يتوكلون علي الله لانهم قد باعوا انفسهم لله

الامر الثاني

ان افتتاح الايه بالخطاب (ولو تري اذ يتوفي الذين كفروا الملائكه)

هو خطاب للنبي صلي الله عليه وسلم ولكل واحد يتاتي خطابه اي لو عاينت وشاهدت ما يحل بالكافرين من عذاب وتنكيل عند الاحتضار لرايت عذابا عظيما وهائلا ولهذا فان من الخطا الوقوف علي كلمه (الذين كفروا)او (الملائكه) فهذا الوقف الوراد في رسم بعض المصاحف خاطي لان الوقف لابد ان يكون علي جمله تامه بحيث يكون المعني صحيحا وان يكون وفق مراد الله فمن الخطا مثلا الرقف علي قوله تعالي(ولا تقربوا الصلاه) ولا ان تقف علي كلمه (ولاتمش في الارض)

ولهذا فان الوقف علي كلمه (الذين كفروا) او الملائكه لاتعطي المعني المراد من قوله (ولوتري اذ يتوفي) اي لو تري مصير هولاء عند الموت وما سيحل بهم لرايت عذابا عظيما فالمراد اذا ليس رويتهم عندما تقبض اروحهم بل ما يحل بهم من عذاب وتنكيل ولهذا فان الوقف الصحيح يكون وفقا لهذه المعطيات عند وقوله (وادبارهم)

فاراد بهذا الاتي

المفهوم الاول

ان عذاب القبر امر ثابت بدليل هذه الايه التي ابتدات بذكر لحظه الاحتضار وهذا العذاب من امور الغيب التي يجب ان نومن به كما اخبرنا الله فكلمه لو حرف امتناع لامتناع ترد المضارع الي معني الماضي وترد الماضي الي معني المستقبل وقد وردت هنا لنقل صوره العذاب الذي يلقاه الكفار سواء الجسدي او النفسي فذكرت اخراج ارواحهم بالقوه انتقلت من صيغه الخبر الي صيغه الخطاب (وذوقوا عذاب الحريق)

وكان نار جهنم حاضره في الموقف فهذا المتكبر المتعالي يجد العذاب ويتجرعه بمجرد موته وهذا يثبت عذاب القبر فهو يري مقعده من النار حاضرا امامه ولهذا كان الانتقال الي الخطاب هنا ليرد المشهد حاضرا كانما جهنم بنارها وحريقها وعذابها الشديد امامهم. وهم يدفعون اليها دافعا وهذا القول هو نوع من العذاب والنكال و التحقير لهم ولهذا استعمل الذوق الذي يكون محسوس لاثبات وقوع العذاب

المفهوم الثاني

اللازم علي المسلم ان ينتقي الالفاظ التي يتخاطب بها مع الاخرين فعليك الابتعاد عن الكلمات البذئيه وهذا ما يجب ان نستفيده من قوله تعالي (يضربون وجوههم وادبارهم)

فقد ذكر العلماء ان كلمه ادبارهم تعني استاهم ولكن الله يكني ولهذا فاللازم علينا ان نتقي الالفاظ في كلامنا

الامر الرابع

يذكر الحق قول الملائكه للكفار بان ما يلاقونه من عذاب هو جزاء اعمالهم اي ان الجنه والنار ليست شئيا خارجيا وانما هو انعكاس لاعمالنا

ولهذا يقول تعالي (ذلكم بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد)

اي ان النكال والعذاب الذي يلقاه الكفار انما هو بسبب اعمالهم وكفرهم وتكذبيهم الرسل فالله عدل لايظلم احد من عبيده فقد اقام عليهم الحجه بارسال الرسل وانزل الكتب واوضح لهم الحق من الباطل وانذرهم ان هم اختاروا طريق الكفر بالعذاب ولهذا فهم يستحقون العذاب

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

اهميه ان تكون الاحكام مسببه ومبين فيها الحيثات والاسباب عند اصدرها من قبل القضاه فاذا كان الله تعالي خالق الكون ومالكهم يذكر لعباده حيثيات حكمه ليدركوا ان العقاب الذي حل بهم هو نتيجه افعالهم فكيف يغفل العباد فيما بينهم من ايضاح اسباب الحكم والعقوبه علي المجرم

المفهوم الثاني

عليك ان تدرك ان الله حرم الظلم علي نفسه فهو العدل وحكمه الاصدق فهو تعالي لايجور تنزه الغني الحميد عن الظلم وقد ورد في صحيح مسلم ان الرسول صلي الله عليه وسلم قال ان الله تعالي قال ياعبادي اني حرمت

الظلم علي نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ياعبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد شرا فلا يلومن الا نفسه)

ولهذا فعليك الانتباه من الظلم وكن عادلا اخي المسلم في كل ما يوكل اليك كن عادلا في بيتك وفي اسرتك وفي مدرستك وفي مكان عملك وفي قولك وفي فعلك وفي كل شي

ثم ان اللازم عليك ان تحاسب نفسك قبل ان تحساب عليك ان تشعر برقابه الله وانه يحصي اعمالك فما زالت الفرصه امامك طالما انك لم تغرغر انفاسك فباب التوبه مفتوح

ثانيا

تمضي سياق النصوص في عرض امثله ونماذج لهلاك من لم يحذر العاقبةالتي يصير اليها من ظلم نفسه بالشرك والكبر والعصيان فلم يعمل عملا لنفسه يحفظها من سوء المصير فقال تعالي(كداب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب)

المبحث الاول

ابتدات الايه بقوله (كداب ال فرعون والذين من قبلهم) عقب ذكر العقاب الذي حل بالمشركين في بدر وهلاكهم وهزيمه الشرك واهله وذكر انه تعالي لايعاقب الا من استحق العقاب ولهذا فان الايه هنا تهدف الي بيان الاتي

الامر الاول

تبين الايه ان عاده الكفار ومواقفهم واحد في كل زمان يكابرون الحق ولايقبلون به حتي يحل بهم العذاب و الذل والهون فما حل بكفار قريش من عذاب وهلاك وهزيمه في بدر قد حل بالامم السابقه فهذه سنه الله التي لا تتغير ولاتتبدل انه تعالي يرسل الرسل لانذار الناس ويقيم عليهم الحجه ثم يهلك المكذبين

الامر الثاني

تبين النصوص ان عاده ومواقف الكفار تمنعهم من فهم التحولات التي تبدا بمقدمات ناتجه عن اسباب ومواقف توصل الي النتيجه يطلق عليها سنه المواقف وسنه الدلاله والمراد بالسنه الطريقه والاسلوب والسير كانت حميده او ذميمه

كما قال تعالي (وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدي ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنه الاولين او ياتيهم العذاب قبلا)

وسنه الاولين مواقفهم وماذهب اليه اسلافهم من الطريقه والسير والفهم والتعليل وهي المكابره والمعانده و التحدي وقد ورد في مقدمه السوره ان المشركين طلبوا معاينه العذاب فقال تعالي (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجاره من السماء)

فهذه هي سنه الاولين ولهذا نجد الايه ابتدات بقوله(كداب) اي عاده فيها بيان تسلسل مواقف الكفار في المكابره والعناد والشرك والتكذيب فمواقف كفار قريش تشبه من سبقهم من الكفار كانهم اقتدوا بطريقه وسلوك وتصرفات الكفار من فرعون ومن سبقه من اهل الكفر فذكر وجه سنه الدلاله بكفرهم بايات الله وهو متعلق بالتوحيد والعقيده لم يقبلوا بالحق ولم ينقادوا له واستكبروا واصروا علي الباطل وهذا فيه دلاله علي الاقتفاء والاهتداء بالامم الكافره التي سبقت فاساليب اهل الكفر واحده

ولهذا تاتي الايات مبينه ان التحولات مرتبطه بالسنن فقال تعالي (فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب)

وهذا فيه توجيهات عده

التوجيه الاول

عليك ان تدرك ان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال لانه تعالي لم يرخص لاحد ان يتكبر فقد ورد في الحديث القدسي أن الله قال الكبر ردئي والعظمه ازاري من نازعني فيهما اذليته ولهذا فمن يتكبر فهو يبارز الله في عظمته ويتشبه بجبروته وبالتالي فهو في حرب مع الله والله لايعجزه شي فهو غالب لايقهر ولايمكن لاحد ان يهرب منه فلا يفوته هارب

ولهذا قال (ان الله شديد العقاب) فالايه فيها التهديد لكل متكبر وكل من يرفض ايات الله ومنهجه ودينه واستخدم اسلوب التهديدلان الفطره اذا سلمت من العارض فانها تحب الحق وتريده وتقبل به لكن المانع اما الجهل واما الكبر وارداه العلو في الارض وهذا هو المانع للكفار ولهذا جاء التهديد بهذه الصيغه التي تغرس في النفس ان الجميع في قبضته مقهورون لايستطعون الهروب وهو تعالي شديد العقاب فلن يتخلف عقابه عنهم ليغرس فيهم الخشيه (التقوي) لان الذكري تنفع المومنين لكن المستكبر المعاند لاينقصه العلم الذي يذكر فطرته بل يحتاج الي الخشيه فقال تعالي عن فرعون (لعله يتذكر او يخشي)

وكفار قريش كانوا ينظرون ان ما يقومون به من سدنه الكعبه وصله الرحم تمنع عنهم العذاب ولهذا اخبر الله عن نفسه انه شديد العقاب

وهذا فيه ايضا التهديد لكل من يتساهل في ارتكاب الذنوب والمعاصي بذريعه ان الله غفور رحيم فاراد بهذا ان يحذر ك من ارتكاب الذنوب فهي تجلب العذاب الشديد

التوجيه الثاني

عليك ان تدرك ان الحياه والكون والانسان يخضع لسنن ونواميس وقوانين فالحياه بكل مافيها من تحولات لا يمكن فهمها الا بالتعرف التعرف علي اسبابها او التعامل معها وتحولاتها الا بعد ادراك السنن فهي تشبه المعادلات الرياضيه تتوقف النتائج علي المقدمات ولايمكن التعامل مع السنن وامتلاك القدره علي تسخيرها والوصول الي امكانيه مغالبه قدر الله بقدر الله فلا يمكن تفسير الاحداث في مجال الخير او الشر بدون معرفه السنن ومواطن الخلل ومعالجه الخلل منوط بمعرفه السنن والقدره علي التعامل معها ولهذا يقول لك الله(فاخذهم الله بذنوبهم ان الله شديد العقاب) ان هلاك الكفار في كل زمان هو بسبب الذنوب التي ارتكبها الكفار فهذه هي سنه الله التي لاتتغيير ولاتتبدل ولهذا فان ادراك السنن يمثل ابعاد مهمه الاستخلاف في الارض وحمل الامانه بل هي مفتاح معرفه قصه الانسان علي الارض من ادم الي ان يرث الله الارض ومن عليها ولذلك فان الانسان بحاجه الي فهم مايجري حوله من سنن التغييرات والحوادث في المراحل المتقلبه عبر الازمنه وما يترتب علي ذلك التحول من نقض اوقبض اوفساد او صلاح وتبدل والتحول مشتق من تحول يتحول اي تغير يتغير اي تحول من حال الي حال اوتحول فكري من رؤويه الي اخري حيث يترتب علي نتائج تحول وتبدل ولهذا يقول تعالي (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمه انعمها علي قوم حتي يغيروا ما بانفسهم)

وهذا فيه بيان قاعده التصور الاسلامي لعلاقه الانسان بربه وقدره في هذا الوجود وعلاقه الانسان بالكون وحركته فيه فهو يدرك انه سيدا علي الكون فهو بحاجه لمعرفه السنن وان يتعامل معها وان اي خلل مع هذه السنن سوف يفضي الي الفشل والكوراث فهي سنن مطروده فالله يقول في موضع اخر (فلن تجد لسنه الله

تبديلا ولن تجد لسنه الله تحويلا)

فمصدر معرفه السنن هو العلم والاستدلال علي اطرادها يتاتي من تلك المعرفه ولهذا قال تعالي

(ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمه انعمها علي قوم حتي يغيروا ما بانفسهم. وان الله سميع عليم)

اما التحقق من فاعليتهاانما يتم من خلال السير في الارض والتوغل في تاريخ الشعوب والامم وسقوط الحضارات ونهوضها ولهذا قال تعالي بعدها (كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون وكل كانوا ظالمين) كما. قال تعالي (قل سيروا في الارض فانظروا)

فالسير في الارض وفقه السنن التي تحكم الحياه هي اساس االنهوض والبناء الحضاري لانك تتجنب اسباب الازمات وايضا يمنحك اكتشاف السنن معرفه اسباب السقوط للحضارات والنهوض ويمنحك الفقه بكيفيه التعامل مع الازمات وكيفيه تجاوزها فهي لاتلغي فعل الانسان وارداته وانما تمنحه القدره علي الرويه الصائبه و الفرار من قدر الله الي قدر الله بتجنب اسباب السقوط والاخذ باسباب النهوض فالتغيير يقود اما الي السعاده او التعاسه حيث انه يقود الي الفاعليه اما الايجابيه وهذا يعني مشاركه المسلم في صناعه مستقبله في الدنيا و الاخره باذن الله وقدره

اما اذا كانت سلبيه كما هو حال المسلمين اليوم الذين اصبحوا يقلدون الغرب في كل شي حتي في الكلام فان هذا يعني ان الانسان تنازل عن كرامته وانسانيته وقبل ان يهبط الي مرتبه الحيوان ولهذا قال تعالي بعدها (ان شر الدواب عند الله ...الخ

المبحث الثاني

(ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمه انعمها علي قوم حتي يغيروا مابانفسهم وان الله سميع عليم)

الامر الاول

ابتدات الايه باسم الاشاره (ذلك) لبيان ان سنه الله باهلاك المفسدين بسبب اعمالهم فالذنوب هي موشر وامارات الزوال للحضارات. ولهذا كان استخدام اسم الاشاره مناسبا بعد التهديد (فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديدالعقاب)

لان منبع الشر والخير من النفس وشرفها ودناءتها ولهذا كان اختتام الايه السابقه بالتهديد بقوه الله وشده عذابه لغرض ان يستقر الشعور بوجود الله في اعماق النفس الداخليه لتولد في النفس قوه التقوي والنفور مما يسخط الله ويغضبه بالشعور ان ذلك يعرض العبد لعذاب الله الشديد وذلك فيه شقاء وهلاك وبهذا تاخذ العقيده دورها وفاعليتها. وتاثيرها علي حركه الانسان يبدا التغيير من داخل النفس بطاعه امر الله واجتناب مانهي عنه الله فالسعاده تكون بهذا التغيير والتحول لان الله تكفل بنصره من ينصره واعزاز من اعزه

ولهذا فان التحول والتغيير منبعه من داخل النفس ولهذا امر الله الانسان ان يكسر ويقمع اطماع نفسه اذا جمحت عليه لان النفس اماره بالسوء فان النفس اذا تركت دون تزكيه فانها لن تنقد لقائد العقل السليم والشرع الصحيح فمن اعطاه الله جاه او سلطان او مال فصار مسموع القول فعليه ان يدرك ان تلك نعمه من الله ابتلاه الله بها لينظر ايشكر ام يكفر هل يودي حق النعمه ام يبطرها فاراد بالاشاره الي اخذ الله الكفار بالعذاب ان تحذر الوقوع فيما وقعوا به فبدايه الهلاك من النفس اذا انشغلت بالنعمه عن المنعم فهذا كفر بالمنعم تضع فيه نفسك

في حرب مع الله بمخالفه شرعه وكفر نعمته وانت لاطاقه لك ولاقدره في دفع نقمه الله وغضبه فهو قوي شديد العقاب كيف تغضب الله وانت لاغني لك عن عفوه ورحمته فانت في افتقار له سبحانه وتعالي علي الدوام فانت تعيش في ارضه وتتنفس من هواءه وتشرب من ماء ه وتاكل من انعام ساقها الله لك انتبه من تغتر عندما تراس قوم فتقول اني مطاع فيما امر وتغتر بالسلطه كما فعل ابوجهل الذي تخيل انه له عظمه وكبرياء وهو يري قله عدد المسلمين فان ذلك سبب هلاكه

ولهذا فان الشعور بوجود الله في النفس تعني ان الفاعليه ايجابيه لان المسلم اذا انعم الله بجاه او سلطان او مال فانه لايغتر ولايتكبر علي الحق ولايظلم من هم دونه لماذا؟

لانه ينظر الي عظم ملك الله فوقه وقوه الله وقدرته منه علي مالايقدر عليه من نفسه فان هذه النظره لربه انه قوي شديد العذاب يخفض مطامعه ويرجع ماغاب عن عقله فيرجع الي الصواب

الامر الثاني

تقرر الايه عدل الله في معامله العباد بانه لايسلبهم اي نعمه انعمها عليهم الا اذا حدث تغيير في انفسهم وسلوكهم وتبديل اوضاعهم فان ذلك موجب زوال النعم وهذا فيه

المفهوم الاول

الدعوه الي تزكيه النفس وتطهيرها من الرغبه في البغي والظلم والعدوان فمنبع الخير والشر هو النفس لان اصل الرغبه والرهبه من النفس ومرهون بشرفها ونبلها او خستها ودناءتها فان منبع التغيير من داخل النفس فالنفس الشريفه لاتقبل الظلم ولاترضي به وصاحبها يسعي الي تنميه نفسه وتزكيتها علي الدوام

المفهوم الثاني

عليك ان تحرص علي ان تنصف ربك وتنصف الناس من نفسك فالمسلم يفتش مافي نفس من اوساخ. ويطهرها ويحاسبها قبل ان تحاسب فلا يظلم احد لانه يدرك انه ان فعل ذلك فقد ارتكب موجبات خصومه الله لان الله متكفل بحمايه عباده من الظلم فهم خصم الظالم. ومن خصمه الله ابطل حجته وظل في حرب مع الله حتي يقلع عن ظلمه ويتوب فاي نظام لايلتزم منهج الله بالخروج عنه او يرتكب الظلم بحق الرعيه فان نهايته هي الزوال لانه لم يحفظ نعمه الله ولم يقم. بواجب النعمه فالظلم اهم الاسباب الداعيه الي تغيير نعمه الله وتعجيل نقمته فان الله سميع. لدعوه المضطهدين وهو عليم بالظالمين ويقف لهم بالمرصاد

الامر الثالث

تقرر الايه قاعده بقاء النعم او سلبها بانه مرهون علي سلوك الانسان فاذا قام بواجب النعمه (شكر المنعم) فان هذا قيد يقيدها به اما اذا انشغل بالنعمه دون المنعم واستغل النعمه في معصيه الله فان المعاصي اسباب شرود النعمه وسلبها عن العبد ولهذا فان المسلم يطلب من الله تمام النعمه وهو ان يرشده الي شكر ربه وان يعرفه بها لان الانسان قد يكون في نعمه وهو لايشعر بها وهنا تكمن المصيبه ولهذا قيل نعمتان مغبون بهما الناس الصحه والفراغ فمن كان صحيحا لايشعر بهذه النعمه لكن اذا مرض عندها يشعر بقيمه النعمه وخفاء معرفه النعمه افه عظيمه فهو لايشعر بما فتح الله عليه ولهذا فلا يكتفي باهمال واجب النعمه بشكر المنعم بل انه يصير في اغلب الاوقات عدوا لما انعم الله عليه فكم من انسان تاتي له النعمه وهو مجتهد في ردها وصدها وكذلك فان الانسان قد يصاب بالملل من النعمه وهذا داء خطير يهدد بسلب ما انعم الله عليه ولهذا فان اراد الله به خيرا عرفه اياها كان يسلبها عنه لمده فيشعر بقيمه النعمه التي هو فيها ثم يرجعها اليه بعد ان عرف قيمتها اما اذا لم يريد الله به

خيرا فانه يسلبها عنه ولهذا فاللازم الحذر من. البطر للنعم والحذر من التكبر والانحراف باستعمل النعم فيما يغضب الله وعليك ان تدراك ان الله يسمع كل شي ويحيط علما بالنوايا فهو سميع عليم

المبحث الثالث

يبين ان عاده الكفار انهم يجحدون النعم فاهل مكه انعم الله بان اطعمهم من جوع وامنهم من خوف ...ورزقهم من الطيبات بان جعل افئده الناس تهوي اليهم وختم هذه النعمه بنعمه اختيار مكه لتكون منطلق خاتم الرسالات ومكان ولاده خاتم الانبياء لكنهم لم يعرفوا قيمه النعمه فاذوا الرسول صلي الله عليه وسلم فهاجر الي المدينه وقد بطروا النعم فاهلاكهم الله كما قال في موضع اخر (وضرب الله مثلا قريه كانت ءامنه مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون) فهذه هي طريقه الكفار وسلوكهم في كل زمان ان يجحدوا النعم ولهذا قال تعالي (كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون وكل كانوا ظالمين)

ففرعون وقومه كانوا في مصر الارض الزراعيه الخصبه والانهار تجري من تحتهم لكنهم كفروا نعم الله عليهم فاهلاكهم الله فهذه هي سنه الله باهلاك المكذبين واغرق ال فرعون في البحر ونجي موسي واصحابه فالله يهلك الظالمين بعد ان يمهلهم

المقطع الرابع من سوره الانفال

(ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايومنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مره وهم لا يتقون فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانه فانبذ اليهم علي سواء ان الله لايحب الخائنين ولايحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لايعجزون

الدرس الاول

اراد بهذا تحرير المسلم من الخوف والحساسيه في اقامه علاقه مع الاخرين ولهذا ترسم الايه للمومنين السياسيات الدوليه في التعامل مع الدول الاخري التي يتم قبولها بالعدل الذي جاء به الاسلام وترك الحريه للمواطنين في اختيار المعتقد فطالما انتهت عن الظلم والاستبداد واحترمت حريه الانسان وفكره من خلال قبول الميثاق الذي جاء به الاسلام ليكون دستورا للعالم اجمع فقال تعالي (وقاتلوهم حتي لاتكون فتنه ويكون الدين كله لله)الانفال وقال في سوره البقره (وقاتلوهم حتي لاتكون فتنه ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا علي الظالمين)

وقبول الميثاق الذي جاء به الاسلام لتحرير الانسان والارض لايشترط ارغام العالم علي اعتناق الاسلام وانما يعيد للانسان كرامته وحريته وانسانيته ويترك له حريه اعتناق الاسلام او غيره وهذا الميثاق هو الوسيله للخلاص من الظلم من خلال الدخول في عهد مع المسلمين باعتبار القياده للبشريه قد انتقلت الي امه الاسلام والمشروع الاسلامي يمثل الحضاره الشرعيه المعبره عن مراد الرب ولهذا امر المسلمين

بالكف عن قتال من انضم الي المعاهدات التي يدعوهم الاسلام الي اقامه نظام العدل والحريه واحترام حقوق الانسان فان هذه الدول يمكن التعايش معها وانه يجب صيانه العهود واقامه علاقات مع هذه الدول طالما انها التزامت بالمواثيق والعهود وتعاملت معها بجدية

ولهذا كان مجي الايه بعد تناول سنه الله في اهلاك الكفار والقضاء علي الحضارات الوضعيه الظالمه فقال تعالي (وكل كانوا ظالمين)

فذكر بعدها اوصاف متعلقه بالحضاره العبريه التي نشاءت بعد هلاك وزوال الحضاره الفرعونيه فقال تعالي (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايومنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مره وهم لايتقون)

فذكر خصال اجتمعت في هولاء الذين وصفهم بانهم شر الدواب هي

1/الكفر ---2الاصرار علي الكفر بحيث لايرجي معه ايمان --- نقضهم العهود وعدم احترام المواثيق و لايتعاملون معها بجديه

فاراد بهذا بيان الاتي

الامر الاول

وضع تعريف لمفهوم الحضاره الماديه الوضعيه ومفهوم الحضاره الشرعيه

حتي لاينخدع المسلمين بالذين ينتسبون الي الاديان نظرا لان الايات السابقه قد عرفت الحضاره الوضعيه بانها تلك التي برزت في التاريخ مجرده من الدين او محاربه له..

ومعلوم ان حضاره اليهود كانت في بدايه الامر قائمه علي الرابط بين الديانه والتاريخ لكن بني اسرائيل

كانوا بين الحين والاخر ينقضون العهود ويخالفون الديانه وكانوا يتعرضون لغضب الرب وعذابه وهكذا استمر حالهم وكان منهم تحريف التوراه وتزيف الحقائق فهم مفسدون في الارض الي نهايه عصر الدجال

ولهذا يخاطب الله المومنين بان هولاء ضمن الظالمين الذين. يجب الاحتياط منهم فكل من اجتمعت فيه هذه الخصال الثلاث الكفر والاصرار علي الكفر ونقض العهود فانه يتوقع منه الشر فلا تامن لجانبه فمن اتصف بهذه الخصال كانت حركته شر محض تهدد البشريه والارض فحركته هي اشر الشر من كل من يدب علي الارض فقال تعالي (ان شر الدواب عند الله)

ولم يقل شر الناس بل قال شر الدواب. لتشعر انه اخطر من الوحوش المفترسه فاحذر منه انتبه ان تنظر اليه بعواطف الانسانيه اذا ظفرت به في الحرب فعليك ان تغلظ عليه بالعذاب ليكون عبره لمن يتبعه فتردعهم عن الشرورلانك لو تساهلت معه فانه لن يتردد في ارتكاب ابشع الجرائم

فحركته كلها شر ولهذا قال (ان شر الدواب) للاشعار انهم بمعزل عما يتحلي به الناس من العقل وتدبر الامور لان لفظ الدواب تطلق علي كل كائن حي من يعقل ومن لايعقل لان الحضاره الماديه تهدف الي تجريد الانسان من انسانيته وتحدده في اطارها المادي المجرد

ولهذا كان هذا التعبير(ان شر الدواب) فيه زياده توبيخ لهم لان حركتهم ليست شر حركه بين الناس فحسب بل شرها يفوق كل الكائنات الحيه التي تداب علي الارض للاشاره الي ان حركتهم ذات فاعليه سلبيه لان من صفات الكائن الحي ان يتحرك لكن ماهي نوع الحركه هل هي سلبيه او ايجابيه ومجي هذه الكلمه فيها الاشاره الي الكائنات التي لها صفه الحياه وحركتها هل هي نافعه ام ضاره هل تنسجم مع طبيعه تكوينها والغايه التي خلقت لها وقد ذكرت هذه الكلمه في القران بين دابه ودواب 18مره وقد اخبرنا الله ان نزول الماء واختلاطه بالتراب يبعث الحياه فقال تعالي في البقره (ومانزل الله من السماء من ماء فاصاب به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابه)

عمليه تحدث باستمرار وهي ايه عظيمه تدل علي الخالق فقال تعالي في موضع اخر (وفي خلقكم وما بث من دابه)وقال تعالي (والله خلق كل دابه من ماء) وقال (وجعلنا من الماء كل شي حي) واخبرنا ان من يدب علي الارض امم وفصائل فقال تعالي (وما من دابه في الارض ولاطائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شي .----الخ

فالجميع سوف يحشر فالله يقول في موضع اخر (واذا الوحوش حشرت)

لكن الوحوش والحيونات يكون اقتصاص كلامنها من الاخر ثم تصير ترابا ولهذا فان الانسان الذي يسقط منه الوعي يتمني لو انه. كان ترابا فسقوط الوعي جعله اقل مرتبه من الحيوانات والحشرات فجميع الدواب يسيطر الله عليهم وهو ياخذ بناصيتها (وما من دابه الا هو اخذ بناصيتها)

وقال تعالي في موضع اخر (ولله يسجد مافي السموات وما في الارض من دابه والملائكه وهم لا يستكبرون)

فالفاعليه الايجابيه تكون اذا بالاذعان والخضوع والاستسلام لامر الله باستقبال امر الله بالتعظيم و الخشوع والتفاني في خدمه البشريه طاعه لله فهذه الفاعليه هي التي تعيد للانسان انسانيته المفقوده بفعل الحضاره الماديه التي جردت الانسان من انسايته ويستعد كرامته وحريته اذا تحرر من الالهه الباطله والاهواء وبهذا يصون طاقاته لانه وجهها الي خالقها فاشبع اشواق النفس الخفيه ويقنع العقل يستعيد الانسان مكانته اذا قام بواجب مسؤوليه العقل بشكر الله وسعي. بتحقيق الهدف والغايه التي

خلق لاجلها وهي عباده الله فاذا لم يعقل ولم يتدبر ولم يفكر في الهدف الذي خلق لاجله فانه يصير شر محض بل هو في حركته اشد شرا من كل ما يدب علي الارض الذين جعل الله الغايه من وجودهم هو خدمه الانسان فذلك التسخير هو عباده تلك المخلوقات ولهذا فان سقوط الوعي عن الانسان بربه يجعله شر المخلوقات التي تدب علي الارض فالله يقول في موضع اخر (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون)

فالله غني كريم لايخدعنا ولايقهرنا بالباطل ولهذا فان الاعمال التي كلف الانسان بها فيها تحرير الانسان من داخل اعماق النفس لايصل اليها الا التوحيد والايمان الذي يقتلع الجراثيم التي يستنبتها ويستكثرها الطغاه ثم يسلم زمام النفس لرب العالمين الذي لن يستغل الطاعه لصالح طبقه ا. قبيله ا. و حزب او جنس فقال تعالي في موضع اخر (تلك الدار الاخره نجعلها للذين لايريدون علو ا في الارض و لافساد والعاقبه للمتقين)

فكلما حرص المومن علي عقيدته كلما ترك الشرك

الامر الثاني

يدعو ا الاسلام المسلمين الي جعل فكره الايمان بالله مهيمن علي كل شي ويجعل فكره اصلاح الارض ومافيها ومعالجه المشاكل قائمه علي فلسفه الايمان ولهذا تحذر الايه من سلوك اليهود الذين رفضوا قبول الحق رغم معرفتهم به ونقضوا العهود التي ابرمت معهم فقد ذكر العلماء ان الايه نزلت في يهود بني قريظه ومنهم من قال انها نزلت في يهود بني النظير لان من كان هذا شانه فقد فسدت فطرته فلا تثقوا في التعامل معهم فمن نظر للاشياء علي اعتبار انها غايات نهائيه وحقائق ليجعل الامر محصورا في المحسوسات الماديه فهذا شي يتصادم مع فكره الايمان تصادم عنيف كيف لهولاء الادعاء بانهم اهل دين وانهم يومنون بالله وباليوم الاخر وهم لم يصدقوا بنبوه الرسول صلي الله عليه وسلم حسب امر الله لهم اليس ذلك يعني تنحيه الله عن افكارهم عندما لم يقبلو امره بالانتقال الي القران في قراءه مراد الله فكيف ينحي المرء عقيدته تماما في وقت ما ولايومن بما جاء فيها ويزعم انه لا يومن الا بالمحسوس بطلب المعجزات ثم في وقت اخر يومن بالغيب

ان كفر اليهود برفض القبول بدين الاسلام لان النبي الخاتم لم يكن منهم يدل علي تنحيه العقيده جانبا وحلت محلها عقيده الكفر وهذا قد ترتب عليه افساح المجال لفكره الكفر والماده ان تحل محل العقيده فهم يعيشون في عالم منقطع عن الاخره فلا تراهنوا علي ايمانهم بالله وباليوم الاخر لان من كان ذلك هدفه اللع الله واليوم الآخر فانه لن يفرط بالقيم ولن يخون العهود فعهد الكتاب وعهد النبيين يوجب عليهم الايمان بالرسول صلي الله عليه وسلم وتبينه للناس لكنهم خانوا العهد وكذلك هم ينقضون العهود في كل مره فهم شر الدواب عند الله لانهم لايخافون غضب الله وسخطه فقال تعالي (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مره وهم لايتقون)

عاهدت مضمن معني الاخذ ولذا عدي بمن (منهم)

قال الالوسي الذين عاهدت منهم---بدل عن الموصول الاول او عطف بيان او نعت او خبر مبتدا محذوف او نصب علي الذين وعائد الموصول

منهم لجمع المجرور والمراد بعاهدتهم ومن للايذان بان المعاهده التي هي عباره عن اخذ وعطاء من الجانبين

وهذا يتفق مع مفهوم الاتفاقيات المبرمه بين الدول فلها شرطان اخذ ..وعطاء تبادل مصالح ماديه

ومعنويه فلا يمكن ان يقوم طرف من الاطراف بالعطاء ولاياخذ فلا يمكن ان تفرض علي طرف ان ياخذ ولايعطي فقد اقام الرسول صلي الله عليه وسلم مع يهود المدينه معاهدات مايشبه معاهدات الدفاع المشترك القائمه بين. الدول حيث ان اجتماعهم في المدينه كان عاملا مشترك جمعهم علي مصلحه الحفاظ علي الوطن الذي يعيشون فيه جنبا الي جنب لكن اليهود كانوا في كل مره ينقضون العهود ويحصل منهم الخيانه بالتامر مع المشركين وتقديمهم العون للمشركين بالعتاد والسلاح وهذه خيانه ولهذا جاء العطف ب (ثم ينقضون) للايذان بالتفاوت الشديد بين ما اخذ عليهم وبين ما اعطاءهم

فالمسلم يحافظ علي عهده ولايخون ولايغدر بينما هولاء يتخذون من العهود وسيله للامان ولكنهم لا يتعاملون مع ذلك بجديه فذكر نقضهم للعهود بصيغه المضارع للدلاله علي تجدد الفعل منهم باستمرار وعلي تعدد النقض في الحال والمستقبل لبيان ان صفه الغدر فيهم لاصقه فاراد بذكر الخصال الثلاث كفرهم.. واستحاله ايمانهم ---ونقضهم للعهود بيان للاتي

المفهوم الاول

تهدف الايه الي بيان ماهو مفهوم مبدا القواسم المشتركه في التعامل مع كافه الاقوام والاجناس الذي نهجه الرسول صلي الله عليه وسلم منذو ان بعثه الله تعالي لاصلاح العالم فقد استطاع ان يعامل المشركين واليهود وكل الاجناس والاقوام بان جعل لكل قوم من الاقوام معني خاصا بالقواسم المشتركه التي امر الصحابه بقبولها والاقتداء به لينالوا نصيب من الاخلاق الفاضله ولاجل ان يطوعوا انفسهم علي القبول بالاخر ضمن اطر معينه وضوابط محدده لاجل ابراز عالميه الاسلام وشمول نظرته للاخرين ومفهوم القواسم المشتركه مهم باعتبار ان القياده انتقلت الي امه الاسلام لابد من التعايش و المخالطه مع سائر الامم ولابد من القبول بالاخر لخدمه الاجتماع الانساني وتنميه جوانب الخير ولهذا لابد من خلق قواسم مشتركه فالرسول صلي الله عليه وسلم كان يهادن المنافقين ويصلي عليهم وعندما اراد عمر ان يقتل ابن ابي راس النفاق قال له الرسول صلي الله عليه وسلم لايقول الناس ان محمد يقتل اصحابه)

فالرسول عليه الصلاه والسلام كان يحافظ علي اجتماع المسلمين والجبهه الداخليه وكذلك كان يشجع التعايش ومخالطه غير المسلمين

والقبول بالاخر ولهذا يضع الحق قواعد لذلك حتي لايفهم البعض ان الاقتداء بالرسول صلي الله عليه وسلم يعني القبول بالراي الاخر او الانطواء فيه وانما تجاوز مسببات التصادم واقتناص العلاقات لخدمه المشروع الاسلامي بابراز عالميته وتعريف الناس بقيم ومبادي الاسلام من خلال مد جسور الصداقه ولهذا يحذر المسلمين من الاطمئنان لليهود او الانخداع بكونهم اهل دين او انهم يومنون بالله واليوم الاخر فينظروا لذلك انها قواسم مشتركه ولهذا يقول لهم ان تمسك هولاء بحضارتهم وديانتهم رغم توقف العمل بها بمجي الرساله الخاتم التي حصلت علي الاذن الرباني لتكون هي الحضاره الشرعيه في العالم التي تمثل مراد الله وبالتالي فان تمسك اليهود والنصاري بحضارتهم يعني انهم يعملون وفقا لمراد المشروع الشيطاني وليس وفقا لمراد الله فالقراءه من داخل تلك الديانات لم تعد تمثل القراءه باسم الرب وانما هي قراءه باسم الشيطان او الماده او الشرك والجحود فجميع الحضارات قد اخفقت في تجسيد مراد الله في كونه الفسيح وعملت علي تجسيد مراد الشيطان ولهذا وصف اهل الكتاب من اليهود والنصاري بالكفار المبدلين والمغضوب عليهم والضالين وقد دعاهم الله الي اعاده النظر في ثوابت قراء تهم لتنطوي ضمن التحديد الرباني بلغه القران فقال تعالي في موضع اخر (ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم)

لكن لم ينصت منهم الا افراد قليلون اما الاغلبيه فقد بقوا متمسكين بحضارتهم المنحرفه ولم تقبل الاستجابه والتصديق بنبوه الرسول صلي الله عليه. وسلم والتحول الي القران ولهذا فقد نزعت عن حضارتهم صفه الشرعيه ولم تعد صفه انتسابهم الي الاديان من القواسم المشتركه فهم اشد كفرا من غيرهم من اهل الشرك فلا يرجي منهم خير

وكذلك فان هولاء لايحترمون العهود والمواثيق التي تتضمن القواسم المشتركه الذي يجمعهم مع المسلمين نظرا لان هنالك علاقات تجاريه بين اليهود والمسلمين في المدينه ووووطن يجمعهم السكن فيه وغيرها من المصالح ومع ذلك فان هذه المواثيق والعهود تنتهك من اليهود في كل مره فهم لايتقون مسببات التصادم التي اوجدتها العهود فهم يتامرون ضد الاسلام في كل الاوقات ويسعون لاستغلال العلاقات التي تربطهم بالمسلمين للقضاء علي الدوله الاسلاميه وبث سموم الفتنه لنزع قوه المسلمين و التامر مع الاعداء فحركه هولاء شر كلها لاخير فيها فهم شر الدواب فلا تطمئن لهم ايه المسلم فكن في يقظه

المفهوم الثاني

ترسم الايات الخطوط الرئيسه للسياسيه الخارجيه في الاسلام لان ذلك فن تحقيق اهداف الدوله من خلال استغلال العلاقات لخدمه المشروع الاسلامي وهذا الامر موهبه مصقوله بالعلم وفهم السنن مع نفاذ البصيره وهذا يحتاج الي سعه افق وعمق ادراك وغيرها من مقتضيات نفاذ البصيره ونظرا لان الدوله تنطلق في رسم سياساتها الخارجيه من خلال واقعها الذي يصوغ تطلعاتها ويحدد اهدافهاوهذه الاهداف تصوغ سياستها الخارجيه وهي حين تسعي الي تحقيق اهدافها فانها تسعي وسط مجتمع يتكون من دول عديده لكل منها اهداف تسعي الي تحقيقها وهناك مصالح تلتقي حولها الدول ولهذا كان عندما وصل الرسول صلي الله عليه وسلم الي المدينه وبدا بانشاء دوله الاسلام قام بثلاثه اشياء

1/بناء المسجد 2الموخاه بين المهاجرين والانصار 3/ تحرير المعاهدات مع اليهود الذين كانوا جزء من مكونات المجتمع المدني

فالمواقف السياسيه ليست نزعات شخصيه وانما خلاصه لتقديرات حسابيه تجريها القيادات المسئوله في كل مرحله من المراحل وتخضعها للحذف والاضافه وتجري عليها اختبارات الملاءمه المستمره حتي تستطيع هذه القيادات ان تعبر بصدق وايجابيه عن المصالح للدوله التي تتصدي للدفاع عنها

ولهذا تبين الايات ان اليهود لم يعد لهم علاقه بالاديان والحضاره الشرعيه وقد انقطع الصله بينهم وبين الحضاره الشرعيه فقد اصبحوا جزء من الحضاره الوضعيه بل هم يمثلون نموذج للشر الذي يفوق شر الحضارات الماديه يستبعد معه احتمال اي ثقه فيهم او الاطمئنان اليهم او العمل معهم حتي في المجالات الخيريه بعد وقوفهم محاربين للاسلام والرسول صلي الله عليه وسلم وبعد التامر الذي حصل منهم ضد الاسلام واخفاء نبوه الرسول صلي الله عليه وسلم التي في كتبهم فلم يعد هنالك متسع للاشتراك معهم في اي اتجاه بعد انحيازهم الاعمي للمشركين وتشجيعهم المشركين في حربهم ضد المسلمين

وانما كان اجراء المعاهدات معهم باعتبارهم جزء من مكونات المدينه المنوره فالسياسيه الخارجيه تنطلق من الواقع التاريخي والجغرافي فهي تضع في اعتبارها مصالح الدول الموثره في الموقف المحيط بها فلا تقفز فوق هذا الواقع ولما كان اليهود لهم تاثير علي المدينه ولهم احلاف مع الاوس والخزرج وكان هنالك نسبه كبيره من الانصار مازالوا علي الكفر وكان اليهود عنوان الاديان والعلم به في ثقافه العرب ولهم علاقات تجاريه مع الكثير من الانصار

فالدافع لهذه المواقف هو مراعاه الواقع والظروف المحيطه بدوله الاسلام التي بدء الرسول صلي الله عليه وسلم ينشاها في المدنيه

وحمايه مصالح الدوله واهدافها. فالمصالح هو القاسم المشترك وليس لان اليهود يجمعهم مع المسلمين رابطه دين او ايمان او انهم اهل حضاره دينيه ولهذا تبين الايه ان اليهود لم يعد لهم علاقه بالحضاره الشرعيه فقد انقطع الصله بينهم وبين الحضاره الشرعيه باخفاقهم تجسيد مراد الله برفضهم التسليم بقبول اختيار الله لامه العرب بحمل رايه الهدايه وقياده العالم في اخر الزمان واصرارهم علي التمسك بدينهم رافضين الانتقال الي القران في قراءه مراد الله بعد اعلان توقف العمل بالتواره والانجيل فقد صاروا جزء من الحضاره الوضعيه التي يقودها ابليس بل هم يمثلون نموذج للشر الذي يفوق كل الشرور يستبعد معه اي احتمال للثقه بهم او الاطمئنان اليهم او العمل معهم حتي في المجالات الخيريه بعد وقوفهم محاربين لدين الله والنبي صلي الله عليه وسلم وتشجيعهم كفار قريش علي التطاول علي الاسلام والتنكيل بالمسلمين نتيجه التعصب الاعمي الذي جعلهم ينحازون لاهل الشرك وذلك بزعمهم ان عقيده الشرك اهدي من الاسلام عندما طلب منهم المشركين اخبارهم من هو علي الحق فقال تعالي (الم تر الي الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هولاء اهدي من الذين امنوا سبيلااولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا لايوتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس علي ماءاتاهم الله من فضله.....الخ

ولهذا تحذر الايه المومنين من الخيانه فهي مرض عضال عواقبها وخيمه فاليهود نقضوا عهد الله المأخوذ علي النبين بالإيمان بالرسول ونصرته وكذلك نقضوا ما عهدوا إليه في ميثاق الكتاب بتبينه للناس لكنهم اخفوا نبوه الرسول وهم بذلك قد خانوا الامانه فهم لم يكتفوا بكتمان مافي كتبهم من امارات الرسول صلى الله عليه وسلم بل لجأوا الي محاربه الاسلام وتغطيه الحقائق ولهذا قال تعالي (أن شر الدواب الذين كفروا فهم لايومنون)

فمن يعصي ربه ويستمر علي العصيان ويصر عليه فقد خان الامانه فالخيانه لغه نقض الامانه من خان يخون خيانه فهو خائن ويقال خنت فلان وخنت أمانته

واصطلاحا مخالفه الحق بنقيض العهد في الشر وقيل هي الاستعداد لخيانه ما يؤتمن الإنسان عليه من الأموال والاعراض والاتفاقات وكل ما يجب عليه الحفاظ عليه فخيانه الإنسان لربه هو معصيه الله والاستمرار علي العصيان ولهذا تبين الايه هنا كفر اليهود وخروجهم عن دائره الايمان لنقضهم عهدهم مع الله لقد خانوا المسؤوليه التي كلفوا بها بموجب ميثاق الكتاب واضلوا اتباعهم برفضهم الانطواء تحت رايه الاسلام وهو ما يجب أن يحذر منه المسلمون فاللازم أن تحرص علي وقايه نفسك وأهلك من النار فأنت مسؤل عن انحرافهم إذا لم تقوم بواجبك فرب الاسره مسؤل عن انحراف أسرته والمعلم عليه أن يدرك أنه إذا قصر في عمله فإنه قد خان الامانه والطبيب والمهندس والقاضي ...كل واحد فالله يقول (قوا أنفسكم واهليكم نارا)

وكذلك احذر من خيانه النفس بالاصرار علي الذنوب فالله يعلم خائنه الأعين وما تخفي الصدور ولهذا فإن عدم مقاومه نوزاع النفس خيانه لها فالحسد دفع اليهود الي خيانه عهدهم مع ربهم فقالوا المشركين أنهم اهدي من المسلمين طريقا للوصول الي الله وهذا فيه خيانه منهم للعهد بينهم وبين ربهم وكذلك خانوا ثقه العرب فيهم عندما استشاروهم بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين فقالوا لهم أنهم هم اهدي منهم وهذه خيانه لأن الذي يشير غيره بغير الصواب فقد خان فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال من استشارة اخوه المسلم فاشار عليه بغير رشد فقد خانه) فالمستشار امين فمن يزكي فاسقا أو مشركا أو ينصح غيره بما يوذيه في الدنيا والاخره فهو خائن

امانه بل إن من يفشي سرا فهو خائن فالخيانه تدل علي ضعف الايمان وانعدامه ولهذا تبين الايه هنا كفرهم وخروجهم عن دائره الايمان وانهم اسوء حالا في شرهم من كل مايدب علي الارض لان هناك من الكفار من يحترم عهده ويلتزم الوفاء به اما هولاء فلا ايمان لهم ولاعهود ولاموثيق فهم يسعون لهدم كل القيم والتقاليد الايجابيه والنافعه لكل الزواجر النفسيه التي تستكمل نقص القوانين الوضعيه فقال تعالي (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مر ه وهم لايتقون)

فالايه تحذر من الخيانه فهي مرض عضال إذا تمكنت من الإنسان جردته من إنسانيته وجعلته اشد وحشيه من الوحوش فهو يهيم وراء ملذاته فقط ولا يبالي بشي اخر ولهذا وصفهم الله بأنهم شر الدواب فلا يمكن الثقه بالخائن

الدرس الثاني

عليك ان تدرك ان الدوله هي صاحبه الحق في اختيار الاسلوب المناسب في تحقيق اهدافها ومصالحها اما بالحرب او السياسيه فاذا اختارت اسلوب السياسيه فعليها ان تسعي بلا ملل بشكل مستمر لاقناع الطرف الاخر بعداله قضيته والاطمئنان علي المصالح المتبادله لان مفهوم السياسه يتسع لمحاوله تبادل هذه المصالح مع الغير بالاخذ والعطاء

ولهذا يقول الحق (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مره وهم لايتقون)

لبيان ان الرسول صلي الله عليه وسلم قد بذل جهودا حثيثه لاجل تحقيق اهدافه بواسطه اسلوب السياسه ولكن دون جدوي فقد كان اليهود ينقضون العهود في كل مره فهم لايتجنبون مسببات التصادم ولايحترمون العهود وانه لم يعد هنالك اي مجال لاي تعاون معهم لان التعاون لايكون بين النقضين المتناقضين في كل شي في المنهج والاسلوب وفي الهدف والمصالح حيث لامجال للتعاون وبالتالي فلا مجال للظمانات حيث وان اليهود اما علماء جعلهم الحسد يخفون الحق ويسعون جاهدين لمحاربته واما عوام تابعين لاحبارهم واعتقادهم انهم شعب الله المختار وانهم لايحاسبون علي اعمالهم مهما كانت وامه كهذه لاتبالي بقتل الانبياء ونقض العهود علنا ولاتعبا بما يقال عنها ليس النخبه والسلطه الحاكمه بل ذلك ظاهره استقرت فيهم فلاضمير فيهم فهو ليس سلوك علي مستوي الفرد بل سلوك سياسي علي مستوي الجميع حكومه وشعب حتي لو وجد فرد فيهم لديه ضمير فانه يضطر الي ان يتحرك حركه سلبيه حتي تنجسم طبيعته مع الجماعه ولهذا فانه من العبث ان تنادي هولاء بنداء الضمير والقيم والمبادي وهذا ليس غريبا عنهم فانت تشاهد كيف ان الصهيانه اليوم ينتهكون المواثيق والمعاهدات الدوليه ومهما حصل التنديد والشجب فهم لايبالون بنداء الضمير والانسانيه فلا الزام حضاري وانساني لديهم فهم شر المخلوقات لاقلوب لديهم ولاضمائر قد عجز المجتمع الدولي والمحاكم الدوليه اليوم وقف وحشيه وجرائم الشر التي ترتكبها بحق الفلسطنين فاي عهود يمكن لها ان تضبط وتلزم امه لاعهود لها فنداءت الضمير لاتنفع اذا لم يوجد قوه تفرض في المجتمع الدولي قوه الالزام بالقوه ولهذا تبين الايه انه في حاله اختيار اسلوب الحرب كقوه حمايه العهود والمواثيق فاللازم توجيه قوه الضربه المروعه لحمايه الحقوق وضمان تنفيذ المعاهدات والمواثيق

فقال تعالي (فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون)

الموضوع الاول

ابتدات الايه بذكر قاعده وقوانين تنظيم عقوبه الخيانه ونقض العهود المبرمه بين دوله الاسلام وغيرها من الدول اي معاهدات السلام او الدفاع المشترك او الوقوف علي الحياد اين كانت فقال تعالي (فاما

تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون)

فالفاء في قوله (فاما) لترتيب مابعدها علي ماقبلها حيث اثبت قبلها ان طبيعه من يتردد في الخيانه يصير لاعهد له ويكون محض شر لايرجي منه خير ولهذا اذا وجدتهم في ساحه المعركه وظفرت بهم في حرب لان الثقف يعني الحذق وهو ادراك الشي فانت مامور بتاديبهم بالضربه المروعه بلا رحمه حتي يكونوا عبره لمن وراءهم سواء كانوا اتباعهم او من دفعهم للتامر فالله يامر الرسول صلي الله عليه وسلم وهو امر لكل مسلم بان يضربهم تلك الضربه التي تحقق مبدا الردع والزجر اي ردع المجرم من ارتكاب الجريمه ضربه قويه مرعبه من شده قوه الرعب انه يكفي السماع بها ان يقلع من تسول له نفسه ان يتجرا علي خيانه الدوله الاسلاميه والمسلمين عن التفكير بالقيام بذلك فلا يتجرا احد علي التفكير في الخروج عن الدين فالكافر لو لم يتم النكال به فهو كثير الخيانه سريع الغدر ولهذا فلا تعاطف مع الخائن فالخيانه امر قبيح وهي تلحق اضرار عظيمه بالامنين يطعنك فيه الصديق من الخلف فاغلب هزائم الجيوش يكون وراءها الخيانه بترك الثغور مفتوحه اطمئنانا لصداقه من يقيم عند تلك الثغور ولهذا يضع الاسلام بين ايدينا هذه القواعد الصارمه للقضاء علي بؤر الخيانه واقتلاع جذورها وقد شاهدنا كيف ان العدو الاسرائيلي اخفق في غزه في الحرب الاخيره (طوفان الاقصي) نتيجه الموقف الصارم الذي اتخذته المقاومه ضد كل خائن

في حين حصل في لبنان ما حصل من قتل واغتيال قاده المقاومه لدرجه انهم استطعوا الوصول الي قيادتها فقتل وجرح ثلاثه الف في تفجير البيجر اجهزه الاتصالات نتيجه وجود خونه في صفوف المقاومه

فالخيانه في كل زمان وخيانه المنافقون اشد خطوره من خيانه اليهود فهي لاتظهر ولايمكن اكتشفها لانه يظهر الاخلاق الاسلاميه ويظهر سلوك الوفاء ويتكلم بلسان المجتمع وهو يبحث عن الفرصه ليغرس خنجره في ظهر صديق لايشك فيه ومطمئن اليه انه يختار المكان والزمان المناسبين بدقه ولهذا وجب الحذر منهم باستمرار ويجب الانتباه لهم والاستعداد باستمرار لان الخائن يسعي الي تسديد ضربته في مكان ووقت غير متوقع ولهذا يجب الاحتراس علي الدوام في كل الاوقات فالخائن يبيع ضميره ووطنه ودينه ومبادئه مقابل حفنه من المال فالخائن خبيث النفس لايرجي منه خير بعد مسخ فطرته فهو يستغل ثقتك به لاجل ان يضربك في ظهرك والتاريخ يحكي لنا ماحل بالمسلمين جراء الخيانه فابن ابي رجع بثلث الجيش في احد وكان فعله من اسباب الهزيمه وكذلك فان سقوط الدوله العباسيه بيد المغول كان خيانه الطوسي وابن العلقم . وكذلك سقوط الشام بسبب مسانده الامراء التتار وكذلك فان سقوط الاندلس وضياعها كان نتيجه خيانه ملوك الطوائف وحتي فلسطين لم تكن لتسقط لولا خيانه الحكام العرب الذين مازالو يمارسون جريمتهم حتي يومنا هذا ونظرا لبشاعه الخيانه يامر الحق المومنين بعدم التساهل في معاقبه الخونه بقساواه بالغه لان التهاون يعني فقدان الدول والدين قوه الردع وهيبتها وبالتالي جراه الاعداء علي اختراق صفوف الامه وتدمير قوه الدوله والحضاره فالمنهج الاسلامي حريص علي الحفاظ علي قوه الردع ولهذا يحذر من نزع المهابه من صدور الاعداء وقد ورد في الحديث ان الرسول صلي الله عليه وسلم قال يوشك ان تتداعي عليكم الامم كما تتداعي الاكله علي قصعتها قالوا امن قله نحن يارسول الله قال لا انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل يلقي عليكم الوهن قالوا وما الوهن قال حب الدنيا وكراهيه الموت وفي روايه وتنتزع المهابه من صدور عدوكم)

وقد شاهدنا كيف صار حال الامه عندما تركت الجهاد وعندما انقسمت صفوف المسلمين وطغي عليهم التعصب المذهبي والطائفي وحب السلطه والخوف علي ابار النفط ومظاهر الرفاهيه التي تعيشها بعض شعوب المنطقه لهذا لاعجب ان يتسابق حكام المسلمين علي خدمه اهل الكفر

ولاعجب ان نري الامه صامته علي ما يجري لاهلنافي غزه ولبنان فمن احب الحياه وكان منه كراهيه الموت فانه من الطبيعي ان يرفض الدفاع عن محارمه ودينه وعرضه ووطنه من الطبيعي ان يقبل صداقه الكافر وان ينفذ برامجه ويبرر تلك المواقف بالرغبه في السلام والتعايش مع الكافر ويدعي ان ذلك حكمه بل يزعم انه بذلك يخدم الاسلام والمسلمين والمقدسات للاسف الشديد

ان تخلي المسلمين عن دورهم في الدفاع عن دينهم ووطنهم واظهار الضعف كان باعثا لجراه العدو علي اختراق صفوف الامه فقد وصل الامر باعلان نتيناهو عزمه علي اعاده ترتيب المنطقه لتدور الدول العربيه في فلكه هذا كله بسبب التعلق بالدنيا والاستقرار المادي الصوري الذي صنعته وهئيته مراحل الاستعمار في الواقع العربي لمنع المسلمين من القيام بدورهم في تحرير الارض والانسان والذي لا يمكن ان يحدث بدون وجود قوه تقف امام الطغاه وتردع وتزجر كل من يتطاول علي الدين او يفكر في الخروج عنه

ماكان هذا ليحدث لو هنالك قياده عربيه تمثل امال الشعوب وطموحها

الموضوع الثاني

تهدف الايات تحصين المجتمع المسلم من العدوي بامراض المجتمعات الاخري لان الامر بالانفتاح واقامه علاقات وتبادل مصالح مع الدول الاخري يخشي من انتقال امراض تلك الامم الي امه الاسلام بالعدوي ولهذا نجد ان الايات تزود المومنين بهذه التوجيهات التي تعطيهم مناعه تمنع اصابتهم بالعدوي كما يتضح من الاتي

الامر الاول

تذكر الايه ان اليهود لايعيشون دون خيانه وان الغدر سمه اساسيه في نفوسهم فقال تعالي

(الذين ينقضون عهدهم في كل مره) فاستعمال الفعل المضارع ينقضون ..تفيد الاستمرار والتجديد والنقض ضد الابرام. اي افساد ما ابرمت من عقد اوبناء اي افسدته بعد احكامه واصل هذه الماده يدل علي النكث وقد عرفه الراغب بقوله (النقض انتثار العقد من البناء او الحبل من العقد وهو ضد الابرام ومنه استعير نقض العهد والعهد من الوصيه والامان والانفاقيات ولهذا يقال ذو عهد ومعاهد واصل الماده يدل علي الاحتفاظ بذلك وقال الجرجاني العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد حال والعهد هو الاتفاقيه التي يبرمها المسلم مع اي طرف كان مسلما او غير مسلم ولهذا كان مجي الايه بهذا الاسلوب الذي يرسم صوره قبيحه لحال اليهودلاجل ابعاد المسلمين عن الخيانه والغدر وتنظيف المجتمع المسلم من هذه السلوكيات القبيحه المذمومه التي تنزل بالانسان الي منزله حقيره ادني مرتبه في الحقاره و الخسه من كل مايدب علي الارض فكان استعمال الفعل المضارع مناسبا لهذا الغرض حيث فيه توجبه الانظار الي التاريخ لمطالعه واقع اليهود المستمر في الخيانه والغدر ومطالعه عواقب الغدر والخيانه والتاريخ ملي بهذه الاحداث ابتداء من تعاملهم مع موسي وقتل الانبيا ء وتحريف الكتب السماويه ونقضهم للعهود من بني قينقاع الذين تحرشوا بالمراه المسلمه وقد تم اجلاءهم من المدينه وبني النظير الذين اردوا ان يقتلوا النبي صلي الله عليه وسلم وبني قريظه فقد كانت الخيانه وراء توجيه الضربه القاصمه لهم لزجرهم وردع كل من يفكر ان يحذو حذوهم

الأمر الثاني

ان الامر بتوجيه الضربه المروعه لهم لاجل الردع والزجر تفصح عن بواعث واسباب الخيانه والغدر لدي اليهود بانها تعود لاسباب نفسيه وهي مغايره للاسباب التي تحدثت عنها ايات المقطع السابق عن خيانه

الفراعنه ومن قبله من الكفار التي كان الباعث لها الاستكبار والطغيان اما اليهود تعود الي اسباب نفسيه ناتجه عن احتقار النفس وخسه ودناءه نفوس اليهود فهم لايجرون علي اعلان الحرب وانما يستعملون اسلوب الخيانه بالطعن من الظهر وهذا اسلوب الجبان والخسيس لا الشجاع والشريف فمن تعمق في البحث عن اسباب الخيانه لدي هولاء يجد انها الحسد وقساوه القلب والذل والمسكنه مع ادعاءهم انهم شعب الله المختار فهذا يعود الي الشعور بالنقص والحقاره فمن خسه النفس والشعور بالذل والهون والحقاره يبعث علي فعل ابشع الافعال ولهذا نجد ان اليهود يسعون دواما الي تميع المسلمين وافساد اخلاق المسولين وتوثيق ذلك بافلام. واعداد ملفات فساد اخلاقيه وماليه ومن ثم استعمالها في تهديد الحكام والضغط عليهم حتي يقبلوا بالخيانه فهي تذهب المروه وتقتل الرجوله فيهم

ولذلك اخبرنا الله ان من اتصف بالكفر والاصرا.ر علي الكفر ونقض العهود ادني مرتبه من احقر شي يدب علي الارض. لان الخيانه من ابشع الافات وقد قال الماوردي لو لم يكن في ذم الخيانه الا مايجده الخائن في نفسه من المذله لكفاه زاجرا ولو تصور عقبي امانته وجدوي ثقتةلعلم ان ذلك من اربح بضائع جاهه واقوي شفعاء تقدمه مع ما يجده في نفسه من العز وما يقابل عليه من الاعظام فلا يقدم علي ارتكاب الخيانه من كان به بقيه من رجوله واخلاق حتي لو لم يكن له دين فان هنالك مانع يمنعهم من المكر والكذب والخديعه فهذا ابو سفيان قبل اسلامه عندما استدعاه هرقل وساله عن الرسول صلي الله عليه وسلم ...يرد عليه بكل صدق بان الرسول الصادق الامين ...يقول ابوسفيان ايم والله لولا مخافه ان يقال اني كذبت لما قلت ذلك بل حينما ساله هرقل هل يغدر النبي قال ابوسفيان كلا ومحمد لنا منه مده لاندري ماهو صانع فيها ...فابو سفيان اعتبر ذلك منه فرصه اصاب منها بانه لايعلم بحال النبي في فتره اقامته في المدينه محاوله منه لتقليل شان النبي

فاذا كان هذا المشرك لايقبل ان يكذب فهو يخاف علي سمعته فكيف بمن يدعي الانتساب للاديان ان يغدر ويخون ويكذب وللاسف لقد تسربت هذه الافه الي سلوك بعض المسلمين اليوم للاسف الشديد ولهذا كان وصف اليهود بانه اشر الشر علي الارض لان الدين لم يردعهم عن نقض العهود

الأمر الثالث

ان يحذر المسلمين اثناء التعامل معهم فلا ينخدعوا بابرام الاتفاقيات مع اليهود ولهذا نجد ان الايه ابتدات بذكر اهميه توجيه الضربه المروعه للخائن ثم تعرج علي ذلك بذكر الحكم

المتعلق بحاله الخوف من نقض العهد وتوقع الخيانه منهم في اي لحظه

(واما تخافن من قوم خيانه فانبذ اليهم علي سواء ان الله لايحب الخائنين)

انه بالوقوف علي الايه والحكم الوراد فيها نجد ان الايه فيها عده توجيهات

التوجيه الاول

ان اللازم علي الدوله المسلمه ان تكون في حاله يقظه فالعلاقات الخارجيه والسياسات الدوليه لاتبني علي التشنجات والانفعالات بل علي المصالح (القواسم المشتركه) والايمان يمنع اصحابه من الخيانه بينما اهل الكفر تقوم سياساتهم علي فكره علاقات الصداقه المرحليه وهي تتسع للغدر والخيانه فبمجرد ما تنتهي المصالح بينك. وبينهم فان نقض العهود سمه اصليه من سماتهم وهم سريعي الغدر ولهذا يجب علي المسلم ان يكون مستيقضا عليه ان ينظر للموشرات ان يلتقط الاشارات التي تنذر بوجود خيانه وغدر فاي ازمه لابد ان يسبقها تنبيه مبكر عبارات عن انذرات اذا لم تعط العنايه التي تستحقها فانها تودي الي خلل يصعب تداركه واحتواه بعد ذلك ولهذا فان هذه الاشارات تستوجب

تحصين الثغور بالعده المانعه والقوه الدافعه حتي لايفاجئك الاعداء علي حين غره ولهذا لابد من انشاء جهاز رقابه مخابرات يجمع المعلومات يرتبط بجهاز يطلق عليه حاليا فريق الازمه مهمته تتبع الاحداث وتحليلها بعمق تجنبا لحدوث ازمه وهذا يتطلب وجود المعلومه وحسن الفهم للمتغيرات التي تحدث في المحيطين الدولي والمحلي لان اهداف الدوله ترتبط بظروف داخليه ودوليه متحركه ومتغيره نتبجه تلاقي عوامل تتفاعل مع بعضها لكل منها مقدمات تجعل من السهل استخلاص التقديرات السياسيه المتوقعه منها ومن ثم الاستفاده من هذه التقديرات في حساب المتغيرات المنتظره التي يرتبط بها التاثير بحيث يمكن ان تنتفع منها القياده السياسيه فتتهيا لرسم سياسيات خارجيه جديده ومن هنا يكون الوقايه والتخطيط لمواجهه الازمه واذا كان الموقف يتطلب التدخل العملي لمواجهه الازمه فاللازم ان تبلغ القوم بطرح العهد وانه لم يعد هنالك اتفاق

وهذا في حاله وجود اداله تشير الي وجود علامات داله علي نيه القوم في نقض العهد وان لم يصرحوا بذلك اما اذا لم توجد معلومات. ولامؤشرات فلا يجوز ان ينقض المسلم العهد

التوجيه الثاني

انه في حاله قيام امارات وعلامات تشير الي توقع خيانه القوم وكان من تحليل الموقف ما فيه اشارات الي نتائج مخيفه سوف ترتب علي الخيانه اذا لم يتم محاصرتها والقضاء علي اسبابها فان عليك

1

عدم الغدر ولا الخداع فالقيم التي تفرضها عليك عقيده الاسلام من الوفاء وعدم الغدر لايجوز التفريط بها فالاسلام لايسمح بالغدر ولو كان علي الفاجر فلابد ان تعلن القوم بان ترسل لهم من يعلمهم بان العهد انتقض فلا توقع بهم قبل ان تعلمهم وقد ورد في صحيح البخاري عن ابي هريره قال بعثني الرسول صلي الله عليه وسلم يوم النحر بمني لايحج بعد العام مشرك ولايطوف بالبيت عريان ويوم الحج الاكبر يوم النحر ...الخ

وورد في الحديث انه لكل غادر لواء يوم القيامه ...والمراد بهذا التحذير من الغدر لان العرب كانت ترفع رايه بيضاء للوفاء وترفع رايه سودا للخيانه لاجل التشهير بهم وفضحهم وايضا لان الخائن يتعمد الخداع ولهذا فهو يكون خائفا من الفضيحه ولهذا ذكر الحديث ذلك لبيان معاملته بنقيض فعله فلا يجوز الغدر حتي بالفاجر

/2

ان اللازم علي المسلم ان يحافظ علي سمعه الاسلام ومبادئه وقيم الدين الحنيف من خلال سلوك افراده لان العالم يري الاسلام من خلال سلوك المسلمين فاي عار اكبر من نقض العهد فانه يفضح صاحبه لان الغدر صفه تدل علي خسه النفس وحقارتها فهي من خصال النفاق فاي شي اقبح من غدر يوصلك الي النفاق ومساوي الاخلاق يقول ابن كثير ان الكافر اذا راي المومن قد عاهده ثم غدر به لم يثق به ولم يثق بالدين ولهذا كان صده عن الايمان بسبب الغدر الذي ارتكبه من ينتسب الي الاسلام فليس ذلك من اخلاق المومن ولامبرر لفعله فالاسلام لايسمح باستخدام الوسيله الخسيسه لتبرير الغايه ولهذا عند دراسه المسلم لتكلفه الهدف يتناول الكلفه الماديه والقيميه معا نظره تكامليه فلا تفريط بالقيم والمبادي فالمسلم مامور بالمحافظه علي الغايات والعمل علي تنفيذها لكن لايسمح له باستخدام وسيله خسيسه

ولهذا امره ان ينبذ العهد ان يطرحه ويرمي به فقال تعالي (فانبذ اليهم علي سواء) والنبذ يعني الرمي

لعدم الرغبه فيه باعلانهم بنقض العهد حتي يكون علمك وعلمهم بذلك علي حد سواء

فالاسلام لايقبل بفكره الغايه تبرر الوسيله ولهذا يعقب (ان الله لايحب الخائنين)

لان غايه المسلم من الطاعات هو القرب من الله والوصول الي حب الله

ولهذا جاء التعقيب لبيان ان الوصول الي محبه الله والقرب منه لايكون بوسائل خسيسه بل بوسائل نظيفه ولها تاصيل شرعي فالله لايحب الخائن حتي لو كانت خيانته ضد فاجر وهذا التعقيب اقوي في ضبط حركه المسلم فلا تتسع العلاقه معه للخيانه والغدر بل الوفاء

وبالتالي فلا يدفعنا السلوك الخسيس من الكفار الي اتخاذ قرارت فيها خروج عن مايتفرع عن الايمان من قيم ومبادي امرنا الله بها مهما كانت الظروف فمن لايومن بانسانيه الانسان فليس بمومن

***

تهدف الايه الي تربيه المومنين علي عدم الغدر ولهذا تتوجه النصوص الي القياده والولاه ومن يملك القرار السياسي في المجتمع المسلم (وأما تخافن من قوم خيانه فانبذ إليهم...الخ

فالتوجيه لحكام الدوله الاسلاميه لماذا ؟

لان مساله اتخاذ قرار الحرب او السياسه في تحقيق الاهداف من صلاحيه القياده السياسيه في كل مرحله من المراحل و لهذا تضع لهم كيف يكون اتخاذ هذه القرارات لتدرك أن المواقف السياسه ليست نزعات شخصيه وانما هي صلاحيات لتقديرات حسابيه تجريها هذه القياده وفق ضوابط وهي قابله للاضافه او الحذف حسب الظروف مع الالتزام بالقيم والمبادي فهذه الحسابات يجري عليها اختبار الملاءمه المستمره حتي تستطيع هذه القياده ان تعبر بصدق وايجابيه عن المصالح التي تتصدي للدفاع عنها ويدفعها الخوف لاتخاذ قرار الحرب فان ذلك لايعني التفريط بالقيم ولهذا فااللازم دراسه تكلفه تنفيذ الهدف بشكل تكاملي فيه توزان بين القيمه الماديه والروحانيه اي القيم والمبادي بالحرص علي ان تكون الوسائل مشروعه فالخيانه ليس لها مكان في عالم الاسلام حتي في تعاملك مع الفاجر

ولهذا نجد أن الايه تضع الضوابط و تحذر من الخيانه والغدر والخداع وقد سبق تعريف الخيانه وهنا سوف نقف علي معاني الغدر الذي باللغه ضد الوفاء بالعهد كما أوضحنا أنها تعني ترك الشي اي ترك الوفاء بالعهد وقال الجاحظ هو الرجوع عما يبذله الإنسان من نفسه ويضمن الوفاء به وقال المناوي الغدر نقض العهد والاخلال بالشي وتركه وقيل نقض العهد مطلقا في لحظه غير متوقعه ولامنتظره ولهذا يحذر القران من هذا السلوك لأن الواجب علي الأمراء والسلاطين في دوله الاسلام وغيرهم الوفاء بالعهد فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (واوفوا بالعهد أن العهد كان مسئولا)

ومنعهم من الغدر وإذا دعت الحاجة لتفادي خطر متوقع من جهه قوم بينكم وبينهم عهد فاللازم أن لا تخدعهم وهم في غفله وغير متوقعين فاللازم أن تعلنهم بنقض العهد فقال تعالي (وأما تخافن من قوم خيانه فانبذ إليهم ...الخ

والمسلم يترفع في تعامله عن سلوك الخونه مع قدرته عليها لان البطوله هو ترفع من قادر عليها فهذا قيس بن سعد بن عباده نموذج للمومنين الذين ترفعوا عن الخيانه مع قدرته عليها يصفه العلماء بانه من دهاه العرب يقول ابن حجر العسقلاني عنه كان شريف في قومه كان يقول لولا الاسلام. لمكرت مكرا لاتطيقه العرب فما الذي منعه من المكر والخديعه مع قدرته عليه؟

انه الاسلام الذي اخبره الله في القران انه اعد للماكرين المخادعين جهنم ولهذا نجد هذا الصحابي الجليل يقول لولا ان سمعت الرسول صلي الله عليه وسلم يقول (المكر والخديعه في النار) لاتيت من المكر ما لاتطيقه العرب

التوجيه الثالث

ان اللازم علي المومن ان يراعي النواحي الانسانيه عند اتخاذ القرارت لاننا بشر ولاينبغي ان نتجاهل النزاعات الخلقيه للبشر ولهذا يجب ان نتحلي بالترفع و بالاخلاق قبل كل شي لاسيما اذا كنا نتقلد سلطه لانه في وسعنا حينها ان نستقوي علي الاخرين فالامر مطاع

لان الداعي للخيانه هي دناءه النفس وقله الاخلاق ولذلك فان تجرد الانسان عن مقومات الايمان في مثل هذه الاحوال من الموكد انها تدفع الي البعد عن الدين وحصول الانحطاط وهو ما يسعي اليه الاعداء في معركتهم ضد اهل الايمان بتجريد المومنين من مقومات الايمان مثل الوفاء بالعهود وما يترتب عليه فهذه المقومات مما حرص الإسلام علي غرسها في ضمير الامه وفي اعماق النفوس لاجل تزكيه النفوس وتطهيرها من الاوساخ وتنميتها من دواعي الخيانه (دناءه النفس وقله الاخلاق) ولهذا يأمرهم بالترفع عن كل مسالك الخيانه وسلوك الكفار حتي في الحرب مع قيام موشرات توكد خيانه الاعداء التي تتطلب هي الأخري أن تكون ناتجه عن تقديرات صحيحه فانه لايسمح لك بنقض العهد ومفاجاه العدو بالهجوم فهذا لايجوز بل عليك أن تبلغه بأن العهد قد انتهي العمل به فهذا الحرص علي سلامه نفوس من الغدر وسلوكهم لاجل الارتقاء بالمومنين ولأجل أن لايتجردوا من القيم فالغدر صفه مذمومه تدل علي خسه النفس وحقارتها ولهذا يأتي التعقيب أن الله لا يحب الخائنين) هل تبحث عن حب الله ورضاه فإن الطريق لذلك هو الوفاء بالعهد لاتتذمر بالقول إن لم اسبق العدو بالهجوم فانه سوف يفلت من العقاب وربما يستغل إبلاغي له بنقض العهد ليحتاط ويستعين بأعداء الدوله فيكون من الصعوبة تحقيق الأهداف ولهذا تطمئن الايه المومن بانه لن يضره كيد الكفار وانه سوف ينتصر طالما تمسك بدينه ومقومات الايمان وما يتفرع عنه من اخلاق كريمه كالتعاون والمحبه والوفاء بالعهد وما الي ذلك من علاقات انسانيه وصفات بشريه ايجابيه ولهذا فان عليك ان تدرس تكلفه تنفيذ الهدف فلا تفرط بالقيم والمبادي واحذر من التفكير باستبدال القيم والمبادي بعلاقات ماديه مجرده تتسع للغدر و العنف والخداع والصداقات المرحليه فهذه العلاقات هي سلوك الكفار الذين انقطعت صلتهم بربهم فهم يتصورون انهم بذلك يسبقون المسلمين في القتال فياخذونهم علي حين غره فنظرتهم الماديه افسدتهم فطرتهم ولهذا فانه من الطبيعي ان يصاحب الحضاره الماديه انحطاط في القيم الروحانيه بحيث يصبح اللص بنظرهم ذكي وينظر الي اهل القيم انهم حمقي وجهال ولهذا ياتي التهديد للكفار فقال تعالي (لايحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لايعجزون)

فلن يمنحكم الله ايه الكفار السبق الذي تهزمون به المسلمين لان الله لايترك اولياءه فليطمئن اصحاب الوسائل النظيفه فلن يمكن الله الكفار منهم وهم اضعف من يهربوا من قبضه الله

يقول لك الحق عليك التمسك بدينك وسوف ينصرك الله فليس الغدر سلوك المومنين يقول لهم لا تسلكوا سلوك الكفار الذين يكون نقضهم للعهد مفاجاه وفي لحظه غير متوقعه ولامنتظره تراهم قد هجموا علي ديار الآخرين زاعمين أن هنالك موشرات من جهه الطرف الآخر علي قيام الخيانه للعهد ولذلك كان منا السبق بالهجوم ...فهذه الاعذار لاتبرر غدرهم ونقضهم العهود واطمنوا فلن يضركم غدرهم لأن الغادر خصمه هو الله تعالي ومن كان الله خصمه فهو مهزوم فما هو معلوم ومشاهد في دنيا الناس أن الغادر لايكاد يتم له أمر ولايقبل الله منه ظرفا ولاعذرا فالإسلام حرص علي احترام المعاهدات فقد ورد عن الامام علي رضي الله عنه أنه قال ماعندنا شي مكتوب الا كتاب الله وهذه

الصحيفه فمن اخفر مسلما يعني نقض عهد الله فعليه لعنه الله والملائكه والناس أجمعين ...الخ

فدل هذا علي عظيم أمر العهود ودلت أحوال الناس عبر التاريخ أن الغدر ينقلب بغدرته علي صاحبه وان من ينقض العهد يتسلط عليه الاعداء فقد ورد عن ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال مانقض قوم العهد الا سلط عليهم عدوهم)

جزء ما اجترحوه من نقض العهد المأمور بالوفاء به وعن بريده رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما نقض قوم العهد قط الا كان القتل فيهم)

التوجيه الرابع

(واعدوا لهم ما استطعتم من قوه ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شي في سبيل يوف اليكم وانتم لاتظلمون)

قبل تناول المفاهيم والتوجيهات التي احتواتها الايه لابد ان نقف علي الاتي

مناسبه الايه لما قبلها :-

لما امر الله المومنين بالتوكل علي الله و الاطمئنان بنصره في مواجهه الكفار فلن يتمكن الكفر من الحاق الهزيمه بالمومنين جاءت هذه الايه لبيان ان التوكل لايعني تعطيل العمل بالاسباب والاستعداد بالاخذ بالاسباب التي اوجدها المسبب في الكون فهذا ليس توكل بل تواكل فالتوكل يعني الاعتماد علي الله والاستعانه به مع الاخذ بالاسباب

ولهذا امرهم الله بالاعداد للمعركه والتجهيز لها بكل ما يمكن ان يتقووا به علي الكفار بكل انواع القوه من الاسلحه والعتاد والتدريب ومايكون به حصول القوه التي تدخل في طاقه الامه وقدرتها واستطاعتها وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ابتدات الايه بالامر (واعدوا) هو امر تكليفي موجه للقياده التي بيدها امر المسلمين والتي تملك اعلان السلم والحرب للدفاع عن الدين والوطن وحمايه القيم والمبادي التي جاء بها الاسلام لتكون نظاما يحكم العالم كله وامر المسلمين بتحمل مسؤوليتهم في حراسه احترام النظام العالمي لهذه القيم التي تكفل رفع المعاناه عن البشريه ومنع قيام انظمه استبداديه ديكتاتوريه تمارس الظلم والفساد في الارض

عندها لابد ان تتدخل الحكومه الاسلاميه باعتبارها حراسه قيم ومبادي الحريه والعدل والمساواه وحقوق الانسان التي جاء بها الاسلام ويدخل ضمن هذا كافه المسلمين في حاله مايكون حكم الجهاد فرض عين مثل (المقاومه المسلحه) ضد الاستعمار ولهذا جاء بعدها (لهم) اي الكفار والانظمه الاستبداديه والاستعمار واعداء الاسلام

وهذا فيه

المفهوم الاول

اهميه الاستعداد والتاهب لملاقاه الاعداء في اي لحظه وهو ما يتطلب حشد الموراد البشريه والماديه للقيام بواجب الدفاع عن الدين والعقيده والوطن وكذلك تمكين الاسلام من القيام بدوره في قياده العالم من خلال تاسيس نظام عالمي يحترم المبادي التي جاء بها الاسلام لحمايه الانسان من ان تسلب

حريته وعقله بازاحه كل الحواجز التي يضيعها الطغاه لمنع الناس من القبول بالحق ودين الاسلام

وهو ما يتطلب وجود قوه تحمي الحق ومبادئه وتمكن المسلمين من القيام بدورهم في قياده العالم ولهذا جاء الامر واعدوا لهم فيه الحث علي النهوض للاخذ باسباب القوه التي تحفظ هيبه الدين وتمكن المسلم من فرض النظام الاسلامي علي العالم

فجاء الامر الذي فيه وجوب اعداد العده لمواجهه العدو وعدم التخلي عن الجهاد فعزه المسلمين وقوتهم بعز الاسلام وهذا انما يكون بالجهاد ولهذا يامرهم الله بالاستعداد بالاخذ بالاسباب وان نبذل ما في وسعنا فقال تعالي (واعدوا لهم ما استطعتم من قوه) اي ما تقدرون عليه من عده وعتاد لتدخلوا الرهب في قلوب الاعداء المتربصين بكم

المفهوم الثاني

تتوجه الايه بهذا الامر لولي امر المسلمين (واعدوا لهم) اي بوجوب الاستعداد لمواجهه اعداء الاسلام وان ياخذ باسباب القوه التي يقدر عليها للدفاع عن الدين والوطن وللقيام بواجبه في رفع معاناه البشريه باعتباره خليفه الله في ارضه فالجهاد واجب علي المسلم ليس لان الله عاجز عن نصره دينه فالامر ليس كذلك ولكن الله يريد ان يبتلي عباده وكذلك حفظا علي السنن التي لاتاتي الا بالعمل و الحركه فالنصر لايتحقق لمن لم يتحرك وياخذ بالاسباب ولهذا جاء الامر باعداد القوه لصد الاعداء ولاجل نشر مبادي الاسلام واقامه نظام العدل والحريه والمساواه التي جاء به الاسلام رحمه للعالمين بعد ان اكد قبلها انه تعالي قادر ان يهزم الاعداء بالكلام والتفل في وجوههم كما حدث في بدر لكن الله يريد ان ينصر الحق بواسطه اولياءه فاراد الله بهذا ان يفهموا معني التوكل بانه يعني الاخذ بالاسباب وبعدها ياتي العون الالهي بتحقيق النصر

المفهوم الثالث

يقول الحق للمومنين ان عليهم ان ياخذوا باسباب القوه بقدر طاقاتهم وان يبذلوا مافي وسعهم من طاقه فهذا هو المطلوب منهم وليس ان تحشد قوه مثل قوه الاعداء وهي خارج طاقاتك فانت لست مكلف بذلك فقد اشترط الحق عليك الاعداد بقدر طاقتك لتحظي بالعون الالهي ولم يشترط عليك التكافو فقال تعالي (واعدوا لهم ما استطعتم من قوه)

لماذا :

لان قوه الله مع المومنين متي ما تحقق الشرط الصدق والاخلاص والاخذ باسباب القوه بقدر طاقتهم وقوه الله لاتكافا فمن كان الله معه فهو منتصر لامحاله

فاراد بهذا حث المومنين علي الوقوف في وجه الباطل بعد الاستعداد فلا تضعف امام قوه الكفر مهما كانت فالله ناصر دينه مهما كانت قوه الاعداء

وهذه الايه تحمل دلاله عظيمه في حياه المسلم العمليه اليوم تخرجه من الحيره التي يعيشها المسلمون اليوم وهم يبحثون عن بدايه الطريق لحل المشاكل والخروج من حاله الضعف والهون حيث وجدنا انفسنا في تخلف شامل وعجز وضعف وهوان نتيجه تراكمت سلبيات قرون متواصله شكلت هذه الظروف فصارت هذه السلبيات من ضمن مكونات المجتمع العضويه والموضوعيه تغللت في اعماق العقول والنفوس والثقافه فصارت قوه تحكم اختيار القرارت وصياغاتها وتنفيذها وهي تزداد سيطره علي الحياه مع وجود الصراعات الطائفيه والقبليه والحزبيه والمذهبيه التي صارت صبغه تصبغ

المجتمعات الاسلاميه اليوم بهذا اللون البغيض فشتت العقل العربي واوصلته الي التشنج الفوضوي واوجدت ارده عقيمه. ضعيفه ممزقه متناحره.فتاهت القيادات وسط الزحام بين الارتمي في احضان الاستعمار فصارت الخيانه مبرره باعتباره نوع من انواع السيطره الاستراتجيه بنظرهم لبقاء الدوله والحفاظ علي السلطه لدرجه ا ن البعض ينظر لذلك انه خدمه للاسلام للاسف الشديد فتجد اليوم من يقف ضد مبادي الاسلام ويردد اقوال الغرب نتيجه الهزيمه العسكريه التي اتبعها هزيمه فكريه ونفسيه عندما ترك المسلمون الجهاد والاخذ باسباب القوه فاصبح الكثيرون يحاربون كل دعوه تدعوا للعوده لدين الله وعز الاسلام الذي عاشه المسلمون وهنالك انقسام واغلبه من يمتلك القرار السياسي واقع تحت تاثير الغرب واهل الكفر مجتمع يسوده الصراع نتيجه التعصب المذهبي والطائفي والقومي وغيرها من الافاق الضيقه وجود عنصر خارجي موثر في تعميق الانقسام منذو الحقبه الاستعماريه فبريطانيا وفرنسا وايطاليا وغيرها من الدول الاستعماريه قد غرست بذور التفرقه وكبرتها وعندما خرجت سلمت السلطه لعملاءها بما ينمي التفرقه ويعمق الخلاف والتمزيق والانقسام والفوضي فقد زرعت مشاريع الانقسام التي اشعلت عالمنا العربي ولهذا شاهدنا احتلال العراق باموال عربيه واصبحت السودان ممزقه وسوريا بداخلها روسيا وامريكا ووو اليمن تعاني وليبيا واصبح الكثيرون يتباهون باظهار انفتاحهم مع اسرائيل لاثبات انه قوي واثبات التحضر. للاسف الشديد شاهدنا من يسخر بقدرات المقاومه في بدايه طوفان الاقصي ومنهم من يستعجل اسرائيل بالقضاء علي المقاومه ويقولون ماذا سوف تصنع هذه الصورايخ البدائيه التي تطلقها حماس. لايستحي هولاء ولايخجلون ان يتحدثوا بهذه العبارات باللغه العربيه ومن قنوات تزعم انها تعبر عن الامه العربيه وانها تقود العالم الاسلامي ذلك ان المقاومه لاتملك من الامكانيات الا الشي اليسير ومع ذلك قد قامت بالاخذ بالاسباب واعدت العده التي تقدر عليها لحمايه شعبها ومقدسات المسلمين .وهي واثقه بنصر الله اما هذه الدول فهي للاسف الشديد تمتلك امكانيات هائله من الاموال والثروات ولكنها لم تستعملها في الاخذ باسباب القوه لحمايه نفسها وشعوبها بل انها تعبث بمقدرات الامه فهي كما شبهت من احد رؤساء الدول الاستعماريه بقره حلوب للاسف الشديد شاهدنا دول عربيه تنفق اكثر من ثلاثمائه مليار دولار. لاجل الاستعداد لاستضافه كاس العالم في كره القدم بدلا ان تنفقها في الاخذ باسباب القوه الذي تصون بها نفسها ومساعده الامه وكذلك شاهدنا من هم اسوا من ذلك انهم ينفقون اموال الامه في بناء ملاهي ومراقص بل ومعابد للوثنين في ارض الاسلام وليت الامر توقف عند هذا الحد لقد شاهدنا قيام بعض الدول بلا خجل بانفاق اموال الامه في محاربه الاسلام ودعم اليهود ضد اهلنا في غزه انفقت الاموال العربيه في تمزيق اهلنا في ليبيا والسودان انفقت الاموال في قتل علماء الامه في عدن فالفارق كبير بين مقاومه متوضعه اعدت العده بقدرتها البسيطه وبين دول منسوبه علي المسلمين تخاذلت وانبطحت وحاربت الاسلام لاجل الكراسي والسلطه وهذا الامر لن يتوقف الا بعد ان يصحو العرب وعندما نبحث عن بدايه الطريق التي تخمد النيران وتطفي الصراع عندما يستيقظ المتصارعون وينصرف الجميع الي التفكير بهدوافي مصلحه الامه وبالعوده. الي منبع الاسلام واصوال منهجه حينما تنهض الشعوب وتحرر من الانظمه الاستبداديه التي صنعها الاستعمار يجب أن يكون المعيار في اختيار الحكام والمسؤولين هو الكفاءه وليس القرابه والمحاباه لأن من صور الخيانه أن يوسد الأمر الي غير أهله فإن ذلك من علامات الساعه

المفهوم الرابع

ان توجيه الامر لولي امر المسلمين بالاخذ باسباب القوه لانه لايمكن تحقيق تقدم الا من خلال تعبئيه طاقات الجماهير صاحبه المصلحه في التقدم لتصنعه فتجميع الطاقات. هو عمل ولي الامر فالامر هنا ان تبذل الامه كل طاقتها وجهدها وليس بعض من طاقاتها فقال تعالي (ما استطعتم من قوه) اي يجب ان تستنفذوا كل استطاعتكم في تجميع هذه القوه ولهذا لابد من وجود قياده تقود عمليه التقدم قياده

تمثل امال الجماهير وهذا يتطلب ان يكون وصول القياده للحكم. معبرا عن رغبه الجماهير لان من مظاهر القوه المامور بها تماسك الجبهه الداخليه فلا يمكن ان تقوم بتوجيه وتجميع طاقات الجماهير وهي تشعر ان ثمه فجوه تفصل بينها وبين قياداتها فلا يمكن ان تنادي الجماهير للنهوض لحمايه المبادي والقيم وهي مغلوبه علي امرها والحاكم الذي لايمكن ان يسود الابالقوه والاكراه وهو لن يستمر في سلطاته والتحكم بمصير المجتمع الا بعد ان يشل اردتهم الحره ويلغي اختيارهم فهذه القياده لايمكن ان تكون معبره عن امال الشعب وامانيه لان استمرار هذا النظام وقوته يكمن في شل اراده المجتمع بالقوه وجعلها عاجزه عن التخلص منها فهذا هو استعداد الحكام العرب بالقوه لكن ليس للاعداء كما امر الله بقوله (واعدوا لهم) اي للكفار -

ولكن هولاء اعدوا العده والعتاد ليس لقتال الكفار ولكن استعدوا بهذه القوه لضرب الشعوب وبالتالي فلا يمكن ان تكون هذه القياده حارسه القيم والمبادي ولايمكن ان تعمل علي الدفاع عن الدين والوطن

ثم ان الطلاق الشعبي الذي يفصل بينها وبين الجماهير المغلوبه تجعل هذه الجماهير لاتعطي طاقاتها الخلاقه التي تصنع التقدم لانها تدرك ان السلطه الحاكمه لاتعمل لمصلحه الشعب ولهذا شاهدنا سقوط العراق بكل سهوله وشاهدنا فرحه الكثيرون بدخول اعداء الله الي ارض العراق فالاعداد لم يكن له معني في ظل نظام ديكتاتوري استبدادي فالجماهير لاتثور من اجل الثوره فقط ولاخلاصا من الملل وانما تثور لتتخلص من عدوها وتدفع خطره لكي تنطلق الي ماتريد من امال او رجاء وتقدم ولهذا فانها لاتتجاوب مع الانظمه الاستبداديه لانها لاتمثل امالها بل هي انظمه تسعي للحفاظ علي السلطه والخلاف مع اهل الكفر هو خلاف مصالح وليس له علاقه بالمبادي والقيم ودين الله الذي يمثل امال الشعوب ولهذا لاتنفع الاخذ بالاسباب الماديه مع وجود انحطاط بالقيم والمبادي الروحانيه

الامر الثاني

الايه تحث المومنين علي الاخذ بكل اسباب النصر في المعارك ..وان تستنفذ كل طاقاتك وجهدك في الاعداد وهذا ما يفهم من قوله تعالي (من قوه)

حيث نجد تنكير (قوه) وهذا يفيد الشمول لكل انواع القوه ليشمل القوه الماديه والمعنويه اي كل ما يتقوي به المسلم علي عدوه فمدلول القوه لاينحصر في العده والعتاد بل يتعد الي اسباب النصر في الحرب فيدخل في هذا صناعه السلاح والتدريب والخبرات والتنكوجيا والهندسه الحربيه والمعلومات والتوعيه والاعلام الحربي والتوجيه المعنوي والتعبئيه العامه والاقتصاد والتكنولوجيا والاتصالات ودراسه الاحوال الجغراقيا الطبيعيه والاستفاده منها كما فعلت حماس بحفر الانفاق فشكلت هذه الوسيله قوه عجزت امامها قوي الاستكبار العالمي والتفوق العسكري الذي تحظي به من الحاق الهزيمه بثله قليله من المومنين في غزه لماذا برايك؟

لان المقاومه بذلت ما في وسعها من جهد واخذت بالاسباب وهذا هو الذي امرت به في قوله (من قوه) لان (من) هنا تفيد استغراق مراد النوع اي شي يمكن ان يشكل عنصر قوه ويكون ضمن قدرتها وطاقاتها ولهذا لما استغرقت المقاومه كل انواع القوه المتاحه لها وبذلت كل مافي سعتها من جهد وطاقه تولي الله ترميم النقص فاذهلت العالم العدو قبل الصديق لانها ابتكرت وسيله جديده في الحروب وادركت ماهو مدلول القوه في الايه بانها تعني العمل علي الاخذ بالاسباب المتاحه ومافي امكانياتها وقدرتها

وكذلك فان الايه تعطينا توجيه مفاداه انه تعالي جعل التحديث والتجديد لوسائل الحرب امر ضروري وهام في الجهاد في سبيل الله وليس كما حاول البعض حصره بالرمي لان الرسول صلي الله عليه وسلم

قال (القوه الرمي) فهذا من باب الاعتناء بالرمي مثلما قال الرسول صلي الله عليه وسلم الحج عرفه والندم التوبة فهذا نوع من الاعتناء ويدل ان المذكور جزء شريف من المقصود ولهذا كان مجي اللفظ بصيغه التنكير (من قوه) لتشمل كل ما يستغرق النوع من الاسلحه والذخائر والقنابل والسلاح الكيماوي والنووي والاقمار الصناعيه والاختراعات وغيرها من العلوم التي تنطوي تحت مفهوم القوه واقامه اسبابها

وقد جعلها الله في مقدمه الايه ثم عرج عليها بذكر قوه المركب فقال تعالي (ومن رباط الخيل) وهذا يتناسب مع مدلول التحديث للوسائل والتجديد لها مع عظمه الاسباب التي اوجدها المسبب في الحياه لان لكل زمان له عده وعتاد وقوه ترهيب بها العدو ولهذا قال (ومن رباط الخيل) معطوفا علي ماقبلها الاعداد بتهئيه الشي للمستقبل ورباط من المرابط اي مايكون وسيله للمحاربه للركوب عليها فكانت اصل الحروب وقد ذكرت تشريفا لها لبيان اهميه اختيار الخيل الاصيل ولان الزمان قد تغير فان الوصول الي المقصود وهو ارهاب العدو يتطلب تحديث الوسائل والاليات التي يتوصل بها الي الغايات والمقاصد فالتجديد سنه الله في خلقه ولذلك فان المطلوب اليوم اعداد السيارات التي تنقل الجنود والدبابات والمركبات بما يحقق القصد الوراد في الايه (ترهبون بها عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم)

فهذه هي الفكره التي يجب علي المسلمين ان يكون لهم دور في سباق التسلح

ليس لاجل افساد الارض ولهذا ذكرت الايه العله من الامر بالتحديث والتجديد للوسائل التي فيها الاخذ بكل ماينطوي علي مفهوم القوه واقامه اسبابها في الجهاد في سبيل الله هو ارهاب اعداء الله واعداء المومنين المتربصون للمسلمين فرباط الخيل كان هو القوه في ذلك الزمان والحكم يدور مع العله في مثل هذه الاحوال فمن غير المنطقي ان تحمل السيف وتركب الخيل لتخوض معركه في زمان الطائرات المسيره والقتال فانت لاترهب احد بسلاحك البدائي بل انت الذي تخاف الاعداء عندما لم تاخذ باسباب القوه ولم تسعي الي تحصيلها فقد كان خروج المسلمين من سباق التسلح اهم اسباب الهزيمه النفسيه و الفكريه والعسكريه والضعف والهوان التي يعيشها العالم الاسلامي

لماذا؟

لاننا لم نسعي الي تطوير قوتنا والاخذ باسباب القوه لاننا تمسكنا بالحياه وتخلينا عن الجهاد فاصبحنا غثاء كغثاء السيل عندما سقط قرار الامه واصبح في يد القوي الاستعماريه فنزعت الهيبه من قلوب الكفار رغم اننا كثيري العددلكن ارقام بدون قيمه فلا يضرب لنا حساب

هل عرفت اخي المسلم لماذا امرنا الله في هذه الايه بتجديد وتحديث وسائل واوليات القتال لان الكفار اذا علموا اننا متاهبين للقتال ومستعدين له ولدينا الاسلحه والالات القادره علي ردعهم وزجرهم فان هذا يجعلهم خائفين من التطاول علي ابناء الاسلام ولايتجرون علي المساس بامن المسلمين فشده الخوف توجب عليهم الزام انفسهم عدم الجراه علي ذلك

فهيبه الاسلام بقوه ابناءه وادراكهم خطوره الموقف فهناك اعداء يتربصون بالمومنين معروفين لنا وهنالك اعداء لايظهرون عدواتهم مثل المنافقين الذين يتامرون علي الاسلام والمسلمين من الداخل لا يعلمهم المسلم ولكن الله يعلمهم

فقال تعالي (واخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم)

هولاء الاعداء مثلهم مثل الذين تربطك بهم صداقه فهذه الصداقه مرهونه بالمصالح المرتبطه بدوله

الاسلام وبقوه الدوله وهيبتها فلا تطمئن لهم فهم يتربصون الثغور التي يتسللون منها للقضاء علي دوله الاسلام والسيطره علي مركز القرار فيها وبث فسادهم في الارض فاذا شاهدوا المسلمين في غايه القوه خافوهم وتوقفوا عن التامر

فالجهاد هو الذي يحفظ قوه المسلمين وهيبتهم ولان العدو يدرك هذا الامر فقد لجاء الي الغزو الفكري بعد الهزيمه العسكريه بسقوط الخلافه حيث استولي علي وجدان المسلمين وقام بالاستيلاء علي عقولهم تحت شعار التحضر والسلام لاجل استئصال فكره الجهاد من نفوسهم حتي لايستعيد الاسلام دوره في قياده العالم الذي صار التغني بتاريخ قوه المسلمين وبامجادهم دون العمل علي الاخذ بالاسباب التي اوصلت الاوائل الي العز

لقد اصبح المسلم اليوم يحب الحياه وينتظر من امريكا ان تحميه من بطش حفيدتها اسرائيل للاسف الشديد اصبح المسلم اكثر قابليه للخرافه التي يروج لها علي انها دين الاسلام للاسف الشديد انهم ينتظرون ان تنزل الملائكه لتقاتل نيابه عنهم ليس هذا هو الاسلام ولاعقيده التوحيد فاللازم ان ندرك ان الخروج من المازق الذي تمر به الامه خاصه في هذه المرحله من حياه الامه انما يكون من خلال العوده الي منابع الاسلام الصحيحه يكون بالاخذ بالاسباب والتضحيه بالنفس في سبيل الله والتضحيه بالجهد والمال.ولهذا يختم الايه (وما تنفقوا من شي في سبيل الله يوف اليكم وانتم لاتظلمون)

بالدعوه الي انفاق المال لان المال عنصر مهم في الاستعداد والاخذ باسباب القوه ولهذا كان مجي الايه بهذا التعقيب الذي يهدف الي ان يحس ويشعر المسلم انه يتعامل مع الله تعالي فهو عندما ينفق المال في سبيل الله فعليه ان يثق ان الله عادل لن ينقص من اجره شي ولهذا كان التعبير بالظلم لبيان كمال نزاهته تعالي عن ذلك فهو تعالي سوف يوصل اليك عوض ما انفقت في الدنيا والاخره

الحكم الثالث

(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل علي الله انه هو السميع العليم

الامر الاول

هذه الايه تقرر قواعد السلم والحرب في عقيده المسلم وعدم فهم مدلولاتها اوقع الكثيرون في اشكال بين قائل ان الايه مرحليه يامر الحق نبيه بقبول الصلح مع الكفار اذا كان في مرحله ضعف اما اذا كان الاسلام قويا فلا يكون الاقتالهم حتي يدخلوا في الاسلام بالنسبه للمشركين

وبين قائل ان الايه نزلت بشان اهل الكتاب لان قبولهم بالجزيه يحقن دماءهم مع ان حكم الجزيه نزل في مرحله لاحقه لنزول الايه

وبين قائل انها منسوخه بايه السيف في سوره التوبه بقوله تعالي (قاتلوا المشركين كافه) ولقوله تعالي (فاقتلوا المشركين حيث ...الخ

ولقول الرسول صلي الله عليه وسلم امرت ان اقتال الناس حتي يقولوا لا اله الا الله ....الخ

وبين قائل ان الايه متعلقه بحكم من يريد المهادنه والموداعه من المشركين وانها متعلقه بحكم مرحلي في مرحله معينه وانه ليس حكم مطلق

وفي الجانب الاخر نجد فريق من الذين تاثروا بثقافه الخنوع يزعم ان الجهاد لم يشرع الا لرد العدوان فقط اذا تعرضت ديار المسلمين للاستعمار او الاعتداء عليها .....الخ

والحقيقه ان هذه الاقوال غير سليمه ولاصائبه لعدم فهم هولاء لحقيقه عقيده الاسلام وحقيقه الجهاد والصراع بين الحق والباطل واشكاله

فاول هذه الحقائق التي يجب علي المسلم ان يدركها هو ان الاسلام جاء بنظام ليحكم العالم كله حيث ان رساله الاسلام عالميه ولهذا فان تسلم قياده العالم لامه الاسلام لايعني ان يفرض علي العالم الايمان برساله الاسلام بالقوه والاكراه لان ذلك يعني انك تسلب الانسان اردته وتجعله يخضع للاسلام بالقوه

ومعاذ الله ان تكون عقيده الجهاد المامور بها ان تهدف الي اجبار الناس علي اعتناق الاسلام لان ذلك يتعارض مع الخصائص التي خص الله بها الانسان وهي الحريه والعقل لان ارغام الناس علي الايمان بالقوه يعني تجريدهم من حريه الاختيار للخير او الشر والتي رتب الله عليها مسؤليه الانسان عن فعله

فالله يقول لنبيه (افانت تكره الناس حتي يكونوا مومنين) ويقول (لا اكراه في الدين)

فالله قادر علي ان يجعل الناس كالملائكه لايرتكبون الاخطاء وما كان بحاجه الي ارسال الرسل وانزل الكتب والايات والمعجزات والحجج التي يخاطب بها العقل فقد جعل الاقناع هو طريق الايمان وكذلك نجد ان الله يذكر عباده في القران مرارا وتكررا بانعامه لانه يريد توحيدا نابعا من ارده حره تختار ان تومن بالله من غير قوه تقهره علي الايمان ولهذا يحاور الانسان ويتوجه بالخطاب الي عقل الانسان

فالاسلام يهدف من اعلان الجهاد علي الانظمه الاستبداديه والطغاه ان يحطم القيود التي تقف امام حريه اختيار الانسان فاذا تم تحرير الانسان من تلك القيود وصارا حرا عندها تتركه وشانه في اختيار الدين والعقيده التي يريد ان ينتهجها في حياته

ولهذا فان تحطيم الانظمه الاستبداديه التي تقف امام حريه الناس وتمارس الظلم والاستبداد وتمنع الناس من الدخول في دين وتحارب المعتقدات ...

كل هذه اصنام يجب علي المسلم تحطيمها وحمل السيف لازالتها

ولهذا فان قياده الاسلام للعالم لايعني ارغام الناس علي اعتناق الاسلام وانما يهدف الي تكوين نظام عالمي يحترم مبادي العدل والمساواه والحريه والشوري في اداره تلك الدول بما يضمن احترام الاديان وعدم التعرض للمسلمين والسماح للدعاه والمومنين بممارسه معتقداتهم بحريه تامه فان هذا الامر يجعل اقامه علاقات دبلومسيه معهم لانهم قد مالوا. الي نظام الاسلام او مالوا الي السلام بقبول الانطواء تحت النظام العالمي الذي جاء به الاسلام فيجوز المعنين باعتبار ان السلم بالفتح تعني السلام وبالكسر تعني الاسلام كما قال تعالي (ادخلوا في السلم كافه)

وبالتالي فهناك فرق بين مفهوم الدخول في الدين الاسلامي كعقيده فهذا الامر لايكون بالقوه والارغام وبين مفهوم الدين الاسلامي كنظام يحكم العالم كله كشريعه وقانونين فاللازم ان تسود مبادي وقيم الاسلام العالم كله ودور المسلم باعتباره خليفه الله في ارضه هو حراسه هذه القيم ومنع اي اختراق لها ولو لزم استعمال القوه لمنع ذلك فمن يقوم بالتضيق علي الحريات والحقوق الدينيه والسياسيه والاقتصاديه للمسلمين او حتي لغير المسلمين وجب اعلان الجهاد عليه ورفع معاناه الناس وازاله الظلم عنهم اما الامر الوراد في سوره التوبه بقتال المشركين في جزيره العرب فهذا يعود لكثره الجرائم التي ارتكبوها فقد ازهقت الارواح بسببهم ومنعوا دين الله ان ينتشر وارتكبوا ابشع الجرائم ووقفوا محاربين في وجه الاسلام فكانت تلك الجرائم دليلا انهم يستحقون القتل لانهم ارتكبوا الجرائم ولاصرارهم علي محاربه الاسلام واتخاذهم من المناطق الخارجه عن سيطره الدوله ملاذا لاستعاده نشاطهم في محاربه الاسلام والهجوم علي المسلمين انطلاقا من تلك الاماكن الامر الذي يقتضي استئاصلهم واستئصال

افكارهم الخبيثه وليس لاجل ارغامهم علي اعتناق الاسلام ولذلك اعطاءهم مهله اربعه اشهر يسيحون في الارض

ولهذا فان الايه هنا متعلقه بالاتي

الاول

:انه علي المسلم مسؤوليه تغير النظام العالمي بمحاربه كل صور الظلم والطغيان التي يعاني منها المستضعفين حول العالم اذا كان في مقدوره ان يزيل ذلك فعليه ان يحمل سيفه لحمايه المستضعفين ولاجل ان تنعم البشريه بالحريه وعداله الاسلام لمنع تسلط الطغاه علي رقاب العباد فاللازم ان يكون النظام الاسلامي هو الذي يحكم العالم فاذا قبلت الانظمه الكافره بالمبادي التي جاء بها الاسلام العداله والحريه والمساواه واحترام حقوق الانسان عندها وجب علي المسلمين اقامه علاقات معهم والتوقف عن حربهم

الثاني

انه في حاله الحرب مع دوله يجوز التصالح معها خاصه في حاله ضعف دوله الاسلام فالمسلم يطلب العافيه في كل وقت وهو بحاجه الي استجمام القوه احيانا للاستعداد

الثالث

ان يكون الصراع مع هذه الدول متعلق بمصالح اقتصاديه اوسياسيه. فان القياده السياسيه له ان تختار الحرب لفرض مصالح الدوله علي الغير بالقوه او السياسيه فهذه الامور تحتاج الي المرونه في التعامل ولهذا فان طلب الكفار والمشركين الصلح والموداعه فانه يجوز في هذه الحاله بشرط ان يكون للاسلام مصلحه من المصالحه ولهذا جاء الامر بالصلح مقيدا

الامر الثاني

ان مجي الامر بالصلح مقيدا بشرط جنوحهم للسلم فيه تقرير مبدا عام في معامله الكفار بشكل عام مبينه كيف يكون بناء العلاقات الخارجيه بما يحفظ المصالح الوطنيه ومبادي وقيم الاسلام ودوره في قياده العالم فلا مانع من اقامه العلاقات معهم مادام في ذلك مصلحه للمسلمين والامر موقوف علي مايراه الحاكم المسلم ولهذا جاء بالامربالصلح مقيدا بشرط جنوحهم للسلم لتفهم ان التشجيع والدعوه للتعامل الدولي مع الدول يجب ان يكون مرهون بحسب موقفهم من مبادي وقيم الدين الاسلامي التي تضمن حقوق الانسان وحريته وكرمته وتحقق العدل والمساواه. وبمدوي تجاوبها مع العهود و المواثيق فالتعامل مع الدول في مجال العلاقات الدوليه يكون من خلال الاحترام والتنسيق المتبادل مع عدم الاستغلال السياسي لها فاذا ترجح لك ميلهم للسلم فلا مانع من اقامه علاقات معهم مادام ذلك في مصلحه الاسلام والامر موقوف علي ما تراه القياده السياسيه ولهذا فان اللازم علي القياده ان تحرص علي عدم الوقوع في مناطق النفوذ سواء كان ذلك اقتصاديا او سياسيا او اي نوع من السيطره التي قد يحاول الاعداء الاستيلاء علي مركز القرار في الامه نظرا لان امر اختيار السلم او الحرب للقياده وهي من تملك القبول بالسلم او الحرب ولهذا نجد ان المولي عبر عن جنوحهم للسلم بحرف (ان) والذي يعبر به عن الامر المشكوك في موضوعه للاشاره انهم ليسوا اهلا لاختيار المصالحه وربما ان جنوحهم للسلم لحاجه في نفوسهم فعلي المومن ان يكون في حذر منهم وان يتوكل علي الله فاراد بهذا التثبيت وبعث الطمانينه في قلبه وان قبل المسالمه مادام فيها مصلحتك وعدم الوقوع في منطقه النفوذ فلا يكون الافراط في الحذر والحرص المامور به المسلم اثناء التعامل معهم وانما بحدود حاجته

لذلك فلا يدفعه ذلك الي الخشيه المفرطه التي تصبح حساسيه لامبرر لها فعليك ان تتوكل علي الله السميع لاقوالهم والعليم بنياتهم

التوجيه الخامس

قال تعالي (وان يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي ايديك بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض جميعا مالفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم أنه عزيز حكيم)

الأمر الأول

أن أول مايشد الإنتباه هو الأسلوب الرائع الذي وردت فيه النصوص في تقرير سياسيه الاسلام مع غيره من الدول فهو يقتلع كل أسباب الحروب من جذورها يقتلع العصبيه والدمويه والمذهبية ويقتلع جذور الطبقيه ويخفف حده الصراع الاقتصادي ولهذا نجد مجئ الايه الكريمه بتشجيع المومنين علي عقد المعاهدات الدولية مع غير المسلمين مادام فيه مصلحه المسلمين أن هم طلبوا ذلك حتي وان كان في هناك شك في نواياهم وأنهم يبيتون الخداع عند عقد المعاهده فقال تعالي (وان يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله...الخ

فالمساله هنا تختلف عن احكام الغدر التي تناولتها النصوص سابقا لان الخداع يعني اظهار مايبطن خلافه يعني أنه يدبر من إبرام الصلح أمر خفي يقوم به المخادع لايقاع الضرر والشر بالمخدوع (المسلمين)من حيث لم يحذر وينتبه فعدواته حاضره عند إبرام الصلح فهو لم يتوقف بطلب الصلح عن التربص بالمسلمين وعن الخداع فهناك نيه للنقض من البدايه وهذا لا يشترط في الغدر أن يوجد حال إبرام العقد النيه للغدر

ولهذا كان التعبير عن الجنوح للسلم من قبلهم ب(أن) المعبره عن الأمر المشكوك به كما أوضحنا بالفقره السابقه لاجل الحذر ولهذا جاء الأمر بالتوكل علي الله وطمانه أنه مطلع علي أقوالهم وعليم بأفعالهم ثم جاء ت الايه تدعوهم الي المضي قدما في إبرام الصلح

وان عليهم أن يثقوا بالله فانه يكفيهم الكيد والخداع الذي قد يبيته العدو من وراء الجنوح للسلم فلا تبالي بالمخططات التي يدبرها الاعداء من المعاهدات طالما أنها في مصلحه الامه فالإسلام بهذا التشجيع قد جاء بقواعد انشاء الأمم المتحدة قبل الف وأربعمائة وخمسين سنه وضع أسس هذه القواعد الاوليه التي حث فيها المسلمين علي المضي قدما في تنفيذها وصولا الي الميثاق الذي يضم تحت عنوانه السلم العالمي فمن قبل بقيم ومبادئ العداله والحريه والشوري والمساواة وحقوق الإنسان التي جاء بها الإسلام فإن علي المسلمين القبول بعضويته وإبرام المعاهدات معه تحت ميثاق السلم العالمي طالما قد ظهر ميله للقيم والمبادئ التي جعلها الاسلام عنوان السلام مع الأمم التي لم تعتنق الاسلام كعقيده فإن لها حريه المعتقد لكن عليها أن تقبل بالقيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام لتكون نظاما يحكم العالم كله

ولهذا يقول الحق لنبيه أن لايقلق من الباطن الذي يخفيه هولاء خلافا لما يظهروه من القبول بقيم الاسلام فإن اللازم التعامل معهم بالمهادانه مثلما يتم المهادانه مع المنافقين الذي يظهرون الايمان ويبطنون الكفر فالرسول صلي الله عليه وسلم قال لعمر عندما أراد قتل ابن أبي لا سيقول الناس محمد يقتل أصحابه ..لقد سماهم أصحابه لأنهم قالوا لااله الا الله في الظاهر وإن كانوا كفارا في الباطن وقد أخبر الله الرسول والمومنين أنهم أن هنالك منافقون في المدينه والاعراب من حول المدينه لا يعلمونهم ...ومع ذلك كانوا جزء من المجتمع المسلم وهكذا فإن هيمنه الاسلام علي العالم والنظام

الدولي يعني أن القاسم المشترك هو القبول بقيم الاسلام لتكون هي التي تحكم النظام العالمي ولايهم بعد ذلك أن تكون نوايا الاعداء الخفيه تتخذ من الموافقه علي الجنوح للسلم وميثاقه هدفا يقصد من وراءه الخداع يقول الحق لنبيه ثق بالله مع الأخذ بالاسباب فالله لابد أن يعز دينه وينصر أهل الحق فهو عزيز لايقهر ولايغلب وحكيم يضع كل شي في موضعه فالذي جمع قلوب المؤمنين وجعلهم اخوه بعدما كانوا أعداء كلا منهم يتربص بالآخر قادر أن يجعل افئده الناس تتمسك بمبادئ الاسلام ولاتنصاع لرغبات الاشرار فيسود الاسلام ويظهر ويهيمن علي العالم كله ولو كره الكفار والمجرمون لان قيم الإسلام فيها اعاده الانسانيه والحريه للإنسان فعندما يتذوق الإنسان هذه الحريه ويجد كرامته فإنه لن يقبل بالذل والهوان ولن يرضي بالقبول بما يوذيه من الظلم والطغيان عندها سوف تجد من يواجهه الطغاه من أبناء تلك الشعوب التي تذوقت الحريه فمن ذاق طعم الحريه لن يقبل بالاستبداد وكذلك فإن استغلال الإنسان لأخيه الإنسان إنما يكون نتيجه الجهل ولهذا فإن الحريه والقدره علي التفكير هما معياري قياس نسبه التفاوت في تحضر المجتمعات او تخلفها ولهذا متي تم ممارسه الشعوب لحقها في التفكير واختيارها للحاكم وذاقت طعم الحريه وتخلصت من الجهل فإن الفطره السليمه سوف تدفع الإنسان الي الايمان والدخول في الاسلام بقناعه تامه وباراده حره

الأمر الثاني

تبين النصوص أن المسلم يأخذ بالاسباب ويتوكل علي الله واثقا أنه اشد النصراء حضورا مع أولياءه واشدهم كفايه للمعتمدين عليه ولهذا يقول الحق لنبيه (وان يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله)

اي يكفيك الله فهو حسبك وحافظك فإذا أحسست ايه المسلم بغربه فالله هو الانيس الذي ينبغي أن تلجأ إليه وإذا اشتدت عليك المصائب فالله هو الذي يجب أن تلجأ اليه بالعلم أن ازمه الأمور من قضاءه وأسبابها والخروج منها بيده سبحانه وتعالى

فلا ياس في حياه المومن ولاتردد ولا انهزام مهما كانت الظروف المحيطة به معقده ويصعب فكها

فقوه المومن تكمن بالثقه بالله والتوكل عليه مع الأخذ بالاسباب لان الضعف والخذلان إنما يكون بعدم الرضا بالقضاء والقدر قال الماوردي معاند القدر مخذول

الأمر الثالث

عليك ايه المومن أن تنظر لنفسك اين تقف في أي موقع انت وعلي اي ارضيه تقف فإذا كنت تقف في مقام العبوديه لله فإن العزه والكرامه والغلبه لك اذا كنت تقف مع الحق وتحارب الباطل فعليك أن تثق بالله فانه يكيفك كيد الكفار لأن الله معك في هذه المعركة فماذا تخاف والأمثلة والنماذج امامك شاهده أن الله يعز أولياءه المتوكلين عليه ولهذا يقول الحق لنبيه (فإن حسبك الله هو الذي ايديك بنصره وبالمومنين

وهذا فيه

/١

يلفت انتباه المومنين الي نعمه عظيمه ايد الله به رسوله والمومنون به وهو نصره في بدر بدون أن يكون لهم قوه ولاحول فهم لم يخرجوا لقتال جيش قريش وانما أرادوا النيل من القافله ولكن الله اراد أن يظفروا بالنصر والتمكين رغم ضعفهم من حيث موازين القوه الماديه في تلك المعركه

/٢

وايضا يذكره الله بتايده بالمومنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد كان المسلمين في مكه مضطهدين وإعدادهم قله فكان مجئ الأوس والخزرج ودخولهم الاسلام فصاروا قوه تقاتل معه في سبيل الله وتتحمل أعباء الدعوه فصار هنالك دوله الاسلام في المدينه لها شعب تحكمه فهذا اكبر تايد من الله

وهذا تأييد من الله تعالي مثله مثل التايد بنصره للإسلام في بدر والفارق بينهما أن الاول)ايديك بنصره) حصل من الله بلا واسطه اسباب معلومه في الحياه وأما الثاني (والمومنين)هو تأييد حاصل من الله ولكن بواسطه اسباب معلومه وفي هذا بيان اقسام تأييد الله لاولياءه

/٣

تذكر الايه نعمه عظيمه ومعجزه جمع الطاقات وتأليف القلوب بعد أن كانت متفرقه فأصبحوا قوه بعد الضعف والمتامل لحال الأوس والخزرج قبل الاسلام يجد أنهم كانوا في شحناء وبغضاء فكل اسباب العدواه والكراهية والقتال بينهم كانت قائمة وفجاه اختفت وصاروا اخوه متحابين اجتمعوا علي الحب في الله فهذه معجزه عظيمه لايقدر عليها إلا الله فهذا اثر عقيده الايمان التي أزالت كل أسباب الجفاء والقساواه من قلوبهم

فقد امتن الله علي عباده بهذه النعمه العظيمه الآتي

المفهوم الاول

أن هذه التجربه التي كان تأليف قلوب المؤمنين واتحادهم حول كلمه التوحيد نموذج يدلنا علي كيفيه استرداد الامه دورها وفاعليتها وازدهارها وتقدمها ولهذا يمتن الله علي رسوله والمومنون بتأليف قلوبهم وانهاء الصراعات والحروب التي كانت بين الأوس والخزرج باجتماعهم حول عقيده الايمان لان اول معطيات ومقومات التطور والتقدم والازدهار والنصر هو الالفه ولايمكن حدوث التطور الحضاري العصري بدون الالتحام بين مكونات المجتمع ولهذا فإن عمل الاستعمار علي تمزيق الامه الي دويلات متناحره بعد أن زرع فيها العصبيات والقوميات والمذاهب والأحزاب والطوائف حتي تظل له يد ونفوذ علي قرار الامه ومقدراتها وامكانياتها وقد تعمقت الخلافات ولهذا صارت الطاقات متفرقه و الشعوب المسلمه متصارعة فيما بينها البين داخليا وخارجيا رغم كثره اعدادهم ولديهم ثروات طائلة ولكنها متمزقه ولهذا فان الامه الاسلاميه اليوم بحاجه الي وحده شامله لكي تنهض وحده شامله تجمع كل طاقات الشعوب الإسلامية بشكل قوه واحده ملتحمه لا مجرد التعاون الذي استبدل اليوم بدل الوحده ثم تحول الي تنسيق داخل أوراقه الجامعه العربيه ومنظمه الموتمر الاسلامي ثم تلاشي التنسيق وتعمق التمزق وتاهت الوحده وتوقف العمل علي تجميع طاقات الامه اليوم بل إن الهويه تمر بمرحلة خطيره ودقيقه تمثل مرحله فارقه في حياه الامه الاسلاميه والعربيه اليوم أوقعت الجميع في مأزق يتطلب من الجميع الارتفاع الي مستوي المرحله والمساهمة في الخلاص من هذا المازق الذي تعني منه الامه اليوم بالعوده الي البدايه التي شكل فيها هويه الامه وقوتها والاعتصام بحبل الله وترك العصبيات والقوميات المقيته والعمل علي جمع طاقات الامه في قالب واحد لتكون قوه واحده ملتحمه حول لااله الا الله محمد رسول الله...ولابد من العمل علي تجديد طاقات الامه وتفعيلها والوقوف ضد كل ما يعطلها ويشلها بازاله اثار الاستعمار والحواجز التي صنعها المستعمر لناخذ بتجربه الاخاء بين المهاجرين والأنصار والتي كان التحام المسلمين حول عقيده التوحيد فإن هذه التجربه في تأليف القلوب والاتحاد هي افضل نماذج يقتدي به اليوم للخروج من حاله الضعف والهوان الذي تعيشه الامه فإن امتنان الحق علي النبي وأصحابه بتلك النعمه هو تدوين لهذه التجربه في صفحات الكتاب المقدس عندنا القران الكريم يهدف أن تكون هذه التجربه حاضره في كل وقت نقرأ فيه القرآن تدلنا علي

ابجديات بناء الحضاره الاسلاميه ودولته القويه التي تحظي برعايه الله وحفظه وعنايته والتي يجب أن تكون لنا ملهم يأخذ حس المسلم للتفاول والعمل لاعاده عز الاسلام وتجسيد هذا النموذج في صوره الدوله الاسلاميه من جديد دوله تحترم حقوق الإنسان وتحرس حريه الإنسان وكرامته دوله العدل والمساواة والحرية والسلام

المفهوم الثاني

أن اللازم عليك أن تدرك أنه لايمكن أن يبدأ تطور دون أن يسبقه استقرار فالوحده واجتماع الكلمه هي المدخل الي الاستقرار ثم الي التطور ولهذا نجد أن المولي يخاطب نبيه (هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض جميعا مالفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم أنه عزيز حكيم)

تبين النصوص أن من أعظم أسباب النصر تأليف القلوب المورديه الي اجتماع الكلمه فالوحده واجتماع الكلمه هي المدخل الى الاستقرار ثم الي التطور ولهذا جاءت الايه في معرض الامتنان علي الرسول صلى الله عليه وسلم بالنصر والتأييد لان قياده التقدم لابد أن يوجد مجتمع متلاحم له اهداف يسعي الي تحقيقها ولهذا كان هجره الرسول صلى الله عليه وسلم الي المدينه لاجل انشاء دوله الاسلام وانشأ الدولة لابد له من شعب والشعب لابد له من تجمع والتجمع ولايمكن أن يوجد مع استمرار الصراعات والحروب بين الأوس والخزرج فلا يمكن أن يبدأ تطور دون أن يسبقه استقرار

وبالنظر الي مكونات المجتمع المسلم (المهاجرين والأنصار)الذين شكلوا نواه المجتمع المسلم يجد من غير الممكن خلق السلوك الجماعي لبلوغ مرتبه التطور الاجتماعي ويستحيل تجميع الطاقات وتوجيه نحو مصلحه جماعيه يجتمعون عليها نظرا لأن التجزئة والتفرقه والنعرات والقبليه والعنصرية كانت هي البئيه الاجتماعيه لواقع الجزيره العربيه بشكل عام بينما المسلمون كانوا يمثلون جميع القوميات فهناك صهيب الرومي وسلمان الفارسي بلال الحبشي وفيهم الأغنياء والفقراء طبقات متنوعه اضافه الي الصراعات والحروب والاقتتال بين الأوس والخزرج قبل هجره الرسول صلى الله عليه وسلم فهذه الأحوال والبئيه جعلت التجزئه أمر مورث كالصفات الوراثيه التي يستحيل التخلص منها

فكان خلق السلوك الجماعي أمر في غايه الصعوبة بل مستحيل حتي لو بذل من يفكر في ذلك كل مال الارض وما فيها من ذهب ونقود وفضه فقال تعالي (لو أنفقت مافي الارض جميعا مالفت بين قلوبهم)

لان القائد يحرص علي الوصول الي خلق السلوك الجماعي لبلوغ مرتبه الاستقرار والتطور

ولهذا يقول الحق لنبيه أنه في ظل تلك الظروف والثقافه والبئيه التي شكلت سلوك الناس يستحيل لاي قوه أن تقنع من نشأ في مثل هذه البئيه علي رفض الواقع السطحي الذي يحياه فما هي القوه التي جعلت المومنين يشعرون بالقلق تجاه الظروف التي ورثوها والي وقت قريب كانوا يعيشونها فما الذي جعلهم يسعون الي محو الآثار السئيه التي ورثوها ويستبدلوها بصفات ومقومات اكثر قدره علي التطور والتقدم جعلتهم يرفضون الواقع السطحي الذي يعيشونه ويرفضون إهدار طاقاتهم الخلاقه في خصومات عقيمه

ما هي القوه التي أدت الي اختفاء النعرات القبليه والعنصرية والمناطقية في بيئه تقوم ثقافتها علي التفريق بين القبيله والقبيله وبين الجهات وبين الافخاذ داخل القبيله الواحده واستبدال ذلك بتجمع فيه الحرص علي توجيه الطاقات واستغلال القدرات والامكانيات في لحن جماعي منسجم ومتطلع وهادف الي غايه مدروسه ومقدره عند بدايه التفكير في دفع عجله التطور الي التطور مجتمع أصبح

حريص علي ازاله كل أسباب الجفاء والقساواه ويحرص علي الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يليههم أو ينسيهم أهدافهم التي اجتمعوا عليها فهم يؤثرون إخوانهم علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصه كما وصفهم القران

أن هذا كله هو بقوه الله تعالي ولهذا يقول الحق لنبيه أن التأليف بين قلوبهم ليس بقوتك بل قوه الله فلو أنفقت مافي الارض ما استطعت أن تولف بين القلوب

وهذا لأن مهمه القياده تجميع الطاقات وخلق السلوك الجماعي اي قياده تسعي لذلك وتنفق الأموال الطائله للتوافيق بين الظروف والتطور بان تولد فيهم الشعور بالمصلحه المشتركه التي تستلزم القيام بالجهود المشتركه في سبيل تحقيقها فيحصل اجتماع هكذا شعب علي كلمه او رأي أو فكره لكنه مرهون بوجود المصلحة الماديه أو المعنويه التي اجتمعوا عليها ولهذا قد يبدوا لك أن سلوك مجتمع ما معبر علي الوحده لكن هذه النظره في حقيقتها غير صحيحة لأن قلوبهم متفرقه كما قال تعالي (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتي)

لان تأليف القلوب أمر مختلف وحده تجمع مجتمع حول مصلحه فتاليف القلوب يعني اتحاد الفه بين جماعات اي تالف كل جماعه الأخري فيكون بينهم من التماسك ما يجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضا يشعر بمعاناه أخيه المسلم إذا أصابه مكروه ويحب له ما يحب لنفسه انه اتحاد يتجاوز الاتحاد المادي الي تالف الأرواح المومنه مع بعضها البعض فتري معها السعاده وهذه نعمه عظيمه لايقدر عليها إلا خالق القلوب كما خلقها من العدم الي الوجود هو وحده قادر أن يولف بينها ولهذا تظهر الايه أن الجهود المبذولة من البشر تعجز عن تأليف القلوب ولو أنفقت جميع أموال الارض لان تلك قوه لايقدر عليها إلا الخالق القادر علي كل شي ولهذا جاء الاستدراك (ولكن الله الف بينهم)

ارتقاء في القوه من قدره الإنسان العاجز الي ما يمكنه الخالق القادر فهذا التأليف هو الذي أوجد الجماعه الاسلاميه لان التأليف بين القلوب من اسرار الخالق القادر الذي لايملكه البشر وان لذلك سنن فهو تعالي لايؤلف بين قلوب لم تجتمع علي عبوديته وطاعته مهما أنفقت علي ذلك من أموال لاجل التأليف بينهم ولهذا فإن الحصول علي هذا الكنز العظيم يتطلب الاخلاص والايمان الصادق من العبد لانه بقدر ما يكون في هذه القلوب من إيمان تحصل بركه التأليف فهذا هو السبيل الوحيد الذي يفهم من الخطاب الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لن يستطيع أن يولف بين القلوب ولو انفق مافي الارض جميعا لانه لايمكن لأحد من البشر أن ينفذ الي القلوب ويفعل مايشاء فيها إلا الله وحده فقد استأثر بذلك وخص نفسه فاخبرنا أنه تعالي يولف بين القلوب عندما تذوب الفوراق والعنصرية و المناطقية والعصبيه والقوميات والمذاهب والأحزاب وحينما تكون كلمه لا اله الا الله هي التي نجمتع حولها عندما تصير العقيده هي التي تحكم الحياه وتقبل بما فيها ونقمع الشهوات. والأهواء عندما يكون الحب في الله والبغض في الله ولهذا اختتم الايه بقوله (أنه عزيز حكيم) لبيان أنه تعالي بيده العز فهو يعز من يشاء وقد اعز أولياءه بأن الف بين قلوبهم ونصرهم فهو عزيز لايعجزه شي ولامعقب علي حكمه وهو حكيم لا يخرج شي عن حكمته

القسم الثاني

ابتدأت ايات هذا القسم بالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يأمره أن يحرض المومنين علي قتال الكفار مبينا اهميه الاعداد النفسي للجندي المومن وتقويه العزائم وفقه قواعد الحرب ومقاصده فقال تعالي (يايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين يايها النبي حرض المومنين علي القتال أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكون منكم مائه يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الان خفف عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائه صابرةيغلبوا مائتين وان يكن منكم

الف يغلبوا الفين باذان الله أن الله مع الصابرين)

ابتدأت بالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لأن القياده (السلطه)مكلفه بتجميع الطاقات وهي الجهه التي تتولي تنظيم المجتمع والدوله وتعمل علي تحقيق الأهداف الاساسيه للدين وحمايه الامه الاسلاميه و الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام هنا لتفهم أن نظام الحكم في الاسلام قائم علي دستور محدد ومكتوب ومعلوم للجميع وان التقيد به دينا لايجوز الخروج عنه ولهذا فالامه الاسلاميه ودولته مطالبتنا بالتقييد بمبدأ اقامه السلطه علي اساس المنهج الإسلامي ولهذا فإنه بالوقوف علي الآيات نجد فيها الآتي

الأمر الأول

ابتدأت الايه الكريمه بهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالي (يايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين)

بان عليه الاعتماد علي الله تعالي فهو تعالي متكفل بحمايه الرسول وكفايته شر الاعداء وحمايه المومنين الصادقين المخلصين شر الاعداء ونصره رسوله واولياءه

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

اهميه تربيه الامه علي طاعه الله والاعتصام بحبل الله والاستغناء بالله عما سواه لأن ذلك فيه العز و النصر والقوه ولهذا نجد الايه ابتدأت بقوله تعالي (يايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين)

وهذا فيه دعوه للاستعلاءوالثقه بالله فهذا هو طريق الوصول الي العز فعليك الاعتماد علي الله تعالي والثقه به عند الدخول في أي معركه فهذا وعد من الله للنبي صلى الله عليه وسلم بحفظه من شر الاعداء والحماية من كيدهم و كذلك وعد بحمايه المومنين الصادقين المخلصين المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم ونصرهم علي عدوهم

فهذا فيه تهئيه النفوس وتقويه المعنويات بأن المعركة محسومه لأن من كان الله حسبه فهو ناصره فلا توجد قوه تقف أمام قوه الله العزيز الجبار القهار فالاعداء مهما كانت قوتهم فهم مهزمون لأن الله يقف في المعركه ضدهم وهو متكفل بحمايه المومنين ونصرهم فماذا يفعل أعداء الله فهم يركنون الي قوتهم الضعيفه الهزيله العاجزه أمام قوه الله

المفهوم الثاني

لكن هل العز والنصر والحماية التي وعدها الله للمومنين تمنح محاباه بدون اسباب ؟

من الموكد أن لها أسباب فليس الأمر حاصل بمجرد أن ينتسب الإنسان للإسلام ليس الأمر كذلك وانما يكون لمن اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بالإيمان الصادق واقتدي به صلي الله عليه وسلم ولهذا جاء العطف (ومن اتبعك من المومنين)

اي وهو تعالي كافي وناصر من اتبعك من المومنين والاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم هو وسيله الوصول لحب الله لقوله تعالي (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم)

ولهذا فإن شرط الإتباع بالتزام كتاب الله وسنه رسوله هو شرط الكفايه والعز والنصر والحماية فهو تعالي متكفل برد ودفع كل الاعداء عنهم فإذا تخلف الشرط بالبدع والافراط والتفريط تخلفت الكفايه لتخلف شرطها

الأمر الثاني

ما الحاجه لدعوه النبي والمومنين الي الاستغناء بالله تعالي في هذا المقام ؟

لان الإنسان الحر الكريم مخلوق يأنس ويستوحش ويقوي ويضعف وهو دائم الاحساس بالحاجه الي استمداد العون والتماس السكينه خاصه في أوقات الأزمات ولهذا فإن الإنسان في هذه الأوقات يكون ضعيفا وخائفا من الخذلان

نجد البعض يلجأ الي الاستعانه بمن يمتلك قوه عسكريه لدفع خطر الجيوش المعاديه او يذعن لمطالب أعداؤه والبعض الآخر يستعين بالماده ويستعلي بها والبعض الآخر يعتز بصداقه امريكا وروسيا ولهذا الضعف والخوف اذا تمكن من الإنسان فإنه يكسر شوكه العزيمه ويضعف قوه الاراده ويطفي جذوه النشاط الملتهب ويقعد الإنسان عن السير نحو المثل الاعلي التي يتوخاه في عمله خصوصا في هذه المهمه التي يراد بها صقل النفوس وتهذيب الانسانيه وإصلاح مافسد من أحوال العالم ولهذا تأتي لبيان الآتي

المفهوم الاول

تبين النصوص الحقيقه التي يستمد منها المسلم قوته في الحياه وعزته بأنها تقوم علي فكره(تاليه الله وإنكار الواهيه من سواه فهذه هي القاعده التي تقوم عليها فكره لا اله الا الله اي اخراج كل الأصنام من النفس وإحلال عقيده التوحيد في القلب محل ذلك وهذا يقتضي أن تخرج من قلبك كل معبود غير الله فإذا واجهت اي مصيبه فأول ما يخطر في بالك هو الله تستعين به لأن المومن يومن بان الله وحده هو المتفرد بخصائص يستعلي بها علي من سواه فهو الخالق ومن عداه يستوون في أنهم مخلوقات وهو المعبود والجميع سواء في عبادته فهو تعالي ليس كمثله شي وهو وحده الكبير المتعال العزيز الجبار القهار المتكبر وهو وحده المالك والرزق (تاليه الله تعالي وإنكار الواهيه من سواه ولهذا فإن هذه القاعده التي تقوم عليها فكره لا اله الا الله تعني تحرير الإنسان من كل القيود التي تستعبد الإنسان عندها يكون حرا فلا يقبل الذل والهون

المفهوم الثاني

أن تربيه المسلم علي الاستعلاء بالحق والثقه بالله من أهم عناصر التعبيت وتقويه القلوب في مواجهه التحديات والصعوبات والمخاطر والأزمات بعزيمه قويه وهمه وقلب مفعم بالطمانينه والسكينه فالمسلم مأمور بالاخذ بالاسباب وبذل كل جهده ومانقص فقد تكفل الله باستكماله ولهذا فإن المومن لايخاف ولا يضعف أمام المصائب مهما بلغت ولايستوحش لانه يأنس بالله وبالتالي لامكان للاحزان في قلبه ومن يدرس تاريخ الاسلام من بدايه نزول الوحي يجد انهم عاشوا حياه كلها كفاح ونضال ابتداء من مقاومه الاضطهاد والاستبداد في مكه ثم الهجره وترك الوطن والمال والأهل وعندما وصلوا الي المدينه كي يستقروا فما كادوا أن يتنسموا نسيم الحريه حتي عصفت بهم ريح الدسائس والفتن من اليهود و المنافقين ثم الحرب مع قريش والتي اجتمع حولها العالم لمحاربه الاسلام فقد عاشوا حياه كلها كفاح ونضال وجهاد فهل ضعف المسلمون وهل استسلموا لقوي الكفر من الموكد أن الجواب لا والسوال هنا لماذا لم يضعفوا

لان قلوبهم مرتبطه بالله وهم واثقون بنصره أنهم يعتمدون علي قوه العزيز الجبار القهار فكيف يضعفون أمام البشر فالمسلم قوي باتصاله بالله فهو يأنس الي ربه

الأمر الثالث

تبين النصوص أن الدين يفجر الطاقات الانسانيه العارمه البناءه حين يربط الإنسان في استعلائه واستسلامه ...بالله الواحد القهار

لان المسلم يتحرر من كافه الأصنام فلا يخاف الا الله وهو لاملجا له إلا الله مهما كانت المصائب فهو يلجأ الي الله الذي ليس كمثله شي ولم يكن له كفوا احد والله وحده الذي له الحكم والأمر والمومن يقبل بأمر الله وقضاءه وقدره وحكمه فالله وحده الذي لايسال عما يفعل وهو وحده الذي يحمد علي السراء والضراء ولايحمد علي مكروه سواه والناس في عقيده الاسلام مخلوقات ايان كانت منازلهم اندادا وامثال بعضهم فالعباد سواء لايستغلي عليهم إلا اله المعبود والخلق سواسيه يتعاونون ويتحاسبون ويحسنون ويخطئون

فهذه هي الحريه التي جاء بها الإسلام ومن هنا تنطلق الطاقه الانسانيه في اضخم إمكانياتها

فالحرية عند المومن لم تعد صرخه بشريته ونداء فطرته فحسب أنها دينه الذي يعبد الله به ويلقاه عليه فيرضي نزاعته في الانقياد والاستسلام لقوه كبري في الوقت الذي ينطلق فيه الي أرحب الآفاق بإسلام الوجه لله ينطلق في الكون وعباده الله بالتحرر من كل سلطان سواه ولهذا فإن المسلم حر لا يخضع لغير الله ولا يمكن للمسلم أن يقف مكتوف الأيدي وهو يشاهد ارض الاسلام تنتهك أو دينه فلا بد أن ينهض للجهاد ضد قوي الاستكبار لابد أن ينتفض فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (ما من مومن يخذل مومن في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا خذله الله في موطن يجب نصرته وما من من امري ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله ...الخ

فالامه إذا اردت أن تسود وتنهض فلابد لها من الجهاد والتناصر والتعاون والتكاتف وترك التخاذل فالمسلم يعتمد علي الله ولهذا لايخاف كثره الاعداء ولاقوتهم ويقف شامخا ولو قل عدد المومنين ولهذا جاء النداء الثاني (يايها النبي حرض المومنين علي القتال)

وهذا فيه توجيه للنبي صلى الله عليه وسلم بتحريض المومنين علي القتال في سبيل الله

والثبات في الحرب والصمود والصبر فالواحد يغلب عشره من المشركين فقال تعالي (أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائه يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون)

وهذا فيه

المفهوم الاول

عليك أن تدرك أن النظام السياسي يتولي دفع تيار التقدم والتنميه فهو يتحكم في مسار المجتمع ولهذا فهو يتحمل تبعات عرقله التقدم إذا لم يقم بدفع تيار التقدم ولهذا جاء الأمر الإلهي الي النبي الكريم (يايها النبي حرض المومنين علي القتال)

اي حث المومنين وأمرهم علي القتال والكفاح والنضال وان يبذلوا أقصي جهد لديهم في الأخذ بالاسباب لان تفاوت المجتمعات المومنه الصادقه في إيمانها واختلافها في التقدم يعود الي التفاوت

في بذل الجهد اللازم بذله وصولا بالاخذ بأسباب القوة حيث أن بعض هذه المجتمعات توثر الراحه مع الاكتفاء بالاقل والبعض يبذل أقصي الجهد وصولا إلى الاكثر ولهذا قال تعالي سابقا (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة)

وهنا ذكر اهميه الاستعانه بالله والاعتماد علي الله ثم أمر رسوله بتحريض المومنين

وهذا فيه الأمر بالاخذ بألاسباب من خلال الاعداد النفسي والجسدي للجندي والشعب المسلم وحثهم على بذل اقصي جهد لديهم وتدريبهم علي فنون القتال وتزويدهم بالمهارات والمعارف اللازمة لخوض المعارك بخبره ودرايه وفهم ومعرفه لاداره الازمه تحتاج الي الأخذ بالاسباب التي أودعها الله في خلقه مع تفعيل البعد الديني الذي يمكن الإنسان من الصمود ومواجهه الازمات فهو تعالي يبين لنبيه كيف يكون تحويل الموقف السلبي الي ايجابي بأنه يكون بقوه الايمان والعزم والتوكل على الله مع الاستفادة من خبرات المجموع فلا يعتمد على الايمان وحده لأن ذلك نوع من التواكل ولايضيع الايمان ويفرط فيه لحاجه النفس للشعور بمدد خالقها فالجمع بين الإيمان والملاحظة في مواجهه التحديات مهم وملزم للقياده ولهذا لابد أن تكون القياده قادره علي الاضطلاع بالمهمه لان التفاوت في حركة الشعوب يختلف باختلاف امزاجه قيادتها السياسية وقدرتها علي تشجيع أبناءها في اتجاه تنميه ملكاتهم وتوسيع افاقهم وزياده امكانياتهم واستمالتهم الي أن يعيشوا في مستقبلهم المرجو مجتهدين في تطوير واقعهم المرفوض والنهوض

ولهذا جاء الأمر للرسول صلي الله عليه وسلم (يايها النبي حرض المومنين علي القتال)

اي ان يستنهض إليه المومنين بما يقوي عزائمهم وينشط هممهم من الترغيب في القتال ومقارعه الاعداء لان المجتمعات التي علي عتبه التقدم يميل ابناوها عاده الي تحرير حوافزهم التي تشدهم الي مستوي افضل لاجل أن يساهموا في أحداث التنميه والتقدم ويشاركوا في صناعته

ولهذا فإن القياده هي المسؤولة عن استمالتهم الي خلق المزيد من المبادرات المبدعه وتنظيمها لاجتياز مرحله التخلف باعتبار القياده هم القدوه الصالحه والحسنه بعد الرسول صلي الله عليه وسلم لان تنشيط العزائم يحتاج الي محرك يثير نار الانفعال في الرماد

حتي يستعيد الحياه والتوهج يحتاج الي القدوه التي تشع الحيويه في المحيط المحيط الذي يعيشون فيه وعن طريقهم تنبعث الحياه في المجتمع فيتحرر وينفتح وينطلق

حيث أنه يخلق الانفعال الذي يبث في افكارنا الشوق الي الفكره (الجهاد)ولهذا استعمل لفظ التحريض لان الاختيار الفعال الممكن من الممكنات الجديده لايمكن تفسيره بالعقل وانما يفسر بالانفعال الخلاق والذي يتوقف عليه حقيقه تقدير قوه المومنين في مواجهه العدو في ميزان الله فقال تعالي (أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائه يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الان خفف عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائه يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف) حيث أن الانفعال نوعان مثلما أن العاطفه ضربان والحساسيه شكلان حيث الانفعال يعرف بأنه هزه عاطفيه في النفس لكن شتان بين رجه تقوم علي السطح وبين زلزل يعصف في الاعماق لماذا لأن الأثر في الحاله الأولي يتبدد لانه لا ينتقل الي كل الاجزاء فهو بمثل حاله ضعف اما الثانيه فهي التي تمكث وتصل الي كل جزء وتدفع صاحبه الي الامام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه في بدر وقد اقبل المشركون باعدادهم وعددهم (قوموا الي جنه عرضها السموات والأرض)

فقال عمير بن الحمام عرضها السموات والأرض بخ بخ فقال له الرسول ما يحملك علي قول بخ بخ قال

رجاء أن أكون من أهلها قال فإنك من أهلها ....هذا يدل أن انفعاله ناتج عن هزه العاطفيه نفسيه عميقه انتقلت الي كل جزء منه وهو يسمع قول الرسول عرضها السموات والأرض فقد زلزلت اعماق نفسه وعصفت بها فجعله يتمني أن يكون من اهل الجنه ...دفعه أن يتقدم يقاتل حاملا سيفه وبيده تمرات ياكل منهن انظروا كيف تصرف لقد القي بالتمرات من يده وقال (لئن حييت حتي اكلهم أنها لحياه طويله ثم تقدم فقاتل حتي قتل رضي الله عنه)

وهذا يفسر لنا أن انفعال الصحابي هنا ناتج عن عاطفه قويه عن انفعال خلاق للفكر والإبداع متأثرا بتحفيز الرسول صلى الله عليه وسلم التي ولدت شعورا بالتقدم والتطلع الي الجنه انفعال يبعث علي الحماس قدما فهذه الهزه عميقه تجعل الواحد بعشره من الكفار لأنها تولد وتفجر انفعال يجعله له من العلو في القيمه والسرعه ثابتا وصابرا وصامدا لايتزحزح من ساحه القتال ولو كان يواجهه عشره من الكفار أما إذا كان الاهتزاز ضعيفا ولم يصل الي الاعماق فانه يحدث ارتجاج متفاوت بين سطحي ومتوسط وهو في أضعف حالاته يكفي ليزود المومن بقوه تجعل الواحد يقاوم اثنين من الكفار ولهذا قال تعالي

المفهوم الثاني

أن التحريض في الايه لايقتصر علي ما يقرر لهم الرسول صلى الله عليه وسلم من إرشادات وتوجيهات بما يتعين عليهم مثل تحريم الفرار من ساحه المعركه بل يتجاوز ذلك الي جعلهم جميعا أطرافا في عمليه اتخاذ القرار ولهذا استشار الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابه رضي الله عنهم في الغزوات منها بدر حيث أشار عليه الحباب بأن يعسكر المسلمون علي اماكن المياه ..وكذلك استفاد الرسول بخبره سلمان الفارسي في الخندق فتفجير الطاقات واستماله المجموع أمر مهم في الخروج من الازمات فالقدره علي حشد وتعبئيه الموارد المتاحه وتعظيم الشعور المشترك بين أعضاء المجموعه وبالأخطار التي تفرضها الازمه أمر مهم لشحذ واستنفار الطاقات ومواجهه الازمات فالمجتعمات التي عتبه التقدم يميل ابناوها عاده الي تحرير حوافزهم التي تشدهم مستوي افضل لاجل أن يساهموا في التقدم و التنميه والخروج من الازمات واحتواء آثارها ويشاركوا في صناعه النجاح وهذا يتوقف علي الثقه بالقدرات ...وتكوين فريق عمل مشترك ..أن تكون القياده مصدر إلهام مما يشكل مصدر الإلهام لكل فرد منهم قوه للقيام باشياء كانوا يتصورون أنها ليست بالإمكان ولهذا كان مناسبا مجئ الآيات بعد ذكر أن الله انزل القرآن فكره الفت بين قلوب المؤمنين فكان مجئ هذه الآيات لبيان ماهو عمل الرسول صلى الله عليه وسلم في تنميه هذه القوه وتطويرها خطوه خطوه حتي يصبح المومنين جسدا واحد حيث يفهم من الايه

اهميه وجود اداره رشيده قادره علي الاضطلاع بدورها القيادي في الارتقاء بمستوي الجماعه لان الامه بحاجه الي المحرك الذي ينظم الطاقات ويعمل علي اثاره التوهج

لان الفوضي تجعل أهلها عاجزون عن إصلاح الخلل وتودي الي اشاعه أجواء التناحر والتدابر والتحاسد وتحول الكيان الي رخو وهش لايستطيع الصمود أمام الازمات ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم إذا وسد الامر الي غير أهله فانتظر الساعه)

اعتبر ذلك من علامات دنوا الساعه لان دنوها يفضي الي الفوضي ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحثهم علي القتال وهو ينظمهم في صفوف القتال

والتحريض لايراد به مجرد التنظير بل يتطلب قدوه حسنه تمتع بالكفاءه والقدره علي اداره المعركه فعندما يكون القائد في مقدمه الصفوف يشاركهم قتال الاعداء فإن هذا يبعث فيهم الحماس ويفجر

فيهم الطاقات فهذا هو مفهوم المحرك للطاقات اي ان يكون قدوه صالحه فهم الانبياء والصالحين والتاريخ ملئ بالتجارب والقدوه الحسنه وما اثار انتباهي حين كتابه هذه الأحرف هو استشهاد يحي السنيوار يومنا هذا فإن هذا القائد العظيم قد جسد نموذجا يفجر الطاقات والحماسه للمجاهدين لقد قاتل حتي لقي ربه لم يقعد ليلقي الأوامر بل كان جزء من المعركه ولهذا فلا عجب أن تري صمود المقاومه القليله التي لاتناسب بينها وبين العدو من حيث العدد والعتاد ولكنهم صامدون بثبات

فالتحريض ليس بالقول بل بالفعل وحسن الاداره والاهتمام بالبناء الايماني والقيمي للمومنين لأن من شأن ذلك أن يرفع انتاج الموسسه وتمكينها من المواجهه بثقه وطمانينه

فجاءت النصوص بصيغه الاخبار (أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف....الخ

لبيان أنه بقدر قوه الايمان والعزم والتوكل والافاده من الخبرات والجمع بين الإيمان والملاحظة باعتبارهما طريقين متلازمين في مواجهه التحديات من خلال الأخذ بالتوجيهات في بناء الموسسه فكريا ونفسيا وجسديا فمتي مابنت فكرها أن بداخل الازمه فرصه للنجاه لمن صبر وتدبر واستعان بالله فمن صبر ظفر واستقر ذلك الشعور في أعماق النفس وبحسب نسبه التأثر بذلك وبقدر الاهتزاز الذي يحدثه الانفعال في أعماق النفس يكون الصمود والثبات وعدم الاضطراب في المعركه حيث يكون المومن الواحد قادرا علي مواجهة عشره من الكفار في اعلي المستويات وأما إذا قلت النسبه فإن القدره علي المواجهة تقل بحسب النسبه وادني شي أن المومن يقدر علي مواجهه اثنين ولهذا فإن الايه فيها اخبار عن قوه المومنين في مواجهه الاعداء بان أحوالهم تختلف فهم ليسوا متساوين في قدراتهم واستعدادتهم ولهذا جاء الاخبار بالقاعده الفكريه والقيميه التي تبني علي الموسسه العسكريه وخوض المعارك فاللازم أن تدرس أحوال أبناء الموسسه وقدرتهم بناء علي هذه القاعده ويكون حكم اختيار المواجهه للعدو بالكر أو الفر بناءا علي هذا التقدير وان ادني شي لايسمح معه الفرار من ارض المعركه أن يكون اعداد العدو وعتاده ضعف عدد المسلمين وليس في الايه نسخ كما ذهب البعض استنادا لما سبق ذكره ولأنها وردت بصيغه الخبر وليس الأمر وايضا لان الواقع يتحدث انه لم يكن هنالك ثمه حروب بين معركه بدر ونزول الايه حتي يذهب البعض للقول إن الحكم في بدايه الامر كان يلزم المسلم بقتال الواحد عشره وأنه شق عليهم ذلك فنزلت الايه تخفيفا لهم ...فهذا القول يتعارض مع الواقع لان الايه نزلت بعد بدر وقبل غزوه احد فكيف كان استناج هولاء أن النسخ عائد لمعاناه المسلمين المشقه ؟

وانما الايه فيها بيان أن المفاهيم الإيمانية ليست مفاهيم ميتافيزيقيه لأصله لها بالواقع ولهذا بينت القاعده الفكريه والقيميه التي تبني عليها الموسسه العسكريه وجعلها معيارا لتقيم قدرات المومنين فإذا كانت النسبه عاليه في أفراد الموسسه كان خوض القتال وإذا كانوا فيهم ضعف مثل أن يوجد انقسام بالصفوف أو نقص في الموهلات القتاليه أو نقص المال أو ضعف الصله بين الأفراد والقياده ...فاللازم مراعاه ذلك فكل شئ له وزن في المعركه تقوي جانب المومنين أو تضعفهم فكان ذكر التخفيف و التيسير وفقا للواقع الذي تعيشه الجماعه في لحظه التفكير باتخاذ قرار الحرب أو السلم او عند المواجهه فاللازم أن تدرس الموضوع من جميع جوانبه وفقا لهذا المعيار

المفهوم الثالث

تبين الايه أن الفارق بين المسلم والكافر هو أن المومن يستعلي بالحق ولهذا فهو لايقف عاجزا أمام الشر مهما كانت قوته ولهذا فموقف المومن من الازمات والتحديات هو الشموخ اعتزازا بكونه عبدا لله تعالي فهو يستمد منه الثبات لانه يلجأ الي الله بالدعاء والاعتماد عليه ومصادر التراث تحكي لنا عن ذلك كثيرا ففي حنين انسحب جمع من جيش المسلمين من هول المفاجاه التي أعدتها هوزان حيث

استدروجهم الي الغنائم عندما أظهروا الهزيمه في بدايه المعركه ليخدعوا المسلمين وكان لديهم رماه مهره لايكادون يخطئون ففر الصحابه من هول المفاجاه وشد النبل ولكن النبي صمد واستطاع بثباته أن يعيد تجميع جيش المسلمين وفريق عمله للمواجهه وقد روي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل واستنصر ثم قال أنا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم صف أصحابه

فهذا يدل علي اهميه ثبات القائد واهميه الدعاء وقد انعكس ذلك علي الصحابه فتجمعوا بعد أن كادوا يخسرون المعركه فالمومن يستعين بالله وهو واثق بنصره وكفايته وحضوره لنصره أولياءه ولهذا يصبر ويثبت في ساحه القتال فموقفه يختلف عن موقف الكافر الذي يستعلي بالمال أو الجاه و السلطان والسلاح لهذا فهو عند العواصف يستعين بغير الله لأن هذه القوه واهيه ضعيفه ولهذا فهو مخذول

والمومن لايطع الكفار والمنافقين ويعتمد علي الله لأن طاعه الكفار والمنافقين من أسباب الخذلان لقوله تعالي (ولاتطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل علي الله وكفي بالله وكيلا)

والمومن لايركن الي صداقه الكفار ونصرتهم له في مواطن القتال لأن الركون عليهم من أسباب الخذلان لقوله تعالي (ولاتركنوا الي الذين ظلموا أنفسهم فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون)

بينما الكافر يركن الي الطغاه والمستبدين ويتباهي بصداقته معهم لانه يري فيها العز والقوه وهو لا يدري أنه يوقع نفسك في الهلاك والخذلان فهذه سنه الله الثابته بأن الركون علي الظالمين من أسباب الخذلان والهلاك وهو ما يدركه أصحاب النظره الماديه للحياه حيث أن المظاهر الكاذبه تخدعهم وتعمي أبصارهم فهم رغم انهم يشاهدون سنه الله تعمل عملها في واقع الحياه والمعلومة تصل إليهم لكنهم مصابون بسوء الفهم والإدراك فيعجزون عن تحليل المعلومه فنحن نري الحكام العرب يتهافتون الي إرضاء إسرائيل طمعا في نيل رضا امريكا التي جعلت صداقتها للعرب تمر عبر إسرائيل ونشاهد كيف أنهم يذلون أنفسهم خوفا من إيران ومن يقظه الشعوب برغم أنهم شاهدوا نهايه الظالمون الذين اعتزوا بصداقتهم لأمريكا وروسيا وليس الأمر ببعيد بل قريب جدا فقد شاهدوا تخلي امريكا عن اذنابها في أفغانستان شاهدوا تخلي روسيا عن القذافي ومع ذلك لم يستفيدوا من دروس التاريخ لان المعلومه تصل إليهم لكنها تفهم بشكل خاطئ وهذا يعود الي خلل فكري اونفسي اوغياب الرؤيه الكليه ولهذا قال تعالي (أن يكن منكم مائه يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون)

هم لايفقهون الغايه من وجودهم ولهذا هم يفسرون الاشياء تفسيرا ماديا ولهذا فإن تحليلهم للمعلومه خاطئ وغير سليم فهم ليس لديهم رويه في قلوبهم لمقاصد الاحداث التاريخيه فلا يمكن فصلها عن الديانه فالتفسير الحقيقي هو الذي يربط ماحل بالامم بموقفها من الدين ومقاصده فمنشا الازمه من غياب الرويه وعدم ادراك السنن وكذلك الحاله النفسيه التي تجعل صاحبها يري الاشياء بصوره مغايره للواقع فالعجب طريق الوصول الخذلان ولهذا تبين الايه أن الاغترار بالقوه يعود الي عدم الفقه الإداري وهو عله الهزيمه فقال تعالي (بأنهم قوم لايفقهون)

ودلاله العباره واسعه تتسع مع ماذكره المفسرون من معاني عديده من أنهم يقاتلون علي غير بصيره أو أنهم لايفقهون أن هنالك بعث ونشور فهم ينظرون للحياه نظره ماديه لاتخرج عن تحصيل الشهوات و الملذات ولهذا فهم يتمسكون بالحياه ويخافون من الموت ولهذا يقل ثباتهم أما المومن فإنه يري الشهاده اصطفاء من الله ينال بها السعاده الابديه كما يتسع المعني الإداري الي ماهو أوسع بأنهم لا يفقهون بأسباب النصر والهزيمه وكيفيه اداره الازمات واحتواء آثارها ولامهارات اداره الصراع

لان النظره الماديه تخدع صاحبها فهو عندما يري الوفره الماليه والعسكرية يغتر بما يتمتع به فيقع في الخديعه التي تجعله يشعر بالاستغناء فإذا غاب عنه الايمان ولد الطغيان فالله يقول (كلا أن الإنسان ليطغي أن راه استغني)

ولهذا يسن التقدير للاشياءوكذلك فإنهم مختلفون نتيجه أجواء العصبيه وغياب روح الاخوه التي يتمتع بها المسلمون و المومن يستعلي بالحق. ويقاتل من أجل نشر الخير والعدل والحق بينما الكافر يستعلي بالجاه والمال والسلطان و يقاتل من أجل أن يستعلي في الأرض ويفسد فيها ولهذا فإن هذه الأشياء تجعلهم في ضعف وهو ما يرجح صف المومن وقوته إذا تمسك بمنهج الله وأخذ بالاسباب واستعان بالله وتوكل علي الله وصبر وتدبر فانه سوف ينجح ويظفر

ثانيا

تنتقل الآيات من بيان دور القياده في التحريض علي القتال والخطوات الواجب علي القياده أن تتبعها في تنميه الملكات والآفاق والمدراك لدي الشعب لخوض المعارك من تقويه العزائم بالثقه بالقدرات ...و العمل كفريق جماعي مشترك ..وان تكون القياده مصدر إلهام فهذه الخطوات ذات أثر فعال في مواجهه التحديات والمخاطر واحتواء آثارها وصولا الي النصر والتقدم تنتقل الآيات الي بيان حكم الأسري وقواعد معامله الأسري بمناسبه تصرف الرسول صلي الله عليه وسلم والصحابه في أسري بدر ثم الي الحديث الي الأسري وترغيبهم في الدخول في الإسلام وما وراء ذلك من الثواب الحسن عوضا عما فاتهم وعما لحقهم من خساره في الموقعه فقال تعالي (ماكان لنبي أن يكون له أسري حتي يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله أن الله غفور رحيم

يايها النبي قل لمن في ايديكم من الأسري أن يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم)

المبحث الأول

أن اول مايشد الإنتباه هو ابتدأ الايه الكريمه بهذا الخبر الذي فيه عتاب من الله للرسول عليه افضل الصلاه والسلام والصحابه رضوان الله عليهم فقال تعالي (ما كان لنبي أن يكون له أسري حتي يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم)

فإن هذا العتاب الشديد التوبيخ يستدعي الوقوف علي الآتي

ا(سبب النزول)

قال المفسرون أن العتاب بمناسبة تصرف الرسول صلي الله عليه وسلم والصحابه بشأن قبول الفديه عن أسري المشركين في بدر اي لأنهم أخذوا أسري في بدر واستبقوهم رغم أن المسلمين كانوا قله والمشركون كانوا كثره وان الأصل أن يقتل المسلمين اكبر عدد ممكن من المشركين لاجل أن يكسروا شوكتهم ويذلو كبرياهم حتي لايتجروا علي معاوده الكره مره اخري بإعلان الحرب ضد المسلمين وهذا الهدف كبير لايعدله مال ...الخ

وهذا فيه

الأمر الأول

أن نقل القران لهذا العتاب الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم يسبق أن سمح لنبي قبله أن يكون لهم اسري يستبقونهم ويطلقونهم بالفديه كما حدث في قبل أن يتم لهم الغلبه والقوه والتمكين فلابد من التقتيل الكفار وإضعاف شوكتهم وعندما تشتد شوكه المسلمين يكون أخذ الأسري فنقل القران هذا العتاب للرسول صلى الله عليه وسلم دليل شاهد علي صحه نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وان القران وحي مصدره من عند الله تعالي علي نبيه فلا يمكن أن يكون مصدره النفس بدليل أنه ابتدأ بالعتاب في أول الكلام ثم ذكر في آخره الرضا والعفو بقوله (ولولا كتاب سبق ....الخ الي أن قال (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا)

فلو كان مصدره النفس كانت ذكرت ماورد في آخره الذي فيه بيان أنه تعالي احل لامه الاسلام الغنائم والفديه بإطلاق الأسري مقابل مال فهذا لم يكن يحل لمن قبلنا

الأمر الثاني

انه بالوقوف علي الايه نجد أنها ورد فيها العتاب للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ منكر

(ماكان لنبي) حتي لايوجه بالعتاب وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ برأي الجمهور حيث أنه بعد هزيمه المشركين في بدر وإحضار الأسري قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ما تقولون في الاساري فقال ابوبكر الصديق يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستتبهم لعل الله أن يتوب عليهم وقال عمر يارسول الله كذبوك واخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم وقال عبدالله بن رواحة يارسول الله انت في واد كثير الحطب فاضرم الوادي عليهم نارا ثم القهم فيه فسكت الرسول صلي الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس يأخذ بقول ابوبكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحه ثم خرج إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتي تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتي تكون اشد من الحجاره وان مثلك ياابا بكر كمثل ابراهيم عليه السلام عندما قال (فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم .....الخ فنزلت الايه وهذا فيه

المفهوم الاول

ان الاسلام شرع الاستشاره فلم يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم قرار بشأن الأسري الا بعد استشاره المسلمين طلب منهم أن يظهروا ما عندهم من رأي فالشوري أمر مهم في الاسلام فالله يقول (وشاورهم في الأمر)ويقول (وأمرهم شوري بينهم)

ثم لما استشارهم ارشده الله للأخذ برأي الصديق لانه فيه الصواب لأنه جمع بين مصلحه الدين والدنيا فقال لعل يتوب عليهم وفيه مصلحه لاصحابك اي مصلحه دينيه. دنيويه

المفهوم الثاني

أن مهمه قياده الثوره أن تقوم بتهئيه الظروف التمهيديه لنمو (الشوري) لان ذلك أحد مكونات قياس شورويه الثوره أو ديمقراطية الثوره وبمدي الوسائل والإجراءات التي تصوغها لتعويد الجماهير علي ممارسه الشوري ولهذا طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من الصحابه أن يظهروا ما عندهم من رأي بشأن موضوع أسري بدر فأراد بهذا تهيئة الظروف المناسبه لإطلاق حريتهم في التعبير عن آرائهم وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم برأي الصديق كما أشرنا لأنه جمع بين مصلحه الدين والدنيا ولأنه كان رأي الجماهير

المفهوم الثالث

تبين النصوص أن اللازم تنميه الوعي لدي الجماهير بمنفعتها بالموزانه بين المصلحه العاجله الانيه وبين المصلحه الاجله عند إبداء الرأي لتقديم رأي سديد ولهذا فإن العتاب هنا كما يقول ابن عاشور هو للذين اختاروا الفديه والميل له رغبه في المال ولم يأخذوا بالحزم في قطع دابر الكافرين لان هلاكهم فيه أضعاف لشوكه المشركين وتقويه للمسلمين فهذا فيه ترجيح للمقتضي السياسي الذي بني عليه الاسلام أن نكون أشداء علي الكفار رحماء فيما بيننا ولهذا يقول تعالي (تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم)

ولهذا فإن العتاب هنا من الرأي الذي أشاروا به علي الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبه للجمهور أنهم اختاروا الفديه ليس كما نظر إليها الصديق وانما بدافع محبه المال بأنه ينفعهم ولهذا عاتبهم الله علي ذلك لأجل أن ينبههم بأن عليهم أن لايلتفتوا في سائر أحوالهم وارائهم الي المصلحه العاجله لأنها تزول وتضمحل وانما عليهم أن ينظروا الي المصلحه الاجله لأنها فيها السعاده الابديه فأراد بهذا تنميه الملكات والآفاق والمدراك حتي يكونوا اهلا لتقديم الرأي السديد فلا تنظر لما تجني من مال لان ذلك عرض زائل قليل بالنسبه المصلحه المفضيه لابادتهم وابطال شرهم

الأمر الثالث

وكذلك فإن المولي سبحانه وتعالى أراد بهذا العتاب أن يغرس في النفوس كراهيه أهل الكفر وان تكون صارما معهم فلا يكون في قلبك اي مهادانه لهم فليس الدافع لعدم قتلهم صله القرابه أو ما شابه ذلك فأراد بهذا العتاب تثبيت كراهيه الكفر كما قال عمر (وحتي يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هواده للمشركين)

وليس طمعا في المال اراد تنظيف النفوس من اتخاذ القتال سببا لطلب الدنيا والفديه

اراد تهذيب النفوس فليس اعلان الجهاد لاجل المناصب أو المال والفديه لان التعلق بالدنيا فيه خروج عن عقيده الجهاد لأن الذي يطلب الدنيا لايقاتل في سبيل الله وانما يقاتل من اجل مراد طمع نفسه ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى (تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة)

يحذرهم من الانحراف عن الاتجاه الصحيح الذي من أجله شرع الجهاد وهو إعلاء كلمه الله وذلك بأن تتحرك وفق مراد الله والله يريد الاخره والاخره تقتضي الاخلاص في القصد بأن تتوجه بالعمل بغرض طلب مرضاه الله صادقا ومخلصا من الرياء وأعراض الدنيا فهذا هو طريق الوصول إلى العز فقال تعالي (والله عزيز حكيم)

الأمر الرابع

اللازم علي المسلم أن يشعر بخطر مخالفه الواجب الشرعي والاستعجال في إطلاق الأحكام فالعاقبه عظيمه أنها عذاب عظيم يفوق كل التصورات فعلي المسلم أن يتحري في اجتهاده الصواب وينتبه من التقصير لان ذلك يودي الي العقوبه ولهذا يقول الله تعالي (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)

فهذا التهديد لاهل بدر فانتبه ايه المسلم من ايثار الدنيا علي الاخره فان ذلك يوصلك الي الهلاك والذل والهون فعليك أن تختار ما أراد الله فهو عزيز بعز أولياءه وحكيم يعلم مايليق بكمال عباده

الأمر الخامس

الايه كانت مقدمه وتوطئه لما بعده فالله يريد أن يعلمنا أنه تعالي قد سبق قضاءه بأن يغفر لاهل بدر ما يفعلون ولهذا كان هذا وقايه لهم من العقاب بالعذاب العظيم علي أخذهم الفديه فقال تعالي (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)

ولهذا بعد هذه الحيثات يأتي الحكم باباحه الغنائم والتي لم يكن مسموح بها في الأمم السابقه والتي منها الفديه فقال تعالي (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله أن الله غفور رحيم)

المفهوم الاول

يريد الحق بتلك المقدمه التي ابتدأت بالعتاب والتوبيخ وانتهت بإباحة الغنائم أن تشعر بفضل الله وانعامه علي هذه الامه ولهذا جاء العرض بأسلوب يمتن الله به علي عباده بإباحة الغنائم التي كانت محرمه علي امم الرسل والأنبياء قبل امه الاسلام انه يمتن علينا

بالتيسير الذي فيه رحمه الله بامه الاسلام بأن أباح لنا الغنائم كما ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمسا لم تعطي أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيره شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا واحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي واعطيت الشفاعه وكان كل نبي يبعث الي قومه وبعثت للناس كافه)

المفهوم الثاني

أن التقوي هي أساس الفاعليه الايجابيه لأنها تتطلب وجود ضمير يحاسب النفس فلا تقبل علي ما أباح الله لها فيكون غرضا من أغراض الجهاد ولهذا عليها أن لاتنسي المعالم التي وضعت علي جانبي الطريق حتي لاتنحرف وهذا أمر يتطلب مراقبه النفس والشعور بوجود الله فالتقوي تحمل صاحبها علي امتثال أمر الله وعدم الاقدام علي ما حرم الله فهي حارس داخل النفس يهذبها ويزكيها

المفهوم الثالث

اهميه التوزان في حركه المومن بين الخوف والرجاء فلا تفرط بالخوف ولا تغتر برحمه الله ومغفرته فالتقوي تبعث علي الخوف والشعور بوجود الله فلا تخالف أمر الله والرجاء تطلق الامل وتمنع الياس والقنوط

المبحث الثاني

تأتي الآيات بذكر قواعد معامله الأسري بهذه التوجيهات

فقال تعالي (يايها النبي قل لمن في ايديكم من الأسري أن يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما أخذ منكم

ولهذا سوف نقف علي مدلولات الايه الكريمه

الأمر الأول

ماهو تعريف الأسير

يطلق هذا اللفظ علي المحبوس وأسير الحرب هم الذين يقعون في قبضه أعداءهم حال الحرب وسمي اسير لانه يكون مقيد اي محبوس

والاسير وفق تعريف الواجهه الاسلاميه الحربيه بأنهم أسري الحرب المقاتلون من الرجال ولهذا لايسمح بأسر الاطفال والنساء والشيوخ والفلاحين والكهنه الا إذا قدموا مساعده للعدو والاسير هنا يطلق علي الجندي والمرتزق والمتطوع والجاسوس

الأمر الثاني

حقوق الأسري في الاسلام

كان الناس في الجاهليه يعذبون الأسري ويحرقونهم بالنار و يمارسون أبشع أنواع التنكيل النفسي و الجسدي ضدهم فجاء الاسلام بأحكام مدونه فيها صيانه حقوق الأسري إذ أمر بمعاملتهم إنسانيا وجعل لهم نظام خاص بهم الزم المسلمين بالالتزام به فلا يسمح بأي اختراق لهذه القوانين مهما كانت الظروف النفسيه التي يعاني منها المسلم من فقدان الاحبه علي يد الأسير أو الجرائم التي ارتكبت بحق المسلمين علي يد جيش الاعداء فلم يسمح الاسلام بالانتقام من الأسير

فقد صاغ الفقهاء قوانين وتشريعات تحفظ حقوق الأسري جاء بها القرآن قبل الف وأربعمائة وخمسين سنه قبل أن تعلن المنظومه الدوليه القانون الدولي الإنساني بهذه القرون الطويله لم تكن تشريعات الاسلام هذه مجرد نظريات بل واقعا عاشه المسلمون في كل حروبهم التزموا به بعكس الأمم التي تسمي نفسها متحضره لأنها سنت هذه القوانين في القرن العشرين فإنها اتخذت من تلك القوانين مكياج تظهر نفسها بمظهر جميل لكن الحقيقه غير ذلك فقد شاهد العالم أبناء فلسطين يذبحون وهم عزل و العالم لايحرك ساكنا بل إن الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي التي صاغت القانون الإنساني كانت هي التي تقف ضد أي قرار يدين إسرائيل علي جرائمها بحق الإنسانية

لماذا تحولت القوانين الانسانيه لمجرد نظريات برغم أنه لم يمضي كثيرا مابين صناعه هذه النظريات من قبل الغرب وبين محطات الاختبار الذي وضعوا فيه بينما المسلمين متمسكين به رغم انه شريعه لها اكثر من الف وأربعمائة وخمسين سنه

الجواب إن قوه الإلزام في احترام القانون الإنساني لدي المسلمين مستمد من إيمانهم بالله أن عقيده الاسلام هي التي تمنع المسلم أن ينتهك حرمة وحقوق الإنسان فالعقيده هي الضمير الذي يضبط سلوك المسلم فإذا كان الله يعد الأسري الذين في قلوبهم خير بالعفو والمغفره فإن المسلمون لايملكون بعد هذا إلا التعامل مع الأسري باقصي درجات ممكنه من الرحمه والإنسانية بينما الغرب لاضمير له فهم إذا غابت قوه الردع التي تلزم المنتهك لحقوق الإنسان باحترام حقوق الأسري والإنسان بشكل عام بالقوه فإنهم لايستجيبون لنداء الضمير

فهنالك فرق بين تطبيق المسلم لحقوق الإنسان والاسري وبين ادعاء مايسمي بالعالم المتحضر اليوم وهذا يعود الي أن المسلم ينطلق من عقيده توجب عليه احترام حقوق الأسري فالرسول صلي الله عليه وسلم منذ اللحظه الأولي التي وقع في أيدي المسلمين أسري من الكفار أمروا بحسن معامله الأسري فقال تعالي (يايها النبي قل لمن في ايديكم من الأسري)

أن اللفظ لمن في ايديكم...للاشعار بأن هولاء الأسري المشركين قد صاروا في قبضه المومنين وتحت تصرفهم والأيدي مستعار للملك يخبرهم أنه تعالي لو علم أن في قلوبهم خير ويراد به محبه الايمان و العزم عليه وليس مجرد الميل إليه دون التصديق والاذعان يوعدهم الله بعوض من عنده علي ما اخذ منهم من فديه

وهذا فيه بيان الأمر بحسن التعامل معهم بالرفق حتي يشعروا بالأمان والطمأنينة فالقاعده العامه التي

حث الرسول صلى الله عليه وسلم المومنين في معامله الأسري بعد بدر هي (استوصوا بالاسري خيرا)

وقد تم تطبيقها علي أرض الواقع فلم تكن مجرد شعارات أو نظريات بل واقعا عاشه المسلمون فكانوا يعطونهم ما يأكلون منه من طعام

ومصادر التراث ملئ بالقصص الواقعيه الحقيقه التي جسدتها شخصيه الرسول صلى الله عليه وسلم القدوه الحسنه للمسلمين في معامله الأسري ومن ذلك قصه الأسير الذي اسره المسلمين رجلا من عقيل حليف ثقيف التي أسرت أحد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فقد احضر هذا الأسير فنادي للرسول قائلا يامحمد يامحمد هكذا ينادي الرسول باسمه المجرد فقال له الرسول ماشانك فقال لما اخذتني ...فقال اعظاما لذلك أخذتم بجريره حليفك ثقيف ثم انصراف فنادي الرجل للرسول قائلا يامحمد يامحمد فقال له الرسول ماشانك فقال الرجل اني مسلما فقال له الرسول لو كنت قلتها وانت تملك امرك لكانت لك كل الفلاح ثم انصرف الرسول فكرر الرجل النداء يامحمد يامحمد فقال له الرسول ماشانك فقال الرجل اني جاع فاطعمني واني ظمآن فاسقيتي فقال الرسول هذه حاجتك

فهذه هي معامله الاسلام الأسري فقد حرصت علي رعايه حقوق الأسري قبل أن تأتي اتفاقيه جنيف بنصوصها في المواد (١٣-١٤-١٥-١٦-)بالف و أربعمائة وخمسين سنه

بعد اول معركه يخوضها المسلمون في تاريخهم نزلت الآيات تضع للمسلمين قواعد معامله الأسري فقال تعالي (يايها النبي قل لمن في ايديكم من الأسري أن يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر

المبحث الثالث

كما أن الايه الكريمه تحتوي علي عده مفاهيم ودروس وتوجيهات نذكر منها الآتي

الدرس الاول

تبين الايه لنا أن استبقي الاسلام للاسري لدي الدولة الإسلامية ليس لاجل الاستغلال ولا امتهان كرامتهم وانما تستبقيهم لاجل من أجل إيقاظ مكامن الخير في قلوبهم ولأجل إيقاظ فطرتهم واجهزه الاستقبال والاستعداد لديهم للاستجابه للحق والخير فقال تعالي (قل لمن في ايديكم من الأسري أن يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم)

والايه نزلت بشأن العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وهي عامه حيث أنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم

قد كنت مسلما فقال الرسول الله اعلم باسلامك فإن يكن كما تقول فالله يجزيك بذلك فعليك أن تفدي نفسك وابن اخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وحليفك عتبه بن عمر فقال ماعندي مال قال عند ك المال الذي اتمئنت عليه ام الفضل ...قال لايعرف مكانه الا انا وام الفضل ....فلم يقبل منه الرسول عذر حتي سلم الفديه فعدم قبول الرسول صلى الله عليه وسلم عذر عمه رغم ادعاءه أنه قد أسلم

ليس لأن جيوش الاسلام طلاب غنائم فليس هذا هو الغرض بل إن الأمر متعلق بايقاظ مكامن الخير في قلوبهم واختبار صدق ادعاءهم اراده الخير ومحبته والمراد به الايمان والعزم عليه ولهذا يقول لهم أن اراده الخير ليس مجرد امنيه او محبه الايمان فالأمر يتطلب الاصرار عليه وان تكون الرغبه مشفوعه بعمل تنفيذي يعبر عن هذا الإيمان

ولهذا قال تعالي (قل لمن في ايديكم من الأسري أن يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم...الخ

حيث يخبرهم الله أنهم لوصدقوا في إيمانهم فإنه تعالي يوعدهم بالعوض عما اخذ منهم والمراد به مال الفديه وعد بالعوض من الله عما فاتهم في الدنيا بأن يعطيهم خيرا من مال الفديه وفعلا عوض الله العباس عما قدم من فديه في حياه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان قدوم غنائم البحرين وكان العباس في المسجد بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم فقال للرسول صلى الله عليه وسلم لقد قمت بالفديه عن نفسي وعن ابن اخوي فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم منها ماراد وزياده كما ورد في الحديث الشريف في صحيح البخاري...فالله لايخلف وعده ....

وكذلك وعدهم الله أن يعوضهم بالاخره بأن يمحو الذنوب التي ارتكبوها

فأخذ المال اختبار لهم هو عمل تنفيذي لمن يدعي الايمان ولهذا يذكر بعدها (وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم ..الخ

يامر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأخذ بالظاهر لانه لايعلم النوايا مع الأخذ بالحيطه والحذر فلا ينبهر بادعاء هولاء الايمان والتأثر فربما يكون مصطنع وغير صادق وبالتالي لاينزعج أن ظهور خيانه الذين أطلق سراحهم مقابل الفديه الخداع والخيانه والاستمرار في محاربه الرسول صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام فإن من درج علي الخيانه الكبيره فإنه يتوقع منه الخيانه في كل الأحوال وعاقبه الخيانه واضحه فالذين خانوا الله بالكفر والشرك قد تمكن الله منهم في بدر بالقتل والأسر وهذا فيه بشاره بأن كل خائن سوف يتمكن الرسول صلي الله عليه وسلم منه

الدرس الثاني

عليك أن تفهم أن خصوص السبب بشأن نزول الايه في أسري بدر والعباس بن عبد المطلب لايمنع أن تكون الايه عامه ولزوم الاستفاده مما احتوت من مفاهيم ودروس هامه ومن العوامل المؤثره في تكون الشخصية المسلمه نذكر منها الآتي

المفهوم الاول

عليك أن تدرك أن القلب هو محل نظر الله فإذا كان قلبك طاهرا ونظيفا من الاوساخ ومتعلق بالله وصادقا في ايمانك فسوف يمدك الله بالعون والتوفيق ولهذا فعليك أن تصلح سريرتك فالنيه طريق الوصول للخير العظيم فعلي قدر نيتك يكون التوفيق من الله للعبد فاجعل هذه الايه نصب عينيك اصلح نواياك في كل وقت قبل بدء العمل وأثناء القيام به وبعد الانتهاء منه عليك أن تستشعر نظر الله الي قلبك ووعده في كل خاطره أو حركه

فالنيه أساس العمل فكلما كانت النيه صادقه كان الوصول الي الأهداف وكلما كانت النيه خبيثه كان الابتعاد عن الأهداف

المفهوم الثاني

يدعوهم الي تطهير أنفسهم من الشر لان الانتقال من الشر الي الخير يتطلب التطهير من الشر ومن ثم الانتقال الي الأساس الذي يبني عليه الخير فمن لم يتطهر قبل العمل فإن الشر يمنعه من الانتفاع بالخير والنفس تجزع من التطهير وتفر الي عمل الطاعات لثقل التطهير عليها ولخفه عمل الطاعات ولهذا قال تعالي (ويغفر لكم والله غفور رحيم)

يدعوهم الي العنايه بأنفسهم ومعرفه أنفسهم واهواءها وافاتها ولهذا ذكر مغفره الذنوب في الاخره بسترها ومحوها لان المغفره لاتحصل الا من المومن

وجاء التذييل بقوله تعالي (والله غفور رحيم) لبيان أنها مغفره عظيمه فجاء بصيغه المبالغة

وهو عفوه المقتضي قوه المغفره وكثرتها لتعم كل التائبين

المفهوم الثالث

اعلم أن طالب الخير لابد أن تتوفر فيه خمس خصال لايستغني عنها بمعرفه حدود الأعمال وأحكامها وادائها خالصه لوجه الله تعالي

واول هذه الخصال هو الصواب وهذا إنما يكون بالاستسلام لكتاب والله واتباع سنه الرسول صلى الله عليه وسلم

ولهذا ذكر بعده (وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل ...الخ

فسر بعض العلماء هذه الخيانه بأنها خيانه الشرع فخيانه الله هو مخالفه كتاب الله بالشرك بالله ومخالفه الرسول صلى الله عليه وسلم هو خيانه سنته بالبدع

لان مخالفه الصواب ينحرف بالعبد عن طريق الوصول إلى الله تعالي ولهذا عليك أن تقبل منهج الله تعالي ومافيه من أوامر لأن من أراد أن يسلك سبيل كتاب الله وسنه رسوله بالعقل خالفها وأخذ في غير طريقها

ولهذا اقبل علي الله بنيه صادقه ورغبه لفهم كتاب الله وسنه رسوله باجتماع عزيمه وهمه عاليه متوكلا علي الله الذي يتيح لك الفهم لا علي نفسك وألزم قلبك ذكر الله

٢

عليك أن تشعر انك تتعامل مع الله ولهذا اصلاح قلبك اولا فهذه هي البدايه بحيث تكون صادق السريره والختام كرم الله فمن أراد الخير والتوفيق عليه أن يفتش قلبه ونواياه اخراج من قلبك الحسد والكبر والرياء والحقد ثم اعزم علي فعل الخير بصدق وإخلاص

ستجد من التوفيق والعون الإلهي مايساعدك علي ذلك

٣

عليك أن تكون شاكرا لله تعالي في كل احوالك في حال النعم وفي حال النقم ولهذا إذا غلقت عليك الابواب فأول ما يجب عليك هو تفقد قلبك فتش مافيه لتعلم لماذا اغلق الباب امامك لان مدار عطاء الله بحسب نيه العبد التي يحملها قلبه وأعمال الخير فالله يعوض أصحاب النوايا الحسنه بالرزق و الخير في الدنيا والاخره ولهذا كان السلف الصالح اذا اغلقت عليهم الابواب بحثوا عن التقصير و المعاصي وعن نواياهم هل خالطت العمل نوايا سئيه مثل طلب شهره مثلا

فقد فهموا النصوص وهذبوا بها النفوس واخلصوا النوايا لله تعالي فالخوف علي قدر الذنوب كانوا يراقبون الله في كل عمل يعملونه في تيقظ دائم يقفون مطالعين لزوايا ضميرهم بعين حديده النظر نافذه البصر فإذا وجدوا أمرا محمودا مضوا فيه وأن وجدوا أمرا مذموما أدركوا أنفسهم بحسن

المراجعه قبل أن تحل الكارثه فالنوايا الردئيه كانت وراء هلاك زرع اصحاب الجنه كما أخبرنا الله بقوله (إذ اقسموا ليصرمنها مصبحين)

اللازم أن تضبط قلبك علي الخير دائما وتحرص علي تفقده علي الدوام

/٤

عليك أن تقبل بقدر الله لأن من يرفض قدر الله مخذول لامحاله ولهذا فإن المسلم يقبل بقضاء الله وقدره وحكمه فإذا فات عليه فرصه أو فقد مال أو حبيب او ابن اوقريب فإنه يصبر علي ذلك ويحمد ربه الذي لا يحمد علي مكروه سواه فالله قد وعد عباده أنه يعوضهم عن كل مافقدوا بما هو افضل من ذلك في الدنيا والاخره وعوض الله لايكون بقدر المفقود بل أعظم فإذا جاء انساك مافقدت ولهذا إذا فقدت شي جميل وحزنت عليه فتذكر هذه الايه (أن يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم..الخ

فيمكن أن تفقد اشياء جميله ويعوضك الله بما هو اجمل منها أن انت صبرت واحتسبت ذلك عند الله

المفهوم الرابع

تهدف الايه أن أن تجعل طلب الخير ثقافه سلوك مجتمعي وليس مجرد نظريه معرفه ولهذا يخاطب الله نبيه أن يقول للاسري (أن يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما أخذ منكم...الخ

فليس المطلوب أن يكون في القلب معرفه بالحق ومحبه وميل له بل المراد ما يترتب علي ذلك من عمل حيث أن الأولي نظريه في المعرفه وهي تعني تفسير الاشياء كما هي أما الثاني فهي نظريه في السلوك وهي تعني تفسير الاشياء كما يجب

فالثقافه التي نتحدث عنها تعني القوه التي تدفعه الي طلب الخير لتنفيذ ه علي أرض الواقع

لانه قد يكون الشخص عالم بالمشكله كفكره غير أنه لايجد في نفسه الدوافع التي تجعله يتصورها كعمل فالعلم شي والعمل شي والمنفعه شي اخر لانه روبما علم ولكن لم يعمل أو علم وعمل لكنه لم ينتفع به أو علم وعمل وانتفع ثم كان بعد ذلك ابطال وإحباط

ولهذا ذكر بعده مساله الخيانه للتحذير من مخالطه العمل مقاصد الدنيا فاللازم أن يكون الجهاد خالصا لوجه الله تعالى فهو تعالي عليم بما يعملون ويطلع علي نوايا العباد وهو حكيم فيما يقدر

القسم الثالث

ايات هذا القسم تتناول بيان طبيعه النظام الإسلامي وقواعد ضبط العلاقه داخل المجتمع المسلم فيما بينه البين يرسم الفلسفه الاسلاميه للحياه والحكم والقاعده التي ينطلق منها ومفهوم الوطن والجنسيه في الاسلام و يقرر القانون الدولي الإنساني والمبادئ الدستورية

التي تحكم حركه المسلم وعلاقاته مع غيره من الأمم

فقال تعالي

(أن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروامالكم من ولايتهم من شي حتي يهاجروا وان استنصروكم في

الدين فعليكم النصر الا علي قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهد وا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا لهم مغفرةورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في كتاب الله أن الله بكل شي عليم)

اولا

أن ختم ايات هذه السوره بهذه الآيات التي تتناول بيان طبيعه النظام الإسلامي والفلسفه التي يقوم عليها في بناء الدوله الاسلاميه و القواعد التي تضبط علاقات رعايا الدوله الاسلاميه فيما بينهم البين وعلاقاتهم برعايا الدول الأخري ولهذا نجد أن الآيات تبين الآتي

الأمر الأول

تبين الايه أن جنسيه المسلم هي الايمان مع تفاوت في الحقوق والواجبات بين أبناء الايمان علي عاتق الدوله التي تمثل المومنين و تعبر عنهم وعن أهدافهم ولهذا نجد أن الايه تقسم المومنين في العهد النبوي الي اربعه اقسام وتربط ذلك بالانظمه الدوليه القائمه في عصر النبوه وتأثير ذلك علي حقوق من ينتسب الي أهل الإيمان

فذكر أن اقسام المومنين اربعه

المهاجرون وهم الذين آمنوا وهاجروا من مكه فرارا بدينهم حيث كان منهم التضحيه بالاموال والديار والأهل وقدموا أموالهم وأنفسهم في سبيل هذه العقيده

أما القسم الثاني

فهم الأنصار اهل المدينه المنوره الذين دخلوا في الاسلام وجعلوا بلدهم ماوي يسكن فيه إخوانهم المهاجرين ونصروهم بمنع الاعداء من النيل منهم

فهذان الفريقين هم النواه التي شكلت النموذج الاسلامي للنهضه والتقدم فهم شعب الدوله الاسلاميه التي أنشأت في المدينه المنوره

أما القسم الثالث

فهم المومنون الذين آمنوا ولكنهم لم يهاجروا وظلوا في ديارهم ولم يلتحقوا بدار الاسلام

فهولاء ليس لهم حق الانتماء الي دوله الاسلام وما يترتب علي ذلك من الولايه العامه وانما لهم حق النصره إذا طلبوا ذلك

أما القسم الآخير

هو مومن محروم من كل انواع الولايه وهو الذي لم يهاجر وظل في ديار الكفر وبين المسلمين وهذه الدوله معاهدات

الأمر الثاني

تبين الايه أن القانون الدولي في الاسلام لايعرف التقاسيم الجغرافيه ولا الحدود السياسية فالارض

كلها سواء لاميزه لأرض علي أخري وهي محكومه بحكم العقيده التي تنفسح لكل ارض وتنفسح لها كل ارض ولهذا ذكرت الآيات أن الأرض أما دار سلام أو دار حرب أو محكومه بحكم العهود والمواثيق فإذا كانت العقيده الاسلاميه هي التي تحكم هذه الأرض

دار سلام لان النظام هو الذي يحدد نوع الديار وهي ثلاثه (دوله الاسلام ...دوله كافره محاربه ...دوله كافره معاهده)

ولهذا نجد أن هذا التقسيم الوارد في الايه يرسم لنا طبيعه الحضاره الاسلاميه والفلسفه التي قامت عليها فكره الانتساب إليها وفيها الاجابه علي الآتي

المفهوم الاول

ترسم الايه ماهي الحضاره التي جاء بها الإسلام

حيث يفهم بأنها حضاره انسانيه ليس فيها تقديس جنس علي جنس ولا لون علي لون ولا ارض علي أرض فالإسلام يأتي ليجعل وطنه جميع العالم ويجعل من كل الأجناس شعبا له

باستثناء أمتار محدده من مكه وامتار أخري في المدينه المنوره وامتار المسجد الأقصى كل الارض في الاسلام سواء وجميع الاوطان سواء متي خضعت لمنهج الله تعالي

فالدنيا بتخومها الجغرافيه وحدودها السياسية لاتصلح لان تكون سببا للنزاع واساسا العواطف الموضعيه المحدده فكلها تشترك في صفه الأرض ولهذا أقام الرسول هذا النموذج الذي كان فيه عصبه امم عرب من انساب قبائل مختلفة دوله ضمت الفرس والروم والاحباش والعرب في إطار (المهاجرين) قام بالموخاه بينهم وبين (الأنصار)لتكوين كيان واحد اسمه المسلمون وهذا ما يميز الاسلام والنظام الإسلامي الذي جاء في فتره الرق وفي بئيه عاشت في جاهليتها علي العصبيه والقبليه والعنصرية في عصر عجزت الامبراطوريات في توسع رقعتها عن تذويب شخصيه بعض البلدان المقهوره المغلوبه بأي حال من الأحوال وفشلت محاولاتها

المفهوم الثاني

تبين الايه أن نظره الاسلام للأرض أنها كلها ارض الله وان الاختلاف هو باقامه حكم الله فيها واحترام انسانيه الإنسان وكرامته وعزته ولهذا يقول الله (باعبادي الذين امنوا أن ارضي واسعه فاياي فاعبدون)

فلا يسمح للمسلم أن يجلس في ارض يتنازل فيها عن كرامته وعقيدته فعليه أن يترك ديار الكفر ويهاجر الي ديار الإسلام إذا كان في مقدروه فالله يقول (

فابناء الاسلام في حركه قد تدعوهم الي الهجره فالارض سواء والهجره لايقصد بها السياحه وانما حتي لايكون المسلم اسير الف ولإعادة فلا يصح أن يحتجز المسلم ارض عن أرض ولهذا

ذكرت الايه أن المومن الذي لم يهاجر ليس له حقوق رعايا دوله الاسلام وانما له حق النصره إذا لم يكن في دوله معاهده

المفهوم الثالث

تبين الايه أن العلاقه بين المومنين تقوم علي اساس العقيده والتوحيد ليس لها ولاء للجنس ولا ولاء

للون ولا ولاء للقبيله ولا ولاء للعشيره ولا المصالح أنها علاقه العقيده والتنظيم الحركي الذي يسعي في حركته الي إعلاء كلمه الله تنظيم انخلع عن الولاء للقبيله الجاهليه وقيادتها واعطي زمام ولاءه للنبي صلى الله عليه وسلم والتجمع الذي انشاءه الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون محكوما بالقران

علاقه أدت الي التجانس بين مكونات المجتمع المسلم تحت قياده الرسول صلي الله عليه وسلم قدم فيه المومنون نموذجا فريدا للاخاء والترابط بينهم نموذجا فيه الاجابه عن الاسئله الشائعه التي يطرحها كل من يريد أن ينهض ويتقدم للامام

أن أول خطوه هي الخروج من حاله العجز فمن عجز عن التضحيه بالمصالح في سبيل الله ورفض الهجره الي ديار الإسلام لايمكن أن يكون عضوا فعالا في المساهمه بالخلاص لاتركنوا عليه ومن لم يقبل باخوه العقيده لايمكن أن يشكل عنصرا في عمليه البناء

فالمومنون كلهم رعايا الدوله الاسلاميه فاختلاف الشعوب والقبائل إنما هو لاجل التعارف فالله يقول (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم)

أن يكون هناك قياده قادره علي القيام بمسووليتها وشعب يحترم النظام والقانون

المفهوم الرابع

يقول لنا الحق أن الاختلاف هو للتعارف والتكامل وأقصد بالتكامل أن كلا من مكونات المجتمع المسلم يكمل الآخر فذكر صفات المهاجرين وصفات الأنصار ودمج هذان الفريقين في قالب واحد تحت قياده واحد ه فقال تعالي (بعضهم أولياء بعض)

فهذا هو التنظيم الحركي الذي يضم فئات الشعب صاحبه المصلحه في الثوره وهي الفئات الرغبه في حمايه الثوره والمستعده لدفع عجله تطورها الي الامام

ولهذا فإن الذي لم يهاجر وظل في ديار الكفر فهذا ليس موهلا لنيل عضويه المومن حقا

وهنا لابد أن نقف ونسأل أنفسنا ماهي موهلات العضويه التي يستوفي بها العضو الجديد فيها موهلات الانتماء الي التنظيم الحركي

أن هذه الموهلات هي ايمانيه الفكر (لا اله الا الله)بان يكون التقاء أفكارهم علي فكر مستخلص من القران والسنه النبويه فالحكم في الاسلام طبقا لشرع الله وهو تشريع موضوعي لاذاتي شخصي وان تكون هناك اراده حره للعضو يريد أن يشترك في صنع الاراده الاسلاميه

وهو لايكون كذلك الا إذا تحرر من النفوذ الأجنبي وتحرر من الانطواء والانكماش علي الذات المتخلفين في النفس البشريه ومتحررا من اثقال الشعارات ولهذا قال تعالي (والذين آمنوا ولم يهاجروامالكم من ولايتهم من شي حتي يهاجروا....الخ

فعدم الهجره يدل أنه لم يتحرر من المصالح ومن أسر العاده لان المهاجر قد ترك وطنه وماله

وتجرد من كل القيود لاجل إرضاء الله وفررا بدينه واشترك المهاجر مع الانصاري في تجسيد امنيه المسلمين التي كانت وراء الهجره الي المدينه المنوره وهو انشاء دوله يحكمها القران فكان هذا الالتقاء بينهم في تجسيد هذه الامنيه والتعبير عنها بارداه واحده تسعي إلي خلق الدوله الاسلاميه حيث وان انشا ء دوله الاسلام كانت امنيه المسلمين التي كانوا يحلمون بهذا التطور في تاريخ نضال المسلمين

أنه تحول عظيم كانوا ينتظرونه بشوق ورغبه فهو هدف المومنين الذين كانوا في مكه وهدف الأوس والخزرج

ولهذا يحكي لنا التاريخ قصص عن هجره المسلمين فمن ذلك قصه صهيب الرومي الذي حجزه المشركون ومنعوه من الهجره الا بشرط أن يعطيهم أمواله التي اكتسبها كلها ويخرج من مكه مثلما دخلها فوافق علي ذلك فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ربح البيع أبا يحي

وهكذا كانت تلك الامنيه باعثا للتضحيه بالمال والأهل والأصدقاء وكل شي من أجل هذا الهدف

وكذلك فإن الأنصار قدموا التضحيات بتقديم الماوي والمسكن فما هو الباعث لذلك هو تحقيق امنيتهم بإنشاء دوله يحكمها الاسلام ولهذا فإن هنالك فرق بين امنيه من امن وهاجر وجاهد في سبيل الله بالمال والنفس وبين امنيه الذي آمن ولم يهاجر لماذا؟

لان رغبه البعض في التطور بإنشاء دوله الاسلام ظل مجرد رغبه في التطور اي امنيه وامل مجرد رجاء ونبه حسنه وهي لم تصل الي مرحله الاراده لان اراده التطور تختلف عن الرغبه

فيمكن أن توجد رغبه في التطور لكن لاتوجد ارداه التطور لان الارده رغبه مشفوعه بعمل تنفيذي محدد وقاطع مدعمه بإصرار متواصل ومقصود وتصميم متطلع الي هدف معروف ومطلوب ولهذا قال تعالي (الذين آمنوا وهاجروا) فالهجره عمل تنفيذي يميز ارده التطور لديهم عن الرغبه في التطور لدي الذين لم يهاجروا حيث أن الذين لم يهاجروا لم تصل الرغبه الي الاراده وظلت مجرد امنيه لم تستطيع التحرر من القيود التي قيدت إرادتهم ولهذا لايعتد برغبتهم في التطور

طالما لم توضع في قالب تنفيذي يكتسب الصدق في الحركه الدؤوبه التي تستهدف تحقيق التطور

هولاء لم يفهموا أن إنشاء التنظيم السياسي الحركي الذي أعده الرسول صلى الله عليه وسلم

معناه انشاء دوله تعبر عن فكر التنظيم واردته معناه التفاف المومنون حول القياده والاستفادة من الطاقات فبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم هي بدايه مرحله التوحيد الأولي لإيقاظ روح الإنسان وإخراجهم من الظلمات الي النور ولما كان الاسلام ليس قاصرا علي عمل عقيده التوحيد في النفوس وحدها ولاتتعدي الي المجتمع كما يتصور البعض خطاء فقد كان لابد من شعب لان الإسلام يحتاج الي مجتمع مسلم ودوله تحكم بالقران وعلاقات انسانيه بكل ما تحمله كلمه العلاقات الانسانيه من رقي وتعقيد فالإسلام انزل ليحكم المجتمع كله فكانت البدايه لتغيير الإنسان من أجل تغيير شكل الحياه وعندما حوصرت الدعوه في مكه ومنعت من أن تنمو وتحقق أهدافها هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم لاجل انشاءدوله الاسلام ولهذا انشاءت اول حضاره للموحدين في المدينه المنوره فصنع المسلمون اول عالم انساني يتوزان فيه عنصر الروح مع الزمن ولهذا يخبرنا الله أن الذين آمنوا لم ينتقلوا الي المدينه ليس أهلا لاكتساب عضويه التنظيم الحركي الذي يتطلع الي بناء دوله الاسلام لان الايمان بفلسفه التنظيم وأهدافه يكتسب الصدق من الحركه الدؤوبه التي تستهدف تحقيق التطور

ولهذا قال تعالي (الذين آمنوا وهاجروا وجاهد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا)

ثانيا

نجد أن الايه تناقش موضوع الولاء في إطار بيان موهلات الانتماء الي عضويه التنظيم الحركي الايماني وفاعليه المومن الايجابيه وقد ذهب العلماء الي اقوال متعدده بشأن الولاء بين قائل أنها ولايه

ميراث انشئت عندما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم الي المدينه. وقام بالموخاه بين المهاجرين والأنصار فذهبوا للقول إن ما حصل في بدايه الامر من ترتيب احكام المواريث علي علاقه الاخوه أنها هي المقصود في هذه الآيات وبعضهم قال إنها ولايه المحبه والمناصره

والحقيقه ان الايه تتحدث عن الولاية العامه التي هي أعم من مساله الميراث الناتجه عن الموخاه بين المهاجرين والأنصار في بدايه الامر حيث كان المسلم الانصاري يرث أخيه المهاجر والعكس وهي أعم من ولايه المحبه والمناصره بدليل مجئ الايه بعدها (والذين آمنوا ولم يهاجروامالكم من ولايتهم من شي حتي يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر)

فقد قرأ عاصم والكسائي والبقيه عدا حمزه بالفتح الواو في قوله تعالي (من ولايتهم)بينما قرأ حمزه بالكسر والمعلوم أن هنالك فرق بين فتح الواو وكسرها في كلمه الولايه وليس كما ذهب إليه البعض من القول إنه لافرق بينهما لان المعلوم عند اهل اللغه أن فتح الواو تعني ولايه الحب والمناصره بينما كسرها تعني السلطان والاماره وهذا ما ذكره الرمخشري وفارس وفي معجم لسان العرب

ولهذا فإن نفي الولاية هنا متعلقه بنفي ولايه السلطان والاماره واستثناء ولايه المناصره فقال تعالي (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر)ثم ذكر مساله متعلقه بمن يقطن في ديار المعاهد واتبع ذلك بذكر أن ولايه المومن لاتتعدي الي الي مولاه الكافر وحذر من ذلك فقال (الاتفعلوه تكن فتنة في الأ رض...الخ

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

ترسم الايه الواقع الذي اصطدام به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ينشاء اول دوله يحكمها القران حيث أن حميه الجاهليه كانت تصطرع مع الروح القرانيه فقد كانت هنالك عقبات موروثه يصعب معها الحركة دون ازاله هذه العقبات من الخلافات والانقسامات والعصبيات وكذلك فإن العربي لم يكن يعرف الانظمه والقانونيين وانما كان يحتكم للقبيله ويأخذ ثاره بيده لم يكن يعرف الانضباط ويصعب عليه ذلك كان مجتمع عنصري ولهذا كان إنشاء التنظيم لاجل بناء الدوله التي يحكمها القران هذا التنظيم متنوع الأجناس والألوان ضم الأحباش والعرب والفرس والروم علي عقيده التوحيد ولهذا كان التركيز علي ايجاد نموذج للخروج من هذه الازمه لاجل تجميع الطاقات في قالب واحد للعمل علي بناء دوله يحكمها القران فدور القياده مهم في إيجاد النموذج الذي تلتف حوله الطاقات هذا النموذج الذي يجذب إليه كل من يستطيع الإسهام في النهضه وإبعاد كل ما يعترض سبيلها وتقديم المال والنفس في سبيل الله فقال تعالي (والذين آمنوا وهاجروا وجاهد في سبيل الله....اولئك هم المومنون حقا لهم مغفرةورزق كريم)وهذه العضويه تتسع للجميع متي استوفي العضو الجديد موهل العضويه فقال تعالي (والذين آمنوا من بعد وهاجر وا وجاهدوا معكم فاولئك منكم)

لانه لايمكن إهدار الطاقات التي تساعد في بناء الوطن فترك السلطه للخبرات الوطنيه وعدم ضمها الي الكادر الوطني المساهم في بناء الدوله وموسساتها يولد شعورا بعدم الانتماء للوطن وهذا أمر خطير جدا فمن يدرس مثلا وهو يفكر بالذهاب للعمل في دوله أخري ويبحث عن فرصه يعني أنه لا يشعر بالانتماء للوطن والمساهمة في بناءه يعني أنه لايتصل بواسطه الاجتماعي

وهذا أمر خطير ولهذا نجد أن الايه تبين أن المسلم المومن بانتماءه الي المومنين بعقيده التوحيد لايستفاد بهذا الايمان إن لم تكن لهذه العقيده فاعليتها الايجابيه وتأثيره الاجتماعي لانه وان لم يتخلي

عن إيمانه وظل متدينا فإن عقيدته تجردت عن فاعليتها لأنها فقدت اشعاعها الاجتماعي صارت جذبه فرديه وصار الايمان ايمان فردي متحلل من صلاته بواسطه الاجتماعي

ولهذا فهو عديم الفاعليه وهذا ما يعانيه المسلمون اليوم عندما اقتنعوا باطروحات الغرب بفصل الدين عن الدوله فهذه الملايين اليوم من المسلمين تكشف لنا عن العجز في التفكير وعن العمل أو انفصال الفكره عن العمل فهي تعيش بثوابت غير ثوابت الاسلام لقد سيطر عليهم الاعداء بنظريات القوميات و المذاهب والأحزاب فجعلت جسور الصداقه مع أهل الكفر بين مسلمي هذا الزمان اقرب بكثير من جسور المعامله بين المسلمين أنفسهم ولهذا كان هذا التخلف والعجز ولهذا فنحن بحاجه الي الحركه المحسوبه الخطوات التي تحقق لنا النهضه والتقدم وهذا ما تضعنا الايه أمامه من خلال توجيه الأنظار الي هذه التوجيهات التي كان بناء الدوله الاسلاميه في المدينه المنوره بها ومن خلال هذه التجربه التي أسس الرسول صلى الله عليه وسلم بها المجتمع الإسلامي الاول فإذا نظرنا الي مقومات النهضه التي تضعها الايه أمامنا في بيان الأسس التي تجاوز بها الإسلام مرحله التخلف التي كان العرب يعيشونه قبل الاسلام

نجد أنه يعود الي النموذج الذي اوجدته القياده من خلال الموخاه بين المهاجرين والأنصار

فلم يقم هذا المجتمع علي الشعور الحلو بالرغبه في التغيير بل قام علي اساس جوهري هو الموخاه بين المهاجرين والأنصار فالنهضه لاتتوقف علي شخص بعينه ولامجموعه بعينها وانما تتوقف علي تنسيق كامل لجهود كثيره ومتنوعه تنتظم في نغم جماعي وليس في لحن منفرد ولهذا قال تعالي (واذكروا نعمه الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا)

فالموخاه أسست علي القران فكانت الايه القرانيه تستخدم كوسيله منطقيه تساق لغرض تعليمي وكانت هي المعلم المباشر الذي تمس ضمير المسلم وحياته وجوانب فكره ومناحي سلوكه

فهذا هو فاعليه العقيده التي إذا لم تدفع صاحبها الي الهجره والتضحيه بالمال والنفس والانخلاع عن كل ولاء للقبيله والعشيره والجنس واللون فهو غير أهل للانتماء للتنظيم الايماني الذي يدين بالولاء الكامل للرسول صلى الله عليه وسلم ودوله الاسلام ولهذا فإن ايجاد النموذج مهم لتجاوز التخلف فبعد أن أمن العرب وقامت القدوه الحسنه اي النموذج السياسي التفوا حوله واسسوا دولتهم التي يحكمها القران وبسطوا سلطانهم في مشارق الأرض ومغاربها ولم يفقدوا هذا السلطان الا بعد التحول الي الملك العضو ض فالمشكه في كل صفحات التاريخ ليست في عجز الشعوب بل في غياب النموذج هذه هي مشكلتنا اليوم والطريق للخروج مما نحن فيه أنه يحتاج منا العوده الي منابع الاسلام وأصوله وتراثه بما فيها الذكريات والمناسبات

وعندما اقوال العوده فإن الاستعمال لهذه الكلمه مقصود فلم أقل التطبيق أو التنفيذ لأحكام الاسلام او الالتزام بأحكام الإسلام لماذا ؟

لان الامه الاسلاميه اليوم تعاني من ازمه دستوريه ناتجه عن غواش التاريخ الذي شكل ثقافه المسلمين حيث أصبحت صوره الملك العضوض بنظر الكثيرون تمثل صوره من صور الاسلام وهي بعيده كل البعد فاللازم تنظيف التراث من غواش التاريخ الناتجه عن ظروف أدت الي غياب النموذج واستبداله بصوره لاتمت للإسلام بصلة بالذات في ما هو متعلق بالجانب السياسي في الاسلام ولهذا فالقول الالتزام بأحكام الإسلام تعني ما رسمته اغواش التاريخ في الأذهان من صوره مشوهه علي انها تعبر عن مبادئ الإسلام وهي بعيده كل البعد أو ما رسمته حركات المعارضه التي انحرفت بعد ذلك فجعلت الالتزام بأحكام الإسلام التزام مزيف يخدم مصالح سلاله أو مذهب وتحقيق مصالح شخصيه وعندما نقول

تطبيق أحكام الإسلام يعني كان أحكامه كانت مطبقه في مجتمعاتنا التي صارت أكثر جاهليه من الجاهليه التي كانت في عصر النبوه

ولهذا فإن المطالبه بالعوده الي اصوال الاسلام ومنابعه تراثه الذي بني به الرسول صلى الله عليه وسلم وانشا ء دوله يحكمها القران تعني ادانه كل الانظمه التي تدعي الاسلام بناءا علي ما قرره الفقهاء تحت ظرف الضروره التي كان التضحيه بالشرعيه الدستوريه وحق الشعب في اختيار الحاكم لاجل الإبقاء علي وحده الامه ا.و تلك التجارب التي أفرزتها حاله التحول في مسار الثورات التي قام بها الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير وغيرهم والتي كانت تهدف الي اعاده الحق الي نصابه ثم حصل التحول عن هذا المسار من قبل من جاء من بعدهم فكان الانحراف عن المسار فكريا وسياسيا بل واعتقاديا فظهرت حركات تخالف عقيده الاسلام وهو ما ينبغي أن يدان اقصد من جاء من بعدهم

الأمر الثاني

أن الايات تقرر مبادئ وقواعد القانون الدولي الذي ترسم أسس علاقه المسلم دوله وأفراد مع غيرهم من الأمم والدول ولذلك كان لابد من إيضاح حدود هذه العلاقه حتي لاتكون علي حساب الاسلام ودولته ولهذا جاءت بهذه التشريعات التي تشمل الولاية العامه في جميع أحوالها بحسب أحوال المتعاملين أفرادا ودوله في صوره الاخبار فقال تعالي

(والذين آمنوا ولم يهاجروامالكم من ولايتهم من شي حتي يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا علي قوم بينكم وبينهم ميثاق)

وهذا فيه

بيان أن الذين لم يهاجروا وظلوا في ديار الكفر لايجب منحهم اي ثقه او محبه طالما أنهم لم يهاجروا الي ديار الإسلام مع أنه كان بمقدورهم ذلك لأن الله قد عفا عن النساء والولدان والمستضعفين فقط إذا استمروا في الاقامه بديار الكفر كما هو مبين في سوره النساء

فهجره الرسول صلى الله عليه وسلم الي المدينه كان لاجل اقامه دوله يحكمها القران فلابد للقران من شعب وتجمع يحكمهم فالقران لم ينزل لاجل أن يظل داخل النفوس ولايخرج الي الحياه بل نزل لاعاده خلق الناس علي الصوره التي يريدها الله تعالي فهو المسؤل الذي ينظم حياه الناس في كافه المجالات فالإسلام لايفصل بين الدين والدوله بل يحكم شوون الإنسان السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه و الثقافيه وكل شي

ولهذا فإن الذي لم ينخلع من ولاء قيادته الجاهليه رغم أنها تحارب الدين ولم ينهض للمساهمه في بناء الدوله الاسلاميه فإنه منقوص في إيمانه ومشكوك في أمره فلا ينبغي الثقه به

/٢

تبين الايه أن النصره إنما تكون في الدين (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر)

والسين والتاء هنا تستخدم بمعني الطلب اي إذا طلبوا منكم النصر فعليكم مناصرتهم بس بشرط أن يكون ذلك في الدين ليس نصره لاجل قوميه أو عصبيه أو جنس أو لون إنما أسس تقديم العون و المساعدة والنصره هي أن يتعرضوا لاضطهاد في الدين وان يكون ذلك عائدا لصله الدين

/٣

يقرر الاسلام احترام القانون الدولي فيحذر من انتهاك العقود مع الدول الأخرى مهما كانت المبررات ولهذا يمنع نصره المسلمين الذين يعيشون كرعايا دول كافره بينها وبين دوله الاسلام عهود

الأمر الثالث

تبين النصوص أن مد جسور الصداقه للأعداء والقطعيه بين المومنين أمر لايليق بالمومنين لان الاصل أن مولاه المومنين تكون فيما بينهم البين فلا تتعدي ذلك الي مولاه الكفار ولهذا يلفت الإنتباه والاذهان الي خطوره الموقف أن حصلت القطعيه بين المسلمين وتم التفريط بالاتحاد أن ذلك سوف يودي الي زوال قوه المسلمين وعزهم ومجدهم فاللازم التمسك بوحده الامه بحيث يكون الفكر واحد والارداه واحده تسعي لتجسيد الاراده المسلمه في اقامه دولته القويه والاحساس بالخطر أنه يهدد الجميع اي قوميه الخطر وقوميه الارداه وقوميه الفكر ولا اقصد بالقوميه هنا المفهوم الضيق الذي رفعه القوميون بل اقصد بذلك أن يشعر المسلمون انهم قوم واحد يجمعهم الايمان وان ينظروا الي تهديد العدو بأنه خطر قومي يستهدف كل مسلم وان كان هذا الخطر من قبيله ينتمي إليها بعض أفراد تجمع دوله الاسلام فإن الانتماء القبلي هنا لاقيمه له بل ينظرون أنه يهدد المسلمين الذي هو القوميه التي تجمعهم وان الكفار قوميتهم الكفر حتي وان كانوا أقارب لنا ولهذا جاء التهديد (الاتفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)

فهي التحذير للمومنين بأنهم إذا تركوا مولاه بعضهم البعض في المناصره والمحبه والاخوه وحصل منهم التفريط بهذه القيم سياده الامه أو الشوري وسياده الشرع والوحده والاخوه والعدل ..إذا لم يطوعوا أنفسهم علي الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين وحصل تباعد وجهات النظر المفضيه الي الاختلاف والانقسام فإن هذا يوول الي فتنه عظيمه وفساد في الأرض ولهذا فإن الايه الكريمه تكشف لنا مساله يكون في مخالفتها الذل والهون للمسلمين وهذا ماحصل عندما تباعد المسلمون وكان مد جسور الصداقه للأعداء والقطعيه بين المسلمين في الوقت المعاصر كيف صار حال المسلمين لقد صارت العلاقات مع الكفار سببا لامتلاك الكفار قرار الامه لقد حصل تباعد بين الحكام والعلماء وبين الشعوب ولهذا نري الشعوب تغلي كمدا مما يحل باخواننا في فلسطين ولبنان وهي عاجزه حتي عن التظاهر لماذا لأن الغرب قد تسلط علي قرار الحكم والعلم في امه الاسلام لقد سيطروا علي مقدرات الامه الاقتصاديه والفكرية والإعلامية والتربوية للاسف الشديد لدرجه انك تشاهد قنوات عربيه للاسف الشديد تمدح العدو الإسرائيلي وتذم المقاومه الفلسطينيه أو اللبنانيه وبعض الدول للاسف الشديد تدعي أنها تقف علي الحياد أليس هذا مخالفا لتعاليم الاسلام الذي يوجب قيام قوميه الخطر بين جميع المسلمين فعندما تري الخطر يهدد فلسطين فاللازم أن تشعر أنه خطرا يهددك انت ايه المسلم اينما كنت فليخجل من يدعي أنه يقف علي الحياد في مثل هذه المواقف بل وصلت الوقاحه لدرجه ان البعض لا يخجل من إظهار الشماته بمقتل قاده المقاومه لأنهم من جماعه الاخوان أو الشيعه أو ....الخ

وبنفس يدعي نفسه أنه يحمل المشروع الإسلامي للاسف الشديد وأنه يحرس قيم الإسلام فهل هذا يقدر امانه العلم أم أنه فرط بها مثلما فعل الحكام أن هذه الايه تدعوا المسلمين الي احياء مبدأ القواسم المشتركة التي تتفق عليها امه الاسلام بعمومها وإذا وجدت مسائل نختلف فيها فيجب أن نترفع عن ذلك بتجاوز مسببات التصادم .لمنع استغلال العدو بؤر الخلاف ليشعل الحروب بين المسلمين أفرادا ودولا لقد حشر الاستعمار المسلمين في هذه البؤر لاجل أن يخدموا المشروع الاستعماري لاجل أن يأتمر المسلمين بأمره ولأجل أن يصبح من يمتلك القرار في بلاد الإسلام من الحكام والعلماء ينفذون سياسه مبادئه في شعوب الاسلام للاسف الشديد

عندما طغي التعصب علي المسلمين وانتقل إليهم الانانيه وحب الذات وانقطعوا عن مفاهيم القران

ولهذا فإن الخروج من هذه الازمه يكون بالعوده الي منابع الاسلام وأصوله وتراثه لنعطي للإسلام مفهومه الصحيح كما أوضحنا بالفقره السابقه بالاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالمومنين الاوائل الذين وصفهم الله بأنهم المومنون حقا فقال تعالي (والذين آمنوا وهاجروا

وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا لهم مغفرةورزق كريم والذين آمنوامن بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في كتاب أن الله بكل شي عليم)

انتهي تفسير سور الانفال بشرح قواعد القانون الدولي الذي قرره الاسلام في عصر الفتوحات الامبراطوريه وفي عصر الحكم المطلق يقرر الاسلام القواعد الدستوريه فهذا يدل علي أن القرآن منزل من رب العالمين فهو من وحي الله لا من تأثير البيئة

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري